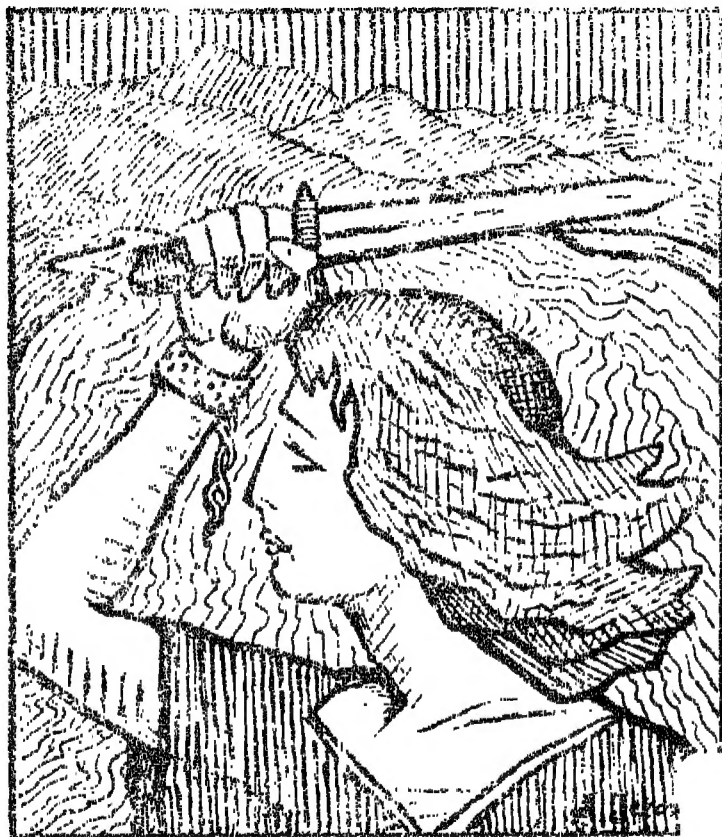


مكتبة المجمع العلمي



# مذهبي الجزائر

أحمد توفيق المدني



0158943

Bibliotheca Alexandrina

اهداءات ۲۰۰۱

ا.د. احمد ابو زيد

انٹروپولوجی

المجلة الدولية للمدني

# هذه هي الجزائر

ملتزمة النشر والتفكير

نكتة الخوض الممصرة  
٩ شائع عدلي باشا العتامة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الأهداء

---

إلى نخابا ممركة الحربة الحاسمة في فطر الجزائر النابيل .  
إلى أرواح الشهداء ، ودماء الأبرياء ، ودموع اليتامى .  
إلى الذين ماتوا لتحيي مقدساتهم .  
إلى الذين كسروا بأيديهم الجبارة أغلال الاستعمار .  
إلى الذين تحطمت فوق صخرة إيمانهم موجة الاستعمار .  
إلى الذين بنوا بمزارعهم الصادقة ، بين أكلام سن الجثث وبحر من  
الدماء وطوفان من أسنة اللهب ، صرح الجزائر الحرة ، السميدة المستقلة .  
أوسم هذه الدراسة المتواضعة ، اعترافاً بفضلهم ، وتخليداً لذكراهم ،  
وسهادة لهم أمام الله والناس أجمعين ، بأنهم استحقوا تقدير الوطن  
والتاريخ . وتمجيد العروبة والإسلام .

١ . نوفي المرنى



## تقديم

من هي هذه الأمة التي أدهشت العالم بجيادها ، وبهرت الدنيا ببلاتها  
 أمام أعظم قوة استعمارية جردت في قطر من الأقطار ، في أئى عصر من  
 المسور ، واشترأبت إليها أنظار سائر الشعوب تشهد على بدنها من  
 الظالمين ، وتزيق آخر صفحة من صفحات الاستعمار الدن القذر ؟

وما هي هذه البلاد التي يسجل التاريخ فوق جبالها ونجودها ، وبين  
 شاماتها وكتبانها ، صفحة من أروع صفحات البطولة والجد ، ويرى قامة  
 رجال تحريري لا مثيل له في العالم ، شاركت فيه أجيال وأجيال مناضجة .  
 حتى صار ذلك الفضل التحرري « القاسم المشترك الأعظم » بين سائر  
 أفراد هذه الأمة ، وبين سائر أبناء هذا الوطن الشريف ؟

تلك هي أمة الجزائر . وذلك هو قطر الجزائر !

اسمان أصبحا ملء السمع وملء الفم وملء الضمير ؛ اسمان أصبحا  
 علما على كل المعاني التي تقدها الرجولة الفاضلة ، وتمجدها السكرامة  
 الإنسانية : الجهاد في سبيل الحرية ، والموت في سبيل الله والوطن ،  
 والتضحية ، والإيثار ، والبطولة الصامته ، والقيام بالواجب ، كل الواجب ،  
 إلى آخر قطرة من الدم ، وإلى آخر رفق من الحياة .

تلقت الخدمة ، عن أجدادها ، فوق أديم هذا الوطن ، علماً ، و  
 وضميراً ، وتوارثت ذلك تباراً من كبار ، منذ أقدم السور . فاسقط  
 العلم ، علم الحرية ، من بد شهيد ، سقى تلمذته أيدي الذين يفتخون في  
 الشرف خطاه ؛ ما استقر ذلك السيف ، سيف الكفاح والنضال في  
 يوماً ، فهو دولة بن الأجداد والآباء والأحفاد ، لا يزال مشهوراً منذ  
 السنين ، يعجد الماضي ، وبشيء الحاضر ، وبشيء المستقبل . وما خبز  
 ذلك الضمير المتقدة ، ولا خفت نوره البضاء ، فهو ضمير الإيمان وال  
 والشموخ . هو روح قدسية جامعة ألقت بين المؤمنين سلاسلها  
 في كل زمان ومكان ، في كل أمة وأمة ، في كل جيل وجيل ، في كل  
 ويسعون المقام السامي ، وبارك الله عليهم ، وأمرهم ، وأمرهم .

لكن العالم ، والسلام العربي ، على الشخص ، لا يعرف عن هذا الن  
 ولا عن بلاده الشيء الكثير . فالاستعمار الغربي قد أقام بين العالم و  
 هذه القطعة الثمينة الدايمة من أرض المروية والإسلام ، جداراً حديد  
 أراد ، هو أبدياً ، وأراد الله مؤقثاً ، فلم نشح أحباره ، ولم يدع ذكر  
 وتعمد الاستعمار سحق معالمه ، وطمس تاريخه ، ومحو جديده ، وإعا  
 شخصيته ، كبل لا يذكر بعد ذلك في عالم المروية ، ولا ضمن بلاد الإسلا  
 ولا بين صفوف الأمم الحرة .

غير أن المستعمر لم يستطع أن يفرض إرادته ، رغم وسائل البط.



والقوة العسكرية الرشيدة اللذين ، انشأ فيهما في وجه الشعب الجزائري المناضل ، فكان الشعب الجزائري في الأخير ، والذي نردف إرادته قرة إيماناً ، بقوة ساعدية ، وقوة تشجيعية ، وأصبح العالم اليوم — والعالم العربي — ، يريد ، أن يعرف عن هذا الشعب النكاحين الذين ربحوا بلادهم كل شيء .

وهذا هو موضوع بحثنا اليوم .

فأنا لم أكتبه للدعاية ، إنما كتبت له استيعاباً للإيمان ، ونسجاً على سبيل القطر ، وبهذا الشعب ، فهو يند على الصادقين من أمة التاريخ ، من الذين التفتت من أرقام الانحلال ، وسبب الحلاله الذين كانوا يترددون على الأصل ، فلا بهالة ولا شهرة ، وإنما ما صدر القلوب سائداً ، ونالوا على نهايتهم ، وجد نفسه ملأاً بكل ما يجب أن يعرفه عن هذا الشعب . وعن هذا الشعب . وعن هذا الجهاد .

ثم إنني قد استعجبت في تأليفه ، لرغبة عربية وطنية كريمة ، أبدعها أخ مؤمن صادق كريم ، ألا وهو المجاهد الكبير الأستاذ محمد فؤاد جلال ، سكرتير عام مجالس الخدمات ، ورئيس مؤتمر التحرير العرب .

فقياماً بواجبي ، وتلبية لهذه الرغبة الخاصة ، أقدم لعالم العروبة ، ولأقطار الإسلام ، هذا الكتاب ، وأرجو أن يكون وسيلة ترداد بها

- ٨ -

روابط الأخوة والتضامن والسكفاح ، بين العالم العربي الناهض ، وبين  
شعب الجزائر المجاهد ، واسطة عقد المغرب العربي الكريم ، حتى نشترك  
سما في تقويض آخر معاقل الاستعمار ، وإقامة جدران المستقبل العربي  
الباهر ، على أسس الأخوة الصادقة ، والتضامن الفعال ، تحت راية الحرية ،  
وفي نعيم الاستقلال .

١ . ست . المرني

# القسم الأول

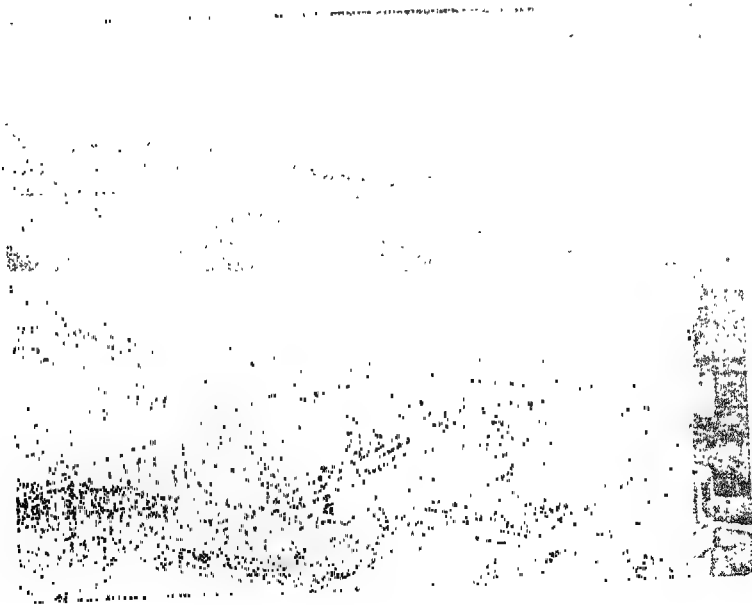
## التعريف بالبلاد والجزائر

اسمها :

لماذا أطلقوا على هذه الأرض الساسنة المبنية الممتدة بين حدود الماسنة التونسية شرقا ، والمملكة المراكشية ، غربا ، اسم « فطر الجزائر » .  
وهل هذا القطر مؤلف من بئرمة من الجزر البحرية ، حتى استعصم هذا الاسم . إن هذا القطر كان يدعى في التاريخ العربي القديم « المغرب الأوسط » إلى سنة ١٥٠٠ ميلادية ، حين تدخل الأتراك العثمانيون في أسره ، استجابة لطاب أهله ، وساعدوا على إلقاده من السقوط تحت ضربات الاستعمار الأسباني الفتاك ، بعد أن انتهى أمر الممالك الإسلامية ببلاد الأندلس .

وإذ جمع الأتراك العثمانيون ورجال المغرب الأوسط سائر البلاد تحت إدارة مركزية موحدة ، اتخذوا عاصمة لها بلدة صغيرة ، ذات موقع جغرافي ممتاز ، تتوسط الساحل كأنها درة تاجه ، تدعى « جزائر بني مرزغنة »

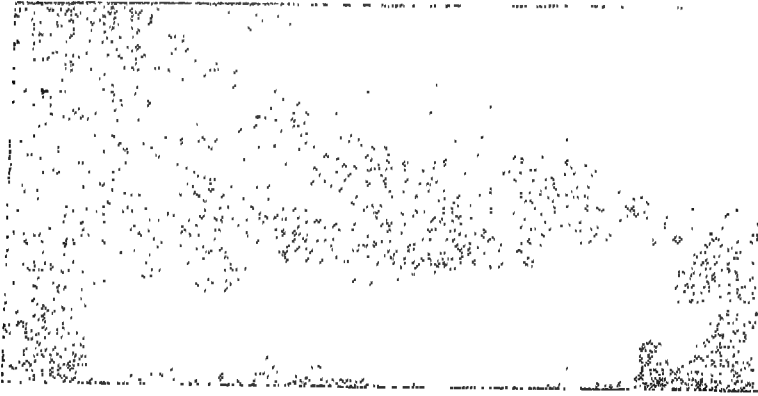
لوجود عدد من الجزر الصغيرة أمامها ، تستعملها لحماية سفنها والدفاع عن ديارها ضد غارة الأعداء فأخذ الأتراك وأهل البلاد يعمرّون تلك المدينة ، وينشئون بها الدور والقصور إلى أن تضخمت وأصبحت من أكبر المدن الأفريقية قاطبة ، وصارت تدعى باختصار « مدينة الجزائر » ثم أطلقوا اسمها على كامل البلاد المتراصة الأطراف التي تدين لحكمها ، وهكذا نشأت في مستهل القرن السادس عشر ، وحدة تدعى الجزائرية ، أو قطر الجزائر ، مع نشأة العصر التاريخي الحديث في العالم .



( شكل ١ ) مدينة الجزائر أيام الدولة المستقلة

## ساحلها :

تقع البلاد الجزائرية كلها على البحر الأبيض المتوسط ، ولها ساحل صخري في الغالب ، يمتد نحو ١٢٠٠ كيلو متر ، فيما بين ممالكتي تونس ومراكش . ويكاد هذا الساحل يسير على خط مستقيم ، ليس به كثير من الخلجان أو الجونات أو الجزر ، قد شيدت عليه من الشرق إلى الغرب ، وراء جدران وسدود سميكة ، أهم المدن والمراسي البحرية : عنابة



( شكل ٢ ) حايح قرب مدينة جيجل

( بوزة ) سكسيمة ( فليب فيل ) ، بجاية ، الجزائر ، وهران ، جيجل . الخ

## صورتها :

الحد الشرقي الجزائري حد وضعي ، يفصل عمودياً بينها وبين مملكة

تونس ، من نقطة تبندىء شرق « القالة » على البحر ، إلى نقطة تذهبو على مقربة من مدينة « غدامس » في المملكة الليبية .

أما الحد الغربي ، فهو وضعى كذلك ، لا يعتمد على أى حاجز طبيعي فينحدر عمودياً من نقطة غرب « الغزوات » ( نمور ) إلى واحة « الفقيق » ثم ينتهى غرباً جنوب المملكة المراكشية .

وأما الحد الجنوبي فهو يفصل ، بصفة وضعية بحتة ، بين قطر الجزائر وأفريقيا الغربية الفرنسية ، بحيث يترك لقطر الجزائر بلاد « الحفار » التي تسكنها قبائل « الطوارق » العتيقة .

مساهمتها :

يتألف القطر الجزائري من قسمين : القسم الشمالى الأهل ، وقسم الصحراء والواحات الجنوبية .

أما مساحة بلاد الجزائر الشمالية فتبلغ ٢٠٧,٥٠٠ كيلو متر مربعاً

ومساحة بلاد الصحراء الجنوبية تبلغ ١,٩٨٧,٦٠٠ » » »

فتكون جملة مساحة القطر الجزائرى ٢,١٩٥,١٠٠ » » »

طبيعة الأرض الجزائرية :

القطر الجزائرى فى مجموعه نجد مرتفع ، فإذا ما ألقيت نظرة على خارطة القطر الجغرافية ، رأيت سهولا ضيقة شاسعة الغنى بديعة الحسن

تتخصر بين الجبال وساحل البحر . ووراء هذه السهول الساحلية تمتد سلسلة جبال الأطلس التلى ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . فإذا ما انحدرت من هذه الجبال المتواصلة رأيت نفسك فى إقليم « النيجود » المترامى الأطراف ، والذي يبلغ ارتفاعه أحيانا نحو ٨٠٠ متر . فإذا استمر بك السير نحو الجنوب ، ارتفعت أمامك شاذخة عظيمة سلسلة جبال الأطلس الصحراوى التى تخترق القطر بأسره من شرقه إلى غربه ، كأنها سد منيع أحكت صنمه يد الله ، ليحول دون تسرب رمال الصحراء إلى إقليمى النيجود والأطلس التلى .

وإذا ما اخترقت تلك الجبال الصعبة المرتقى ، الوعة المنحدر ، وجدت نفسك أمام إقليم الصحراء المترامى الأطراف . وإليك نبذة وجيزة عن كل قسم من هذه الأقسام التى هى كل البلاد الجزائرية المجاهدة :

### الذبل والساحل :

الساحل الجزائرى جنة يانعة ، وحديقة غناء ، هو غوطة دمشق ، أو دلتا النيل . إنه القطعة الحيوية من أرضنا الجزائرية ، حيث الأشجار الباسقة والفواكه والثمرات ، والأعشاب التى يترد الطرف عنها خاسئا وهو حسير . فى هذا الساحل تمتد سهول غنابة وسهول متيجة ، وسهول وهران ، وقد صيرها الاستعمار الفرنسى قطعة من أوروبا ، بمد أن أبعد عنها بشتى الوسائل سكانها المسلمين ، وتركهم كمنبوذى الهند فى العهد القديم .



( شكل ٣ ) الأطلس التلي عند سكا. وادي

أما الأطلس التلي فهو يمتد ويتضخم ، وينفسح أحياناً عن السهول  
الشمسية الثرية ، وأهمها سهول المديّة ، وسيدى يلمباس ، حيث المزارع  
العنية . وترتفع جبال التلي أحياناً إلى ٢٣٠٨ أمتار ( قمة لالا حديجة  
بملاذ الجرجرة ) .



هذه الجبال التلية غنية ، فيها المزارع ، وتسكن فيها الغابات السكثيفة ، ويسكنها الجبليون من أصلب الناس عودا . وتشمل هذه السلسلة عدة جبال متلاحقة ، أهمها من الشرق للغرب : جبال سوق أهراس . وجبال بابور . وجبال جرجرة وتدعى بلاد القبائل الكبرى حيث يعيش مليون من الناس السكادحين العاملين . وجبال الونشريس ذات الغابات البديعة ، وجبال تلمسان التي هي من أجمل ما تراه العينون .

فثلاثة أرباع القطر الجزائرى يعيشون من خيرات هذه السهول وهذه الجبال . وفي هذه المنطقة تقع أهم وأكبر المدن الجزائرية الساحلية ، مثل عنابة . وسكيكدة ، وبجاية ، والجزائر ، ووهران ، والداخلية مثل سوق أهراس ، وقالة ، وقسنطينة ، وسطيف ، والبايدة ، والمدية ، ومنيانة ، وسيدي بلعباس ، وتلمسان الخ . وتتماز هذه المنطقة بجو معتدل ، وطقس جميل ، وأمطار منتظمة .

### الغمر :

هذه المنطقة الشاسعة تفحص بين سلسلتى الأطلس النلى ، والأطلس الصحراوى ، فهي بلاد المراعى والفضاء الفسيح ، لا تجد بها مدناً كبيرة ولا عمراناً واسعاً ، وقلما وجدت بها نبع ماء أو مجرى واد ، فأرضها تسكنى بنبات « الحلفة » الذى يجمعه الأعراب لبعض الشركات الاستعمارية الكبرى المحتركة ، ويستعمل فى أوربا لصناعة الورق الرفيع وبعض الأقمشة ، ويكاد يكون ذلك هو المورد الوحيد الضئيل لسكان هذه

الناحية . والطقس فيها قاس شديد : ثلوج في الشتاء ، وقيظ في الصيف -  
وفي فصل الربيع تنبت هذه النجود كلها حلة سندسية من  
الأعشاب الزرجدية ، ذات الزهور المختلفة الألوان ، فيغدو النجد كله كأنما  
هو زربية ( سجاد ) أتقنت صنعها يد الله .



( شكل ٤ ) سباق الخيل عند العرب في النجود





فرعاة الغنم بالصحراء ، يصعدون بماشيتهم إلى هذه النجود أثناء الربيع ويمضون بها جزءاً من الصيف والخريف ، يئذون قطعان الماشية بالأعشاب الخضراء ربيعاً ، فإذا ما جفت تلك الأعشاب أصبحت تدعى « الهيشر » وصلحت لغذاء الماشية صيفاً . وبما أن الاستمرار لم يملك هذه الأرض ، فهو لم يحدث بها أى إصلاح ، ولم يفكر فى إيجاد وسائل لجمع الماء بها وإدخاره لئلا ينفذ من الصيف ليكون مصدراً للحياة للرعاة العرب وسكان الجنوب . فالماشية الجزائرية ، وهى أهم مصادر الثروة عند العرب ، تصاب فى غالب الأحيان بكوارث فادحة من جراء العطش ، تذهب نخبتها ملايين الأغنام ، وويل لأمة لا تحكمها الفئة الصالحة من بينها ، وليست إدارتها فى يد ذويها .

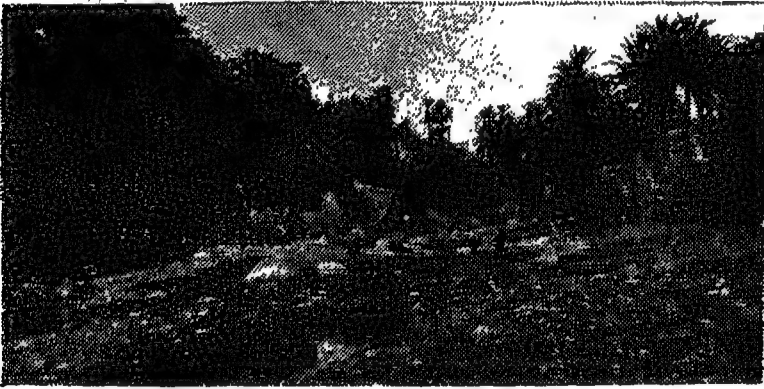
### الصحراء :

الجبال الشاهقة التى يحدها المرء فاصلة بين النجود والصحراء ، وهى من الشرق إلى الغرب : جبال التمامشة ، وأوراس ، موطن الأبطال ومنبت الصناديد من أقدم العصور ، ثم جبال أولاد نائل ، وجبال الجلفة ، وجبال عمور ، وجبال القصور .

ومن هذه الجبال ما هو مأهول مسكون ، كجبال أوراس التى تعتبر روضة من رياض الدنيا ، وجبال أولاد نائل وعمور ، من أقطاب العرب ، سلائل بنى هلال ، ومنها ما هو خلو تقريباً من السكان ، كجبال القصور .

بؤى جبال أوراس الأشم ترتفع قمة « الشلية » وهى أعلى نقطة فى القطر الجزائري ( ٢٣٢٧ متراً ) .

خلف هذه الجبال الشاهقة ، ذات الجبال وال عمران ، تمتد الصحراء بقسميها : الحمادة ، وهى بلاد الصخور المحترقة بوهج الشمس ، حيث لا حياة لحيوان أو لنبات ؛ والعرق ، وهو بلاد الرمال الذهبية ، مرتع الغزلان ، حيث توجد الحياة كلما وجد نبع ماء ، فهناك الواحات الواسعة



( شكل ٥ ) واد بوسعادة

الغنية التى تضرب بجمالها وبندخيلها الأمثال . ولا تنزل الأمطار بهذا الإقليم الصحراوي إلا نادراً جداً . وجوه قاس شديد ، حيث إن حرارته تبلغ صيفاً درجة ٧٠ ، وتنزل إلى درجة منخفضة جداً أثناء الليل ، أما زمن الشتاء فالبرد فيه لا يطاق .

## الملحقات وبها الطوارق :

الملحقات هي الامتداد الطبيعي لقطر الجزائر جنوب الصحراء . وهذه الملحقات ناحية شاسعة تمر بها طرق القوافل الكبرى نحو الجنوب ، وتقع بها واحات توات ، وعين صالح ، والمنيعه وغيرها . أما بلاد الهقار ، ويسكنها الطوارق المثلثون ، من قداماء البربر الامازيغ ، فهي قطر جبلي واسع ، أمطاره كثيرة ، وجباله شاهقة ، ( ٣٠٠٠ م ) .

والمرأة في بلاد الطوارق السيادة . ويدعى الحاكم « أمين العقال » . وعدد الطوارق نحو ١٥ ألفاً ، وقد أثبتت البحوث الجيولوجية ( علم طبقات الأرض ) أن ثروات معدنية عظيمة جداً تختفي في الصحراء والملحقات . لهذا أصبح الاستعمار الفرنسي يفسكر في سائرها عن قطر الجزائر وجعلها مقاطعة فرنسية ، ومساومة رؤوس الأموال العالمية عليها لاستثمارها . وهكذا يموت الاستعمار وهو يسير مع الأحلام .

## الأمطار :

القطر الجزائري قطر فلاحى بحت ، حال الاستعمار بينه وبين التصنيع ، والفلاحة في قطر الجزائر لا تعتمد إلا على المطر ، فنظام الأمطار في قطرها هو مقياس الحياة وخاصة بالنسبة للمسلمين .

فالاستعمار الفرنسى قد استحوذ على سائر الأرض الفلاحية الجيدة ،  
موشاد بها السدود . أما الأرض الفلاحية الفقيرة التى بقيت بيد أهل البلاد  
لزهد الاستعمار فيها ، فقد بقيت فى إهمال تام ، فإن لم يجد عليها المزن بماء  
حدث الجذب ، وكانت السكارثة .

فالأمطار فى قطر الجزائر تكون غزيرة فى المناطق الساحلية الغنية —  
حيث ضرب الاستعمار أوتاده — وخاصة فى الساحل الشمالى الشرقى ، وينزل  
المطر فى هذه الناحية على معدل ١٠٠٠ ملميمتر فى السنة .

وتليها منطقة أخرى لا تنال من لغيث إلا بمعدل ٧٠٠ م . م . وهى  
الناحية الشرقية الشمالية من البلاد — مما يلى المنطقة الأولى .

وهكذا تقل الأمطار كلما انحدرنا صوب الجنوب ، فنجد أرض النجود  
لا تنال إلا بمعدل ٣٠٠ م . م ثم الصحراء التى تنال أقل من ٢٠٠ م . م فى السنة  
وتتناقل الثلوج على المناطق الساحلية والتلية كلما زاد ارتفاع الأرض  
عن ٦٠٠ متر . وكذلك جهات النجود والأطلس الصحراوى ، أما جبال  
الجرجرة الشاغخة ، فالتليج يلازمها نحو سبعة أشهر كل سنة .

### الأودية والأنهار :

الأودية بقطر الجزائر — وخاصة الجهة الشمالية — عديدة ، لكنها  
ضعيفة جداً ، وأغلبها يجرى زمن الشتاء دافقاً ، فإذا ما حل فصل الصيف  
جف أكثرها . فما كان موحداً منها بالمناطق الاستعمارية بنيت عليه



السدود للانتفاع بمياهه ، أما ما كان بالمناطق التي بقيت للعرب فيضيع سدا ولا ينتفع به .

وليس بتطر الجزائر من الأنهار التي تسمى مع التسامح أنهاراً ، لأنها لا تجف زمن الصيف ، إلا ثلاثة ، : مجردة في شرق البلاد ، والحرش في الوسط ، والشلف في الغرب ، وهو النهر الجزائري الوحيد ، ويبلغ طوله ( ٧٠٠ كيلو متراً ) ، وكل هذه الأنهار تصب في البحر المتوسط .

وهناك أودية ثانوية تصب مياهها في البحيرات والسبخا الداخلية الآتي ذكرها . أما الأنهار التي تتكون في شعاب الجبال الجنوبية ، فإنها تتجه نحو الصحراء ، ومن فضل الله على هذا القطر الصحراوي أن تلك الأودية ترسب في الرمال إلى أن تجد طبقة طينية ، فتسير معها مخفية ، إلى أن تقترب تلك الطبقة الطينية من سطح الأرض ، فتتكون الواحات الفناء ويكثر العمران ، ويستمر سير المياه تحت الرمال بهذه الصفة ، إلى أن يبرز طبيعياً فتنبش الواحة أو إلى أن يقع البحث عنها بواسطة حفر الآبار الفوارة (الارتوازية) ولولا أن النظام الاستعماري الشنيع المفروض على أرض الجزائر قد أهمل النجود والصحراء ، لأن سكانها من العرب ، واهتم أكبر الاهتمام بأفليمي الساحل والتل ، لأنهما محط رحال المستعمرين الأجانب ، لكانت حياة المسلمين في الصحراء والنجود ، بواسطة حفظ المياه والبحث عنها ، حياة رغد وهناء ، وهذا ما استنبثه الجزائري المستقلة بحول الله .

وأهم الأودية التي تتكون حولها الواحات : وادي أريغ ، وعاليه واحات

تقرت وتماسين — ووادي سوف ، الذي قامت على مياهه المباركة  
واحات : الواد ، وقار ، وكوينين — ووادي جدى ، وهو مصدر حياة  
مدن وواحات : الأغواط وأولاد جلال — ثم وادي ميزاب الذي تكونت  
حوله حضارة وعمران الميزابيين فى سبع من المدن والواحات الجميلة أهمها :  
غرداية ومليكة وبنى يزقن .

### السياح والبحيرات :

فى داخل إقليم النجود السالف الذكر ، يوجد عدد من الشواطئ  
والبحيرات ، يسمى بعضها : الزاغر ، إذا كانت صغيرة ، فإذا كبرت  
سميت : الشط ، وأهمها : شط الحضنة ، ومساحته ٢٧٦٥٠ هكتارا ، ثم  
الزاغر الشرق ومساحته ٥٠٠٠٠ هكتار وتقدر كمية الملح الذى فيه بنحو  
٣٣٠ مليون طن . ثم الشط الشرق ، وهو بحيرة تقع على ارتفاع ١٠٠٠ م  
عن سطح البحر ، وتمسح ١٦٥ ألف هكتار ، ويقول علماء الجيولوجيا إن  
المياه الغزيرة التى تتسرب من هذه البحيرة تكون كمية هائلة من المياه  
العذبة ، لا يستطيع العقل تصورها ، تضيق دون جدوى فى بطن الأرض .  
فلو كانت الجزائر مستقلة ، ولو كانت مقاليد أمورها بأيدي أبنائها ، لوقعت  
العناية بهذه المياه الضخمة فكانت مصدر حياة ورخاء ، فى قطر حكم عليه  
الاستعمار بالموت فقراً وإهمالا .

## السدود :

أنشأ الاستعمار لنفسه ، من أموال الميزانية التي يدفع المسلمون معظمها ، عدداً من السدود العظيمة في مختلف الجهات التي استحوذ عليها وجعلها مصدر غناء ومنبع قوته . وتتجلى عظمة هذه السدود خاصة بالناحية الغربية من قطر الجزائر ، حيث أصبح المستعمرون يمثلون الربع من مجموع السكان . . . فللمستعمر الأرض والثروة والسدود ، والمدن والقصور ، والمسلم الفقر والفاقة والحرمان ومدن القصدير . وقصارى أمره أن يكون أجيراً ، يعمل لصالح المستعمر بأجنس الأثمان . شأنه في ذلك شأن بقية إخوانه المسلمين في قطر الجزائر ، حيثما وجد الاستعمار الكبير .

وأهم هذه السدود : سد الغريب ، على وادي الشلف ، يوزع سنوياً ١٤٠ مليون متر مكعب من الماء ، ويسقى ٣٠ ألف هكتار من الأرض . وسد بو خيفية ، في الغرب الجزائري ، يوزع سنوياً على الأرض الاستعمارية ( ١٠٠ مليون متر مكعب ) ، ويسقى ( ٢٠ ألف هكتار ) الخ . فمجموع السدود في الأرض الاستعمارية — ولا ينتفع منها إلا عدد قليل جداً من المسلمين بقوا في شئ من الأرض — ١٢ سداً ، ( تسقى ١٢٥ ألف هكتار ) ، ومجموع المساء الخزون بها سبعمائة مليون متر مكعب . وتوزع سنوياً على الأرض الاستعمارية ( ٥٠٠ مليون متر مكعب ) .

— ۲۸ —



( شکل ۶ ) سد وادی سیق

## الغابات :

كان القطر الجزائري غنياً بغاباته السكيفة قبل الاحتلال ، إلا أن العدوان الفرنسي الشنيع على البلاد سنة ١٨٣٠ والحروب الطاحنة التي وقعت إثر ذلك فدمت عشرات السنين ، قد خربت البلاد ، وأتلفت القرى وأحرقت الغابات وأعدمتهما . فالاستعمار الفرنسي قد استقر في البلاد الجزائرية على أشلاء الضحايا ، ورفع مدنه فوق خرابات المدن والقرى الجزائرية ، وغرس كرومه في الأرض التي كانت مصدر حياة الأمة الجزائرية وقد سقطها بدمائها ، فكان عذد الذين ماتوا دفاعاً عنها ، أكثر من عدد الذين بقوا إلى حين عبيداً للاستعمار فيها ( أنظر قسم السكان ) .

فالغابات في قطر الجزائر لا تحجب اليوم إلا نحو ثلاثة ملايين من المسكترات . بينما البلاد في حاجة إلى ما يزيد على السبعة ملايين هكتاراً . والاستعمار لا ينفق أموال البلاد إلا فيما يعود بالنفع القريب على المستعمرين وعلى الإدارة الاستعمارية . وعلى القوى الاستعمارية التي يجب أن تخضع أهل البلاد ، فلم يبق من الموارد ما ينفق على تعمير البادية ولا على تشجير الجبال ، ولا على ما يعود بالنفع على السكان المسلمين في المناطق الجبلية والنجود والصحراء . فغابات القطر الجزائري التي لا تزال موجودة ، تقع غالباً في إقليم التل كغابات القرو (Chêne) والصنوبر (Pin) والبلوط أو الفلين (Chêne Hler) ببلاد الجرجرة الأبية ، رافعة رأس الشمع إلى السماء . وغابات الأرز (Cedre) الشهيرة ببلاد الوشرين . وكذلك غابات الصنوبر الحلبي (Pin d'aep)

— ٢٦ —

ثم ما بقى من غابات الزاياتين التى سيأتى ذكرها فى القسم الاقتصادى .  
 هذه فذلكة موجزة ، عن الجغرافية الطبيعية للقطر الجزائرى المجاهـ  
 فإن أردت أخى زيادة فى التفصيل ، أو تعمقاً فى البحث ، فاسمح لى  
 أحيلك على كتابى ( جغرافية القطر الجزائرى ) طبع الجزائر عام ١٩٥٢  
 دار الكتب المصرية عدد ط ٢٢٠٣ — أو كتابى ( كتاب الجزائر ) هـ  
 الجزائر عام ١٩٣١ — دار الكتب المصرية عدد

## القسم الثاني

### سكان القطر البحري

جاء في الإحصاء الرسمي، الذي وقع في أكتوبر سنة ١٩٤٨ أن سكان القطر الجزائري كان يومئذ ٧,٦٧٩,٠٠٠ من المسلمين، و ٩٢٢,٢٧٠ من غير المسلمين .

وبما أن مصلحة الإحصاء تثبت أن عدد المسلمين يزداد كل سنة ١٦٥,٠٠٠ وعدد غير المسلمين يزداد كل سنة ١٨,٠٠٠ نسمة ، فيكون عدد السكان هذه السنة كما يلي :

مسلمون ٩,٠٠٠,٠٠٠

فرنسيون وأجانب ٠,٨٦٦,٠٠٠

يهود جزائريون ومقفرنسون ٠,٢٠٠,٠٠٠

مجموع عدد السكان ١٠,٠٦٦,٠٠٠

والإكم كلمة موجزة عن كل قسم من هذه الأقسام .

## المسلمون

هم سكان البلاد الأصليون ، وأصحابها الشرعيون . عرف التاريخ منذ عهده الأول أصولهم وأنسابهم ، وسجل لهم أجدادهم قبل الإسلام وبمده والمسلمون الجزائريون — ولله الحمد والمنة — عصبة واحدة هي عصبة الإسلام ، وأمة واحدة هي أمة القرآن ، وجماعة واحدة هي جماعة القومية الجزائرية ، قد اعتنقوا الإسلام ديناً منذ القرن الأول الهجري بصفة اجماعية واتخذوا العربية لساناً ، والسنة المحمدية مذهباً ، لا فرق في ذلك بين جبال الجزائر وسهولها ونجودها وصحرائها ولطالما حاول المستعمرون وأنصار المستعمرين أن يحدّثوا التفرقة بين المسلمين بإثارة النعرات العصبية والجنسية التي يحاربها الإسلام وتقاومها الوطنية ، فأنجح الاستعمار في ذلك ، لا قليلاً ولا كثيراً .

وقامت الثورة الكبرى على الاستعمار ونظمه وأحكامه ، فإذا بالأمة الإسلامية الجزائرية تهب كلها عن بكرة أبيها ، مشاركة في الثورة ، مؤيدة لها ، ولربما كانت الجهات التي حاول الاستعمار إيعادها عن العروبة وصدها عن الإسلام ، أكثر الجهات إمعاناً في الثورة وإقداماً عليها .

أما إذا نظرنا إلى أصول المسلمين الجزائريين ، نظرة بحث علمي بحث ، رأيانهم ينحدرون من أصلين اثنين : الأصل الأمازيغي ، الذي أطلق عليه



اللاتينيون ومن والاهم اسم البربر ، والأصل العربي الوارد مع الفتوحات الإسلامية .

### العرب :

العرب هم الأغلبية الساحقة من سكان القطر الجزائري ، ( ٧ من ١٠ ) . وقد استقرت أقدامهم في بلاد المغرب العربي منذ أيام الفتح الإسلامي الأولى ، وتغلغلوا بين السكان الأولين الأمازيغ — نسبة إلى جدهم الأعلى مازينغ — يعلوهم الدين ويجمعونهم حول القرآن وسنة محمد صلى الله عليه وسلم .

لكن الجند العربي الأول ، جند الرواد ، لم يكن كثير العدد ، فبقيت أكبر أقسام البلاد على مازينيتها ، إلى أن حدثت تلك الهجرة التاريخية الشهيرة ، هجرة قبائل بني هلال وبني سليم ، من صحراء شرق النيل إلى المغرب العربي ، سنة ٤٤٤ هجرية ، فتدفق سيلهم وتكاثر عددهم ، وانتصبوا في سائر السهول والواحات وأغاب الجبال ، واختلطوا بالعنصر الأمازيغي المسلم اختلاطاً وثيقاً فتصاهر العنصران وامتزجا ، وصهرتهم بوتقة الإسلام والعروبة ، فكانت منهم الشعب الجزائري ، العربي المسلم ، المجاهد في سبيل دينه وعروبه ووطنه .

كان الخليفة الفاطمي المستنصر ، يريد أن ينتقم من أمراء صنهاجة في المغرب العربي ، لأنهم خلموا بيعته ، وخطبوا باسم الخليفة العباسي ، فأمر

اعراب الصحراء الشرقية المصرية بالاجتياز إلى أرض المغرب ، وما كان يدور بخلفه يومئذ أنه وطد أقدام العروبة في هذه الأرض إلى الأبد . فرغم وقوع اضطراب سياسى واقتصادى فى البلاد من جراء هذه الهجرة ، دام عدداً من السنين فقد تمكن السكان الأقدمون من أمازيغ وعرب ، والسكان الجدد ، من بنى هلال وبنى سليم ، من الاختلاط والامتزاج ، فتكونت الجامعة الإسلامية العربية على فلول العنصرىات القديمة .

والعرب فى قطر الجزائر ينتسبون إلى هذه القبائل العربية الأصيلة :  
أتبج — جوشم — رباح — زغبة — معقل — وكلهم من بنى هلال  
ابن عامر .

ثم قبائل : دياب — هيب — زغب — عوف — وهم من بنى سليم  
ابن منصور .

ومن أراد الاطلاع على تفصيل قبائل العرب ، وأصولهم وبطونهم ، ومصاربهم ، ومواطنهم فى القطر الجزائرى ، فإنه يجد ذلك مفصلاً فى كتابات (كتاب الجزائر) صفحة ١٢٩ إلى صفحة ١٣٨ .

والعرب اليوم فى قطر الجزائر يشحون بأرقى وأرفع ما فى العادات والتقاليد العربية الكريمة : النجدة والروءة والكرم والوفاء . ولسانهم — وخاصة فى الجهات التى لم تدنس باستقرار الاستعمار الفرنسى — فصيح بصفة مدهشة ، لم يختلط بأى كلمة دخيلة ، فهم يتكلمون لغة قريش ،



( شكل ٧ ) جِباء الواحة العربية

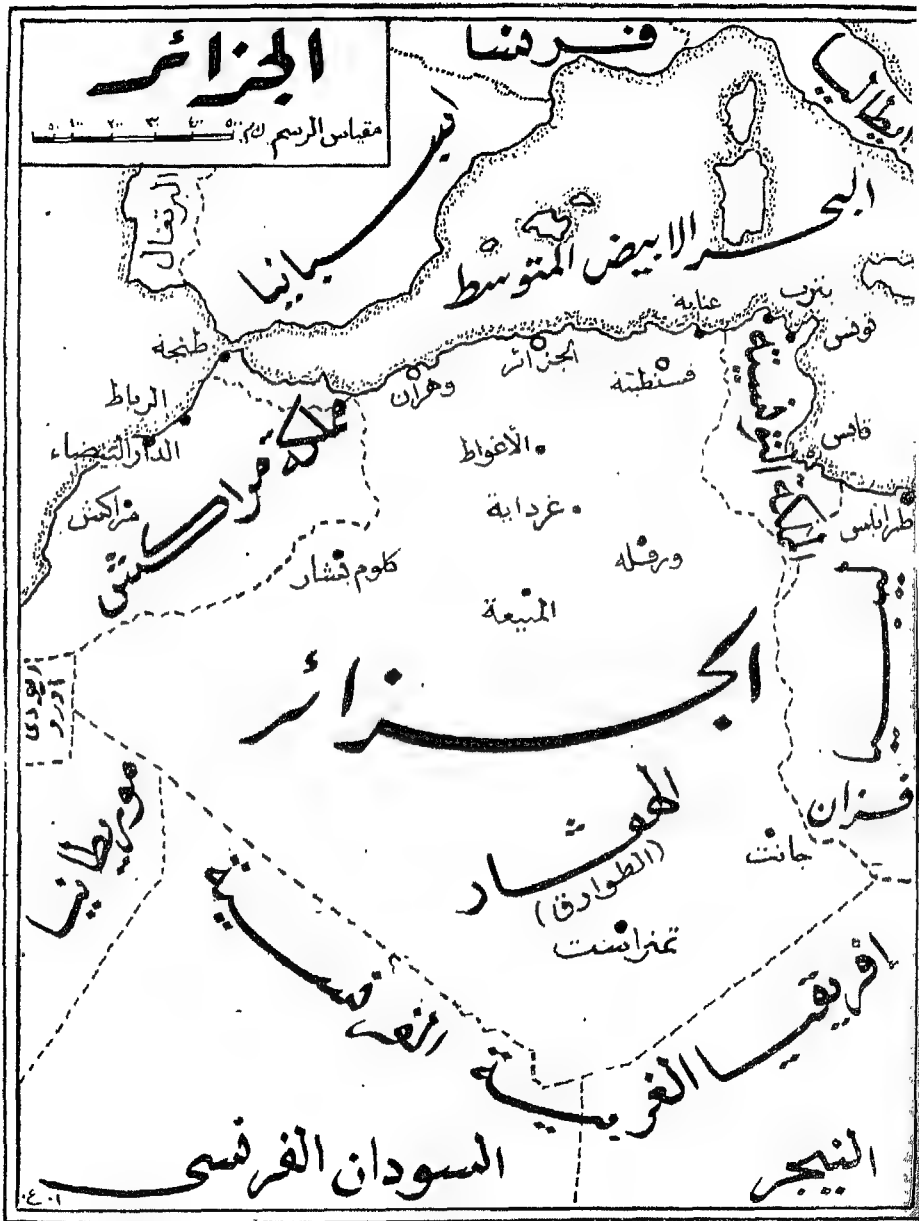
«يستعملون تراكيب القرآن ، وراثه عن آبائهم وأمهاتهم لا تعلموا وتصنعها  
وهذا شأن البادية الجزائرية كلها ، وخاصة في النجود وفي الجنوب .

### الأمازيغ ( البربر ) :

هم أصل سكان المغرب العربي كافة ، وهم الذين اخترقوا عشرات القرو  
من تاريخه ، كما سيمر بك بعد قليل ، إلى أن وحد الله البلاد تحت را  
الإسلام في دائرة العروبة .

وهل الأمازيغ الأحرار ، بملاء عن العرب ، أغراب عن العرو  
الأولى ؟ كلا ! فان خلدون مؤرخ البربر الأكبر ، وعمدة تاريخ البلاد القدي  
والمعتر بأصله البربري كما يبدو من تاريخه ، يؤكد أن الأمازيغ أو البربر  
أبناء : مازيغ بن كنعان بن حام ، وأن أصلهم من جهات ما بين النهر  
بآسيا ، ثم ارتحلوا إلى بلاد المغرب ، مارين بالبلاد المصرية ، وقد أخذوا  
منها بعض الطقوس الدينية ، كمباداة « عمون » وآثارهم المنقوشة العتية  
ببعض جهات الجنوب تؤكد هذا .

ثم إن بني كنعان من أهل فنيقيا ، قد اختلطوا بامازيغ اختلاطاً وثيقاً  
منذ سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وإذا كانت لغة الفنيقيين عربية تشبه إلى  
بغيد اللهجة العربية المستعملة اليوم في بلادنا ، فاستعمل البر  
الأمازيغ تلك اللغة ، وأصبحت لسان المعاملة والعلم بينهم ، قبل انبثا  
فجر الإسلام بنحو ١٧٠٠ سنة .





وأغلبية الأمازيغ المستقرين بالقطر الجزائري ، والذين لم يندمجوا اندماجاً تاماً في العرب ، من قبائل البرانس ، ومنها : صنهاجة ، وكنانة ، ومصمودة ولطة . والأمازيغ البربري ، في الجهات التي يسكنها بالبلاد الجزائرية ، يمتاز بالصلابة والشجاعة ، والتصلب للرأى ، وعشق الحرية إلى درجة الهيام ، وهو يسكن غالباً الجهات الجبلية الوعرة ، التي آوى إليها إثر الحروب الكبيرة التي اصطلت بنارها منذ عهد روما ، ويعيش فيها عيش السكد والعمل والإقلال ، فيشارك الرجل والمرأة والصبي في الأعمال الملهقة للاحتفاظ بالحياة في بلاد الآباء والأجداد . والأمازيغ البربري في جباله محافظ — مع إسلامه المتين — على تقاليد وعوائده ، مضياف كريم ، رغم فاقته ، لا يصبر على عار ، ولا يضييع عنده ثأر .

والكتلة الامازيغية الكبرى في قطر الجزائر ، هي جبال الجرجرة ، أو بلاد القبائل الكبرى ، وأهمها قبيلة « زواوة » وتقع شرق مدينة الجزائر موازية للبحر ، ففي هذه الجبال المنيعه التي صارت الأمم وغالبت الدول ، وسجل التاريخ على فجاجها ومرتفعاتها أروع صفح البطولة والنجدة ، يعيش في ضيق مادي وأدبي مليون إنسان ، يحتفظون بنظام العائلة والصف ويدينون جميعاً بالإسلام الخنيف ، ولهم صلابه فيه ، ويتكلم أكثرهم اللغة العربية إلى جانب اللغة المحلية ، فليس فيهم من لا يتكلم العربية ، إلا نحو ٥٠ ألفاً من الناس ، ورغم أن الاستعمار قد أصاب سكان هذه البلاد بنكبات فادحة ، واستحوذ على أجود أرضهم الجبلية ، فقد حاول أن يفصل بينهم (م — ٣ هذه هي الجزائر)

وبين العرب ، وأن يقطعهم من جسم العروبة والإسلام ، فنشر بين ربوعه التعليم الحكومى الفرنسى ، وقاوم العربية مقاومة عنيفة ، وحارب الإسلام حرباً لا هوادة فيها ؛ وأفسح الطريق أمام الإرساليات المسيحية التى تنادى بالنعرة البربرية ، وتدعو الناس جهاراً لمقاومة العربية والإسلام ، لى تكون له فى هذا القطر فئة من أهل البلاد ، لغتها الفرنسية ، ودينه المسيحية ، ولكن أهل البلاد قاوموا وتصلبوا فباء الإستعمار بالغسل الذرى بفضل الدعوة الإسلامية التى قام بها الشيوخ المسلمون قديماً ، والنهضة الحديثة التى تولت كبرها جمعية العلماء المسلمين ، والبعث السياسى الذى على أيدى الأحزاب الوطنية الجزائرية ، خسر الاستعمار معركته ، فإذ بالسكتلة الأمازيغية البربرية تقف اليوم فى صف الثورة الكبرى ، تحت راية الإسلام ، والعروبة ، ووطنية الجزائرية ، وقد ذابت فى جميع ذلك كل الفروق ، ولم تبق لكل أبناء الوطن من غاية ، إلا الاستقلال الوطنى ولم يبق لهم من عدو ، إلا الاستعمار الغاصب .

## الفرنسيون

الفرنسيون المستقرون اليوم بأرض الجزائر على نوعين : النوع الأول مؤلف من أبناء فرنسا الذين دخلوا البلاد مع جنود الاحتلال فاستولوا بحكم الفتح على أرضها وعلى خيراتها وأموالها ، أو الذين جاؤا بعد الفتح جموعاً متوالية ، تنشطهم على ذلك حكومتهم وإدارة البلاد ، لى ينالوا





( شكل ٨ ) الأمازيغ الأباة في جبال جرجرة

الثروة والسلطان دون تعب أو مشقة ، وأكثرهم من جزيرة كورسكا  
وجمات الأتلاس والورين .

أما النوع الثانى ، فهو خليط من أبناء العنصر اللاتينى ، من إيطاليين  
وإسبانيا ، جاءوا البلاد واستقروا فيها وأغدقت عليهم السلطة الأموال  
ومنحتهم الأرض الشاسعة ، لكي يتضخم بهم عدد الجالية الأوروبية  
المسيحية ، فنالوا الجنسية الفرنسية ، وأصبحوا فى بلادنا سادة ، بعد أن  
كانوا فى بلادهم حثالة ، بل أصبحوا الحاكمين بأمرهم ، وأعجاب السلطة  
المطلقة مع بقية الفرنسيين

فهؤلاء الفرنسيون أو المتفرنسون ، الذين بلغ عددهم اليوم نحو ثمانمائة  
ألف رجل ، هم سبب مصيبة القطر الجزائرى ، وهم أصل الداء الذى عانت  
البلاد منه الأمرين ، إلى أن وصلت بعد المحاولات العديدة إلى الثورة  
الكبرى الحالية ، التى لا تكون وراءها إلا الحياة الحرة أو الموت الشريف .  
تجمع بين أفراد هذه الطائفة التى تدعى «فرنسية» رابطة مقدسة ذات  
شعار مربع : الاستبداد ، الاستحواذ ، الاحتقار ، التنكيل .

١- فالاستبداد جعل هذه الطائفة المحظوظة تستأثر وحدها بكل مقاليد  
الحكم فى البلاد ، فهى الدولة ، وهى الإدارة ، وهى الحكومة ، ولا تسمح  
لأحد ، ولا لحكومة فرنسا نفسها ، أن يزج بأبنائه فى أمور القطر الجزائرى ،  
فهى تراه ملكها الخاص بها . ووصل بها الأمر مرارا إلى تهديد فرنسا بالانفصال  
عنها ، وتشكيل دولة عنصرية فى قطر الجزائر على غرار دولة الدكتور

مالان الدينية في اتحاد جنوب افريقيا . ولقد قاوموا كل اصلاح ، ووقفوا الموقف الضارم ضد كل محاولة لأزالة شيء من الحيف الفظيع والاحجاف الفاضح الذي أوجدته إدارتهم وحكومتهم بالقطر الجزائري . فبواسطة أموالهم الطائلة وصحفهم القوية ، وسماسرتهم . . . الموجودين في الوزارات والمجالس النيابية الفرنسية ، كانوا يتصرفون في أمور الدولة ، ويمعدون عن القطر الجزائري كل وال وكل موظف لم يخضع لإدارتهم ، أو تقاعس عن تنفيذ أغراضهم . وآخر منظر لهم من مناظر هذا الاستبداد الفظيع ما قابلوا به — يوم ٦ فبراير سنة ١٩٥٦ — تميين الجنرال كاترو من قبل حكومة في مولي الزعيم الأشتراكي حتى اضطروه لتقديم استقالاته ، لأنهم ظنوا أنه ربما أنصف المسلمين في شيء ، ثم ما قاموا به نفس ذلك اليوم ، في مدينة الجزائر العاصمة ، من اعتداء منعدم النظير على شخص رئيس الحكومة ، وقذفه بالشتائم المقذعة ، فما وسمه إلا أن انهار أمامهم ، ورضخ لإرادتهم ، وأصبح لسان الدفاع عنهم ، يلتبس لهم المعاذير .

٢ — والاستحواذ وهو المصيبة الثانية ، جعل هذه الطائفة تستأثر بكل شيء في القطر الجزائري ، فلها كما رأينا الحكومة ؛ ولها الإدارة ؛ ولها المجالس المنتخبة ؛ ثم لها وحدها كامل الأرض الزراعية الخصبة في كل البلاد الجزائرية ، ولها كل البنوك ، وكل الشركات ؛ وجميع رؤوس الأموال ، ولها كل المناجم ، وكل المعادن ، وكل حركات التجارة بين صادر ووارد ، ولها كل الصناعة القليلة التي وجدت في البلاد .

أما أهل البلاد ، التسعة ملايين من السكان المسلمين ، فقضارى أمرهم

أن يكونوا في أرض آبائهم وأجدادهم أجراء ، يكدحون آناء الليل وأطراف النهار ، مقابل مالا يكاد يسد الرمق . أما في الإدارات ودواليب الحكم وشركات الأعمال الكبرى ، فلا يوجد من المسلمين أحد . فالوظيفة وقف على الفرنسي ، والعمل أن أرتفعت درجته وقف على الفرنسي ، ( من ٥٠٠٠ موظف بالدواليب الحكومية لا يوجد إلا ٨ فقط من المسلمين ) .

٣ — الاجتهاد : وهو ثلاثة الأثافي . فهذا العنصر الذي أصبح يمتدح اعتقاداً دينياً أن الله قد خلقه وفضله في أرض الجرائر على العالمين ، لا يكتفى بالاستبداد في الحكم ، ولا بالاستئثار بسائر وسائل الثروة والعمل والإنتاج ، بل يعزز ذلك بصفة ملازمة لا يشذ عنها إلا في النادر القليل ، ألا وهي احتقار المسلم ، وامتهانه ، والإيمان في إذايته ، والتفني في تلقيبه بالألقاب الجارحة . فكل مسلم عند هؤلاء القوم أما ( بيكو ) يعني القذر ، وأما — ترون فيشي — يعني جذع التين الشوكي ، وكل سيدة مسلمة عندهم إما « لاموكير » أو « فاتما » وليقس ما لم يقل . ولو أردنا أن نضرب الأمثال على ذلك لكتبنا عنه الصفحات الطويلة . إنما نحن لم ننس أننا ما كتبنا هذه الرسالة إلا لعرض على تحليلي ، لا لتتخذ منها وسيلة للدعاية والتشهير ولو بالحق . ومن أمثالهم المألوفة المعروفة : « العربي هو الخطر ! » و « إذا رأيت في طريقك عربياً وأفعى ، فبادر بقتل العربي قبل الأفعى » .

٤ — التنكيل : يعلم هؤلاء القوم ، أن حكمهم الغاشم المبني على القوة

والاستبداد لا يمكن أن يستمر وأن يدوم ، إلا ما دام المسلم الجزائري ، جاهلا ، فقيرا ، مهملا ، فاقد الصوت والمكانة ، فهم يسرفون في سياسة التجهيل والتفكير ، وقد أصبحت عندهم نوعاً من الهيستريا الجماعية — ولا أقولها تحاملا — فكل مسلم تعلم ، فهو عدو يجب محقه ، وكل مسلم أترى — وذلك هو النادر — فهو الخصم الذي يجب أن يحطم . لهذا فهم يعمنون في إحصاء أبواب العلم والمعرفة في وجه الأمة ( أنظر قسم التعليم فيما يلي ) ويحاربون العربية والدين الإسلامى محاربة لا مثيل لها في الدنيا ، ويقفون بما في أيديهم من نفوذ وسلطان ضد أى مشروع اقتصادى لعرب القطر الجزائري .

فإذا ما وقعت عملية زجر وقع ، بادروا قبل كل شئ بقتل وإفناء الطبقة المتعلمة والطبقة الثرية ، كما وقع في حوادث ١٨٧١ و ١٩٤٥ و ١٩٥٥ .

وقد تفننوا في وضع القوانين الصارمة المنافية للإنسانية ، لإنزال البطش والتنكيل بالمسلمين ، كقوانين الأهلية « الأنديجنا » وقوانين المسؤولية الجماعية التى تصيب كامل القرية أو القبيلة لذنب — نظرى — يجترحه أحد أفرادها . ثم هم يفتنمون أول فرصة تسنح لهم ، للقيام بأعمال الزجر الفظيعة الرهيبة ، بدعوى إخماد الفتنة وضرب المثل ، فآلاف الناس من رجال وشيوخ ، ونساء وصبيان يقتلون تقتيلا شنيعا ويمثل بهم ، بعد انتهاك الحرمات بصفة يتورع عن وصفها القلم الزهيه . فبلاد القبائل

الكبرى، وبلاد أوراس، والمواطن الواقعة بين قالة وسطيف وخراطه قدشاهد من ذلك قصولا من العار والشنار لا تمحوها يد الدهر كحوادث (٨ مايو سنة ١٩٤٥) ثم حوادث الثورة الأخيرة وما يسلكون فيها من سياسة البطش الجماعى، وتحطيم الجهات العديدة وإذ كل مراسم الحياة فيها. فأسفرت حوادث ماى سنة ١٩٤٥ عن ٤٥ ألف من القتلى، وأسفرت الحوادث الأخيرة عن ١٣٠ ألفاً من الشهداء يومنا هذا، وهذه هى سياستهم منذ سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٩٥٦.

فمن علم كل هذا، ومن علم ما سنقوله بعد هذا، لا يجب من وقوع الثورة الجزائرية الكبرى سنة ١٩٥٤، بل يجب ويعين في العجب كيف أنها لم تقع قبل ذلك!

واليوم، نفس هذا اليوم، بينما تضج الدنيا بأسرها مما هو واقع بقه الجزائر من مجازر وفضائح وموبقات، وحرب ضروس لا تبقى ولا تذر وبينما يقف الكثير من أحرار فرنسا ورجال الفكر والأدب والسياس فيها موقف الحزم والصراحة فى استنكار هذه الأساليب الوحشية؛ نرى الفرنسيين فى قطر الجزائر - إلا النادر القليل - لم يتعلموا من منطوق الحوادث شيئاً، ولم ينسوا من تعاليمهم القديمة شيئاً، فهم يرون أن لاعلان للحالة إلا بتحطيم كل وسائل المقاومة فى أيدي المسلمين، ثم الإمعار فى السياسة الاستعمارية التقليدية، كأن لم تقع ثورة بدلت الأرض غير الأرض وأوصدت أبواب الماضى، وفتحت أبواب المستقبل!

هذا هو وصف الفرنسي الجزائري . أو بالأحرى : اللاتيني الجزائري .  
لأن هذا العنصر أناى إلى درجة أنه لا يفكر فى فرنسا إلا متى استطاع  
الاستفادة منها . وبما أن فرنسا ترى أنه لا يمكن لها البقاء فى أرض  
الجزائر إلا إذا ما هى خدمت ركاب هذا العنصر ونفذت له رغائبه ، فإنها  
كانت له — ولا تزال — المطية الذلول ، إلى أن تتمكن الأمة الجزائرية  
الجبارة من تغيير هذا المنكر العظيم بقوة سواعدها ودماء شهدائها  
وصادق عزيمتها .

## اليهود

يبلغ عدد اليهود فى القطر الجزائرى نحواً من مائتى ألف نسمة ولقد  
كانوا يماثلون فى القطر الجزائرى قبل الاحتلال معاملة أهل الذمة ،  
ويعتبرهم المسلمون حيراناً لهم يرعون عهدهم ويحققون لهم حرية العمل  
وحرية المعتقد ، بل كان اليهود ينالون أحياناً المناصب الرفيعة فى الإدارة ،  
وخاصة — أيام الجمهورية الجزائرية — العثمانية ودولة الجزائر الحرة العربية .  
وكان اليهود يلجأون إلى قطر الجزائر كلما نابتهم نائبة فى أقطار البحر  
المتوسط ، فمن أيام بختنصر ( ٣٣٠ ق . م ) إلى أيام انهيار الدولة الإسلامية  
ببيلاد الأندلس ، ( أواخر القرن الرابع عشر ) كانت وفود اليهود ترد  
على البلاد الجزائرية ، فتحل فيها على الرحب والسعة .  
لكن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم جالية مستقلة ، فلا يشاركون فى

الدفاع عن البلاد ، ولا يراعون مصلحة الوطن في معاملاتهم التجارية والاقتصادية ، وجاء الاحتلال الفرنسي فمملوا إلى جانبه ، واشتغلوا له سمامرة وتراجمة ، وأثروا ثراء عظيما ، وأخذوا في الاستيلاء على مرافق البلاد التجارية والاقتصادية ، وكانوا لا يزالون معتبرين من الأهالي . إلى أن انتصبت حكومة الثورة سنة ١٨٧٠ في باريس ، وكان من بين أعضائها اليهودى « كريميو » فأعلن فرنسا كل يهود الجزائر الشمالية ، وأخذوا من ذلك الوقت يندبحون في الحياة العامة الفرنسية اندماجاً تاماً ، وغيروا أسماءهم وألقابهم ، وتصاهروا مع الفرثسيين وتغلغلوا في وسط عائلتهم ، إلى أن قامت ضدهم فتنة من الفرنسيين في البلاد الجزائرية سنة ١٨٩٧ . فسانجوا من المذبحة إلا بأعجوبة ، لكنهم عادوا بعد قليل إلى مكانتهم ونفوذهم .

وإنهم لا يزالون يسلكون سياسة اللعب على حبلين ، فهم فرنسيون . استعماريون غلاة ، إن كانوا مع الفرنسيين ، وهم « أبناء البلاد » إن كانوا مع المسلمين في تجارة أو معاملة ، إلى أن انهارت فرنسا بصفة فاضحة مخجلة سنة ١٩٤٠ ، ولم تستطع الثبات في وجه ألمانيا أكثر من نصف شهر ، فسلكت حكومتها سياسة الميز المنصرى الألمانية ، ونزعت عن يهود الجزائر جنسيتهم الفرنسية ، فأصبحوا من جديد « أنديجين » ، وحجزت أملاكهم ، وأبعدوا عن منابع الثروة . فكثير عندئذ تقريبهم من المسلمين ، وأخذوا يذكرونهم بحسن الجوار القديم .



لكن ، ما كاد الحال يتغير بانتهاء المتحالفين ، حتى عاد اليهود سيرتهم الأولى ، واستعادوا أموالهم ، ونفوذهم ، ومراكزهم ، وجنسياتهم الفرنسية .

وفاجأتهم الثورة وهم على تلك الحال .  
ولقد أعلنوا أنهم يلازمون سياسة الحياد ولو بصفة ظاهرية . ويبدى صغارهم للمسلمين وخاصة في المدن الصغيرة ، عطفه ، كما يبدى كبارهم للمستعمرين تأييدهم ، وربط مستقبلهم بمستقبلهم ؛ إلى أن تخرج الموقف أخيراً — في ماي سنة ١٩٤٦ — إذ شارك رعاهم في أعمال التتكيل والزجر بمدينة قسنطينة — إلى جانب الفرنسيين ، فقتلوا جماعة من المسلمين وهددوا بقتل جماعة أخرى ، بدعوى أن أحد اليهود قد قتل أثناء عملية من عمليات الثورة .

فأعلن المسلمون أخيراً في جهة قسنطينة مقاطعة التجار اليهود — تأديباً لهم — وأخذت هذه الحركة تنتشر وتعم . ويقول الجزائريون اليوم وقد وصلت قضية الجزائر إلى هذه المرحلة الحاسمة : على اليهود أن يبينوا موقفهم بصفة صريحة لا التواء فيها ، وإما أن يعتبروا أنفسهم جزائريين ، فيعملوا ما توجبه عليهم جزائريتهم ، وإما أن يعتبروا أنفسهم فرنسيين ، فنعاملهم في جزائر الغد على تلك القاعدة .

ولم يقل اليهود بعد كلماتهم في هذا الصدد ، لكن نقول لهم بكل صراحة : إن من لعب على حبلين يوشك أن يخسر الصفتين .



والآن ، وقد عرفت الأرض وتعرفت على السكان ، اتريدان أن تجولا  
معى جولة قصيرة خلال تاريخ هذا القطر المجاهد ، من أوائل عهده إلى  
يومنا هذا ، اترى كيف جاهد خلال عشرات القرون فى سبيل حريته  
والذود عن حماه ، وكيف هو أقام أسس الدول العظيمة ، وأنشأ الحضارات  
العريقة ؟

إن أردت ذلك ، فهلم معى نخترق غياهب العصور ، إلى أن نصل إلى  
الاحتلال الفرنسى ، ثم ندرس بعد ذلك آثار هذا الاحتلال ، وتطوراتهِ ،  
وما عمله لتخطيط الأمة الجزائرية ، وماذا كانت آثاره فى المجتمع وفى  
اقتصاد البلاد ، إلى أن تجتد أن الثورة الحاضرة كانت ضربة لازب ،  
وكانت النتيجة الطبيعية المحتمة لهذا الاستعمار الفظيع ، ونلج بعدئذ ميدان  
الثورة ، فنلقى على جوانبه وعلى أغواره نظرة فاحصة ، نرى بها أعمالها ،  
ونشاهد بها تحقيق آمالها . فها بنا ...

## القسم الثالث

### ما يجب أن نعرف عن تيارخ الوطن الجزائري

#### ١ - الفنيقيون

كانت أمة الأمازيغ الأحرار « البربر » تعيش عيشة بدائية ساذجة فوق أديم أرضها بكامل تراب المغرب العربي ، وكانت مقسمة إلى عشائر متعددة ، وممالك صغيرة محلية ، إلى أن جاءها النور من الشرق العربي ، منذ ثلاثة آلاف سنة .

ذلك أن الفنيقيين ، عمالقمة الحضارة القديمة ، ومخترعي الأحرف . الهجائية ، ومكتشفى أقطار العالم بواسطة مغامراتهم البحرية التجارية ، قد أموا بسفنهم وبمصنوعاتهم سواحل المغرب العربي ، واستقروا فيه . ولم يكونوا مستعمرين ولا فاتحين ، إنما كانوا رواد مدنية ، ودعاة تبادل ثقافي . واقتضادى ، على بساط السلم والمعاملة الحسنة ، فأسسوا على سواحل القطر الجزائرى مدناً كانت تدعى المراكز التجارية ، ومنها : عنابة ، وبجاية ، وجيجل ، وتنس ، وغيرها . وأصبحت هذه المدن بعد قليل أسواقاً وطنية تؤمها جموع الأمازيغ من كل جهات البلاد ، للتبادل التجارى ، وللتعلم ، والاطلاع على أنباء الدنيا .

وإذ كانت اللغة الكنعانيين عربية الأصل<sup>(١)</sup> ، فالأمازيغ قد أخذوا  
بكثرعون من حوض تلك اللغة ، وجعلوها لسان الطبقة الراقية منهم  
ثم أخذوا عن الفنيقيين كذلك دينهم الوثني : عبادة الشمس « بعل » والقمه  
« تانيت » وغيرها .

فالقطر الجزائري قد تلقى النور من الشرق ، واندمج في الحضارة  
الشرقية واصطبغ بها إلى الأبد .

## ٢ — قرطاجنة ونفوذها العظيم

في سنة ٤٨٠ ق.م . حدث في بلاد المغرب العربي حدث غير مجرّد  
التاريخ . ذلك أن أميرة فنيقية أسست مع جماعة من الأشراف ، مدينة  
جديدة في الشمال الشرق من مملكة تونس ، أسمتها « قرطة حدث » أو  
القرية الحديثة . وهي التي أصبحت بعد تحريفها : قرطاجنة .

فهذه القرية الحديثة أصبحت بعد قليل ، الدولة الحديثة . وما عتصمت  
أن صارت الامبراطورية الحديثة . فالدولة القرطاجنية الكنعانية ، وطدت  
أركانها في كامل أطراف المملكة التونسية ، ثم بسطت نفوذها وسلطانها  
بصفة سلمية على كامل بلاد المغرب العربي ، وعلى الأخص بلاد الجزائر .

---

(١) تدل على ذلك الكتابة التي تركوها منقوشة على الحجارة ، بحيث أذ  
للإنسان يستطيع فهمها دون أدنى مشقة ( أنظر كتابي « تقويم المنصور » ج • طبع  
الجزائر سنة ١٩٢٩ . .

وكان من تأثير قرطاجنة على أمراء البربر الأمازيغ ، أنهم أخذوا يقتدون بها في إنشاء الممالك الواسعة ، والمواضع الفسيحة ، وتعدهم هي بالخبراء الذين يساعدون على تدوين الدواوين ، وتنظيم أمور المملكة ، وهكذا نشأت بقطر الجزائر دولة نوميديا العظيمة .

### ٣ — نوميديا وملوكها

في قرطبة ( قسطنطينية ) اليوم ، استقر الملك شاتخاً عظيماً ، وحاول ملوك دولة نوميديا أن يجمعوا شمل كامل قطر المغرب الأوسط ، فيما بين دولة قرطاجنة ( مملكة تونس ) ودولة موريطانيا ( مملكة مراکش ) ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد . وكانت الدولة الجزائرية قد انتظمت وتوحدت لأول مرة في التاريخ حوالى سنة ٣٠٠ ق . م . وتولى أمرها ملوك سجل التاريخ أسماءهم بأحرف بارزة .

وهنا اصطدم القطر الجزائري بالاستعمار ، والاستعمار اللاتيني بعينه ، لأول مرة في تاريخه ، حوالى سنة ٢٥٠ ق . م .

ذلك أن دولة روما الناشئة قد أخذت تتحدى دولة قرطاجنة الضخمة المترفة ، ودخلت معها في سلسلة من الحروب العظيمة التي دامت نحو المائة عام ، ظهرت أثناءها شخصية أعظم قادة الدنيا على الإطلاق ، « حن بعل » ويدعوه الأوروبيون « هنيبال » ، وإذ كانت روما أكثر نظاماً ، وأوفر قوة ، وإذ كان جندها جنداً منظمين منقاداً أحسن انقياد ، بينما كان جند

قرطاجنة من المرتقة ، كتبت الغلبة لرومة ، وعث بصفة إجرامية فظيعة  
مدينة قرطاجنة من الوجود ، فطمست بذلك صفحات مدنية من الملح  
مدنيات العالم القديم ، وكان سكان قرطاجنة العاصمة يبلغون ساعة الغتاك  
بالمدينة ٨٠٠ ألف نسمة ؛ لم يبق منهم بعد النكبة إلا ٣٥ ألفاً !

لعب الأمازيغ دوراً حاسماً في هذه الحروب . وانقسموا إلى حزبين :  
حزب أراد الوفاء لقرطاجنة ، وتحقيق الاستقلال الوطني بواسطتها .  
وكان على رأس هذا الحزب الملك صفاقس . وحزب آخر ، رأى أن كفة رومة  
هي الراجحة وأن دولة قرطاجنة قد دالت ، واعتقد أن الحكمة تقضى  
عليه بنصرتها والاحراز على رضاها ، وعلى رأس هذا الحزب الملك ماصينيسا .  
وكانت الغلبة له وللرومان المستعمرين الذين أيدهم وساندتهم رجاله وبدهائمه .  
وهكذا انتهى أمر دولة قرطاجنة التي كانت أول دولة ديمقراطية  
في العالم ، إذ كان يشرف على نظامها مجلس نيابي يمثل أصحاب المصالح وعدد  
أعضائه ٣٠٠ نائب ، ومجلس القدياء أو الأعيان ، ويشمل مائة عضو .  
ويتولى السلطة التنفيذية سبطان : سبط البر وسبط البحر (جمعه أسباط) .  
لكن نفوذها الأدبي ، وسلطانها التمديني ، قد عاشا بعدها في قطر  
الجزائر مئات السنين ، حتى جاء الإسلام بنوره الساطع .

#### ٤ — الاستعمار الروماني

خيم الرومانيون على البلاد بصفة قاسية ، وكان تاريخهم فيها ، وقد دام

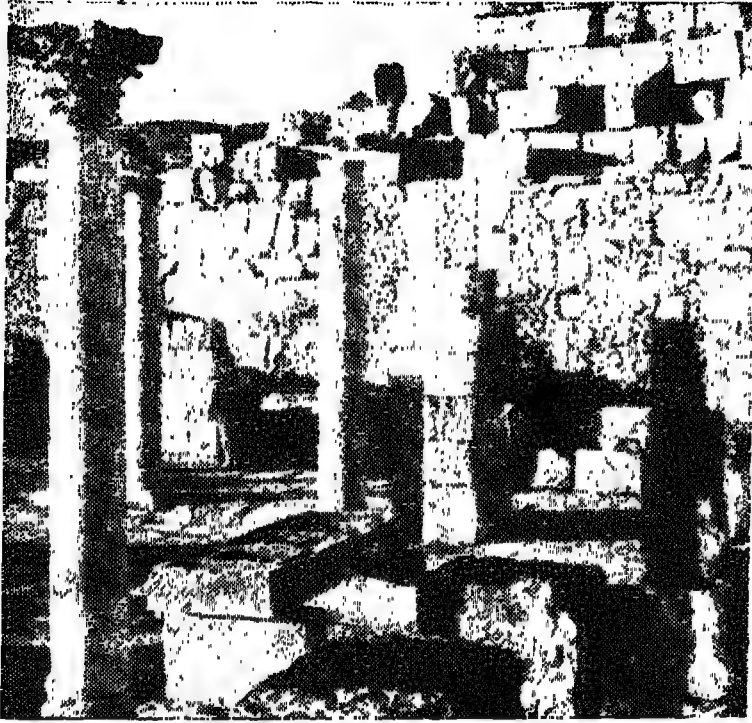
٧٠٠ عام ، ينقسم إلى خمسة أدوار :

الدور الأول : دور « الحماية » فقد اعترفت روما بملكه نوميديا ، وتركت ماصنيسا يديرها إدارة مستقلة تحت إشرافها ونفوذها الذي أخذ يعظم وينتشر . فرأى في آخر أيامه أنه قد أصبح صورة لا حياة فيها ، وأن الاستقلال والاحتلال لا يتفقان أبداً فقضى نحبه خائب الأمل . وهكذا كان شأن بقية الملوك الذين نصبهم رومة تحت حمايتها .

الدور الثاني : دور النزاع المسلح بين الوطنية النوميديّة « الجزائرية » وبين الجيوش الرومانية . إذا ما كاد الملك العظيم « يوغورطا » يتربع على عرش قرطه ، ويحكم نوميديا ، حتى رأى أن الحرب قد أصبحت ضربة لازب ، فإما استقلال وإما فناء . وحياة الذل والخضوع حرام على كرام الرجال .

ورأى الرومانيون كذلك أنهم إن تركوا هذا الملك وشأنه ، عظم أمره ، فاستعدوا له ، واستعدوا عليه ، وما عتمت الحرب أن اشتعلت شديدة قاسية بين الجانبين ، واستبسل النوميديون « الجزائريون » استبسالاً في الدفاع عن استقلالهم وحريتهم ، لم يسمع المؤرخ الروماني « سالستس » إلا تسجيله وتمجيده . ودامت هذه الحرب زهاء الثلاثين سنة ، وامت سائر جهات القطر الجزائري ، وانتهت بانهباء الحق أمام نوة ، وموت البطل يوغورطا جوعاً في سجون رومة الطاغية .

( م ٤ — هذه هي الجزائر )



( شكل ٩ ) بقايا مدينة جميلة الرومانية

الدور الثالث : انتهى أمر دولة نوميديا ، ورضخت البلاد لسلطان  
 رومة القاسي العنيف مرغمة ، لكنها وجدت مفرجاً لكربتها ، بتلك  
 الحروب الطاحنة التي كانت تدور بين كبار القواد والأباطرة من الرومانيين  
 في سبيل الاستئثار بالملك والسلطان . فكان زعماء الأمازيغ « البربر



ينضمون أحسب مصالحهم المحلية ، إلى هذا أو إلى ذلك ، طمعاً في التخلص من الاثنين معاً . إلى أن انتهى عصر الأباطرة ، وجاء عهد الجمهورية في رومة .

الدور الرابع : اتفقوا على تسميته بعصر السلام الروماني . ومن أراد أن يفهم شيئاً عن هذا العصر الذي دام نحو مائتي عام ، فليدرس نظام الاستعمار الفرنسي اليوم بقطر الجزائر ، فهو يسير على غراره ، ويتبع تقاليده :

الاستبداد بالحكم دون أهل البلاد — الاستيلاء على كامل الأرض الفلاحية وتوزيعها على المستعمرين الرومانيين — إسكان نحو مليونين من مستعمرى الرومان بالبلاد ، وإقامة المدن الشاهقة والمسارح العظيمة والمنشآت الضخمة لهم — احتقار أهل البلاد واعتبارهم خدماً لركاب الاستعمار لا يعيشون إلا به ولا يحبون إلا له .

الدور الخامس : وهو الدور النهائى الطبعمى المنجر مما تقدم . فإن الأمم تهمل الاستعمار ، حتى إذا أخذته لم تفلته . فأنوار الدين المسيحى قد أخذت تتسرب إلى القطر الجزائرى ، وأقبل الأمازيغ عليه أفواجا ، فنالهم العقاب الصارم الذى كان مهيباً للشهداء . وما كابت المسيحية تصبح ديناً للدولة ، حتى اعتنق الأمازيغ نوعاً من الاعترال ، وأخذوا الدين مطية للثورة .

فن نفس جبال « أوراس » الأبية ، التي انبعثت منها ثورة سنة ١٩٥٤ ضد الاستعمار الفرنسى ، انبعثت ضد الاستعمار الرومانى ثورة عارمة ، انضمت لها سائر جهات البلاد ، وشد أزرها كل أفراد الشعب الذين لم يترك لهم الاستعمار شيئاً . فأخذ ناثروا الأمس — كما أخذ ناثروا اليوم — يحطمون معاً الاستعمار ، ويقوضون منشأته ، وعمت الحرب وأعمال الزجر والتنكيل سائر جهات البلاد ، وأخذ المستعمرون يرجعون إلى رومة أفواجاً تاركين وراءهم حياة البديخ والنعيم والإباحية التى ألفتوها .

وما جاءت سنة ٤٢٩ ، حتى كان آخر جندى لهم يخرج من بلاد الجزائر ذليلاً حقيراً .

## ٥ — الوندال

شعب جرمانى ، هاجم بلاد أسبانيا واستقر بها ، فأصبحت تعرف باسمه « وندولوسيا » ( الأندلس ) . فما كاد ذلك الشعب يرى اختلال أمر الرومان بالمغرب ، حتى عزم على مهاجمته والاستقرار فيه ، وهكذا هاجم ٨٠ ألف رجل من أصلب الرجال عوداً تحت إمرة الزعيم « جنصريق » . هذه البلاد من المغرب المشرق ، والتفت حوله جموع البربر الأمازيغ تعينه على تقويض أركان النظام الرومانى ، وكل ما هو رومانى ، فانهارت تلك النظم الظالمة ، واستقر الونداليون بكامل البلاد ، إنما اكتفوا بحكمها حكماً سطحياً . فشأت الممالك الوطنية من جديد . واسترجع الأمازيغ الأحرار ،

— ٥٣ —

أرض آبائهم وأجدادهم ، وكأن سبعمائة عام من احتلال رومة الجبارة ، لم تكن . ودامت هذه الحالة مائة عام . ( ٤٢٩ — ٥٣٠ )

## ٦ — الروم

وهم رجال القسم الشرق من إمبراطورية الرومان الذى استقل فى بيزنطة ( استامبول ) . فهؤلاء القوم رأوا مدى ما لحق بمستعمري الرومان فى بلاد المغرب من أذى ، ومدى ما لحق المسيحيين من بلاء ، وعلموا أن موجة الوندال الدافقة الأولى قد نضب معينها ، فأرسلوا جنوداً وأسطولا ، وافتتحوا البلاد من جديد .

لكن الأمازيغ كانوا بالباب . ولم يتركوا الاستعمار ينال منهم هذه المرة منالا . فالروم اكتفوا بإبعاد الوندال ، وحكم البلاد إسما . إنما الأمازيغ كانوا أصحاب السلطان الحقيقى وأصحاب الأرض . كان كل هم الروم الأحرار على الثروة الطائلة والرجوع بها إلى بيزنطة ، فسلكوا أبشع سياسة من السلب والنهب والارتشاء وكل أنواع الكسب الحرام ، فتدحرجت البلاد وخاصة قسمها الشرقى ، فى ميادين الفوضى والارتباك والحروب المتوالية ، وشعر الناس جميعاً بأن الحالة تستدعى منقذاً جديداً .

## ٧ — الفتح العربى

وجاء الانقاذ من الشرق بواسطة الدين الحمدي ، ومجاهديه الميامين

وقد كانت الدنيا تنتظر نوراً جديداً ، فجاءها النور من مكة أم القرى .  
وكان المغرب على الأخص ينتظر نظاماً جديداً ، قوامه العدل والحرية  
والتساوى ، فجاء النظام الجديد يضمن له سعادة الدنيا ونعيم الآخرة .  
يقول قرآنه : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . ويقول رسوله : الناس سواسية ،  
ويقول خليفة رسوله لأحد العظماء : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم  
أمهاتهم أحراراً ؟ .

كانت سنة ٦٦٧ سنة انقضاء لبلاد المغرب العربي ، حوت مجرى تاريخه  
إلى الأبد ، ورمت به في اتجاه جديد ، اتجه الحضارة الإسلامية العربية ،  
فبرز في ذلك الميدان قوياً عزيزاً ، وساهم بقسط وافر في إقامة دعائم تلك  
الحضارة الرفيعة الذرى .

جاء عبد الله بن سعد ، وعبد الله بن الزبير ، فحاربوا الروم وانتصروا .  
ثم جاء عقبة بين نافع ، لتوطيد أركان الفتح ، واصطدم بالقومية الوطنية  
الأمازيغية التي لم تكن تريد الخضوع لأحد ، ف وقعت المعارك الطويلة  
التي استبسل فيها رواد الدين وطلائع المدنية ، كما استبسل فيها أبطال  
الوطنية وأنصار الاستقلال المتفنين حول زعيمة خالدة الذكرى : الكاهنة .  
وكانت الغلبة في بادئ الأمر لها ؛ وكان معقلها « جبل أوراس » الأشم .  
ثم رأت — لأول مرة في التاريخ — أن تسلك سياسة « الأرض  
المحرقة » فأمرت بإحراق القرى والمدن والمزارع والغابات ، كيلا يبقى  
طلوعب مطعم في البلاد . لكن القائد حسان بن النعمان ، أعاد الكرة على

رأس أبطال العرب ، فدمر الكاهنة وجوعها ، وأفهم الأمازيغ الأحرار أن القادمين الجدد إنما يتخذون شعارهم من قوله تعالى : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى الآية ، وإنهم ما جاءوا مستعمرين يريدون الأرض ، إنما جاءوا دعاة يريدون الهداية ، فانضم الأمازيغ لهم ، وآزروهم ، ودخلوا فى دين الله أفواجا ، وما مضت مدة طويلة حتى أصبح الجند الإسلامى يعتمد على الفرق الأمازيغية المسلحة ، بل لم ينقض على الفتح إلا أمد وجيز ، حتى كان «طارق ابن زياد» الأمازيغى ، يسير إلى فتح بلاد الأندلس ، على رأس جند من خير ما عرف الإسلام من جند ، قوامه الأمازيغيون «البربر» الذين حققوا بواسطة الإسلام تلك الأمال العظيمة التى حطمتها رومة ، والتى بقيت تصارع الموت بين موجات الوندال والروم . لقد حقق الإسلام الحرية والاستقلال !

## ٨ — الدولة الرستمية

كان اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية ، وامتداد أطراف المملكة من تخوم الهند وسمرقند حتى أواسط فرنسا ، وبعد الأطراف عن مركز الخلافة بدمشق ثم ببغداد ؛ سبباً فى استقلال الكثير من البلاد الإسلامية ، بأمر نفسه ، وتأسيسه ممالك محلية ، تتبع الخلافة فى بعض الأحيان اسماً وتخرج عنها أحياناً أخرى .

ومما يسجله التاريخ لأمة المغرب الأوسط — الأمة الجزائرية — أنها كانت أول أمة حققت استقلالها ضمن دائرة الإسلام . فأول مملكة إسلامية مستقلة ، منظمة ، إنما نشأت بمدينة تيهرت ( على مقربة من تيارت الحالية ) سنة ١٦٩ للهجرة . أسسها القاضى عبد الرحمان بن رستم ، فانضمت لها كل ارجاء البلاد الجزائرية الحالية ( ماعدى بعض جهات قليلة بالجنوب والشرق ) وبهذا سبق الجزائريون بتأسيس دولتهم الرستمية ، المصريين الذين شادوا مملكتهم بنى طولون ، والمراكشيين الذين أقاموا دولة الإدراية . كان نظام الدولة الرستمية ، الأباضية المذهب ، نظاماً محكماً ، مقاماً على الشورى وانتخاب الامام . وله مجلس يدعى مجلس « الشراة » يمثل أصحاب الحل والعقد . وقد عملت على مد الطرقات التى خربتها الحروب السابقة ، ونشرت العدل والأمن بين الناس ، وأحسنّت تنظيم فرقى الشرطة لحفظ النظام ، والحسبة ، للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فكانت دولة من أرفع الدول الإسلامية المحلية التى سجل التاريخ ذكرها .

دامت هذه الدولة ١٣٦ عاماً ، وتولى أمرها ستة من الأئمة ، أشهرهم أفلح ، وابنه أبو اليقظان ، وقد ازدهر فى عهدها أمر البعث العلمى ، فعمت دروس العلم سائر المساجد ، واشتهر فى الأدب والعلم والحديث أمثال : ابراهيم بن عبد الرحمان التنسى المالكي ، وقاسم بن عبد الرحمان ، والأديب الكبير ابن الهرمة ، والشاعر العظيم بكر بن حماد المتوفى سنة ٢١٦ . ومن أغرب ما يذكر عن هذه الدولة ، فى ذلك العصر ، وفرة تسامحها الدينى

مع اليهود من أبناء البلاد ، ونبغ منهم يهود ابن قريش الذي ترك كتاباً برهن فيه على أن العربية ، والعبرية ، والكنعانية والبربرية ذات أصل واحد . ولا تزال نسخة منه في مكتبة أكسفورد .

## ٩ - التوحيد الفاطمي

في وقت واحد انقرضت ثلاث من الدول في المغرب العربي : دولة بني الأغلب بتونس ، ودولة تيهرت بالجزائر ، ودولة الإدارة بالمغرب الأقصى ؛ لتحل محلها دولة مغربية عربية واحدة هي دولة الفاطميين الشيعة ، التي تأسست بالمغرب الأقصى ، ثم جعلت عاصمتها مدينة المهدية على الساحل التونسي ، ووحدت المغرب العربي في دولة واحدة .

وكان مما امتاز به هذا العصر التوحيدي الفاطمي بقطر الجزائر أن اتسعت تجارته نحو الجنوب ببلاد السودان ، ونشأت على سواحلنا الأساطيل البحرية التجارية والحربية .

أما من حيث العلوم والفنون والآداب فقد كادت البلاد تراحم مملكة الأندلس ، ونشأ ونبغ فيها في ذلك العهد ، أمثال ابن تميم ، الطبيب الفيلسوف اللغوي ، والجغرافي العظيم محمد بن الوراق .

## ١٠ — دولة بني حماد العظمى

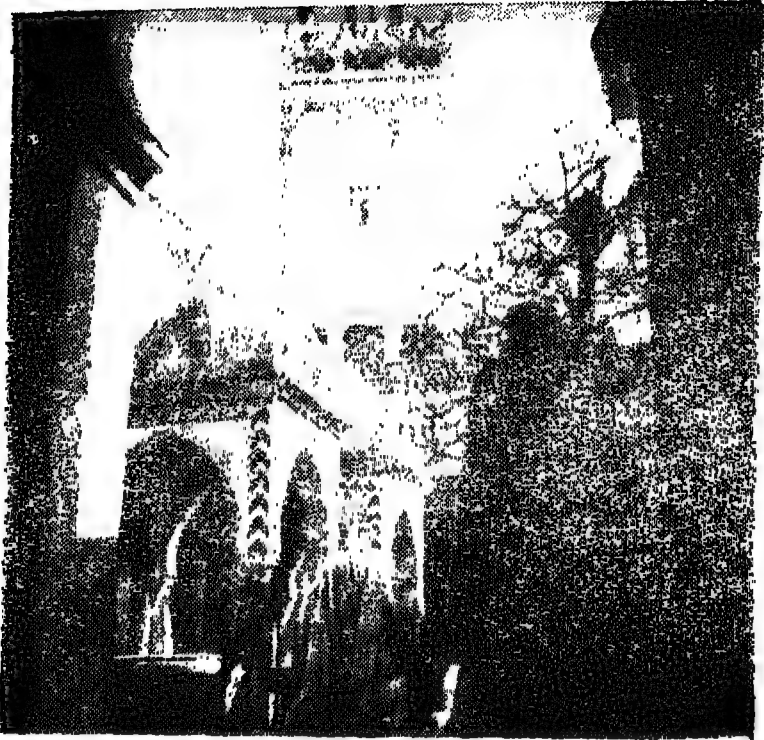
رأى خليفة الفاطميين المعز لدين الله الانتقال إلى مصر ، بعد ما اختط له قائده المغربي جوهر الصقلي مدينة القاهرة ، فعهد بأمر المغرب إلى قائده من أعظم قادته ، هو بلقين بن مناد الصنهاجي . وقد كان هذا البطل مؤسس عدة مدن جزائرية ، مثل مدينة جزائر بني مزغنة ، والمدينة ، وغيرها . ثم أن زعماء صنهاجة بقطر الجزائر ، اتفقوا مع الأمير حماد على تأسيس دولة مستقلة ، فاخترت حماد مدينة « القلعة » وأنشأ ملكاً عظيماً شمل سائر جهات القطر الجزائري ، وذلك سنة ٣٩٨ هـ .

عظم الملك واتسع ، واستقرت إدارته على أسس متينة ، فترك ملوك بني حماد القلعة واختطوا لأنفسهم عاصمة جديدة هي مدينة بجاية ، فأخذوا في تعميرها وبناء الأسوار والقصور والدواوين فيها ، والبساتين والمنزهات ونقلوا إليها عاصمة المملكة سنة ٥٣٨ هـ .

وكان الملك الناصر بن علناس أعظم ملوك عصره شأنًا ، وأوفرهم قوة وأكثرهم تشييطاً للعلم والعلماء ، وقد سجل التاريخ عصره ضمن أجمل صفحات تاريخ التمدن الإسلامي

وخلد اسمه شاعر العروبة الأكبر ، عبد الجبار ابن حمديس الصقلي في غرد من بدائع الشعر .





( شكل ١٠ ) مئذنة المسجد الكبير بمدينة الجزائر

وتداول ملوك بني حماد الملك ، يوطدون الأمن وينشرون العلم ، ويوسعون دائرة التجارة والصناعة ، حتى أصبحت بلاد الجزائر من أكثر أقطار الإسلام رفاهية وعلماً ورخاء وأماناً ، واشتهرت بملائها وشمرائها وحكائها ، ممن ألقت فيهم وفي أعمالهم المجلدات ، من أمثال محمد بن علي الصنهاجي ،

صاحب كتاب « نبذة المحتاجة ، في تاريخ صنهاجة ، » والمؤرخ ابن علي ،  
واللغوي النحوي ابن المعفراء ، والمجاهدين الرماح ومئات ومئات من أمثالهم  
وحدث أيام الدولة الحمادية حادثان غيرا مجرى الحياة العامة في البلاد :  
أولهما : نزوح الأعراب الهلاليين إلى المغرب . واستقرارهم فيه ،  
وتعريبهم البلاد نهائياً .

وثانيهما : نزوح الجماعات الكثيرة من مهاجري الأندلس إلى البلاد  
الجزائرية التي قبلتهم على الرحب والسعة ، فجاؤوها بعلومهم وآدابهم  
وصناعاتهم وطرق الفلاحة والرى في بلادهم . فساعدوا على تنمية الثروة  
ونشر العلوم والمعارف والآداب .

دامت دولة بني حماد ١٧١ عاماً ، تولى أمرها تسعة من الملوك ، كان  
لهم السلطان المطلق . وفي أيامهم عرفت الجزائر في البلاد الغربية الأوروبية



( شكل ١١ ) مدينة بجاية المعاصرة ومرساها

وتعاقدت بمعااهدات تجارية مع أغلب دول البحر المتوسط، وكان أسطول الدولة الجزائرية في أيامهم ضخماً، يضرب بسهم واسع في التجارة العالمية.

## ١١ — التوحيد « الموحدى »

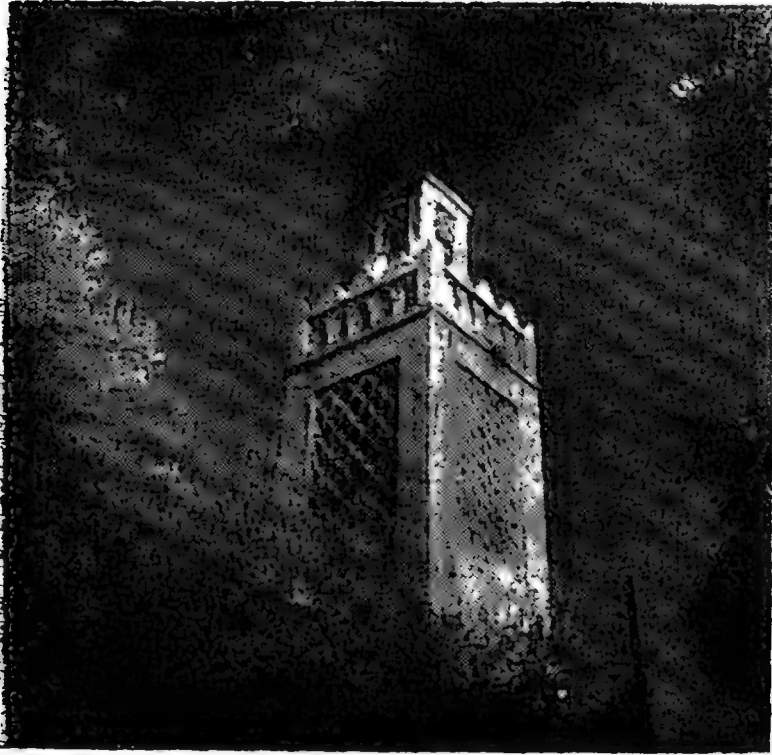
في تلك الأثناء كانت بلاد المغرب الأقصى « مراکش » تتمخض عن حادث إسلامى عظيم ، هو تأسيس دولة الموحدين . فبطل من أبطال القطر الجزائرى ، عبد المؤمن بن على الندرومى <sup>(١)</sup> ، تولى كبر تأسيس هذه الدولة لتتقضى على كل ما ألصق بالدين من بدع ومن خرافات وأساطير ، ولتجتمع الأمة في كامل بلاد المغرب على الهدى ودين الحق ، والتسامح الإسلامى المنقطع النظير .

ففي سنة ٥٢٤ هجرية ، أسس عبد المؤمن العظيم دولة الموحدين ، وقضى على دولة المرابطين في المغرب الأقصى ، ثم التفت إلى المغرب الأوسط ، حيث ابتدأ أمر دولة الحماديين يضعف ، وإلى المغرب الأدنى ، حيث أصبح النرمانيون الذين حطموا صقلية الإسلامية ، يهددون السواحل ، ويميثون فسادا في أمهات المدن على البحر ، بينما كانت الإدارة في كل من القطرين لم تستطع هضم جموع الأعراب الهلاليين الذين نزحوا إليها واستقروا فيها . جرد عبد المؤمن جيشاً من مائة ألف رجل ، كانوا كما يروى التاريخ يصلون خلف إمام واحد ، وتقدم إلى المشرق ، فتسلم زمام المغربيين الأوسط

---

(١) من مدينة ندرومة بغرب الجزائر وقد اشتهرت شهرة فائقة أثناء الثورة الأخيرة .

وأهم عواصم العلم والسياسة بالعالم الإسلامى قاطبة ، ونبغ فيها عدد لا يحصى  
له غبار من العلماء والأدباء والشعراء والباحثين ، وقصدها طلاب العلم  
وطلاب الشهرة من كل جهات العالم العربى .



(شكل ١٢) مئذنة مدينة تلمسان

وقد أطلق ملوك بنى زيان على أنفسهم لقب «أمير المؤمنين» وأحاطوا بالدولة بسياح من الأبهة والجلال . وقسموا السلطة إلى ثلاث شعب :  
الشعبة العسكرية يتولاها « صاحب السيف » والسلطة الإدارية ، يتولاها :  
« صاحب القلم » والسلطة القضائية ، يتولاها « قاضى القضاء » . وكان  
المزوال ، أو الوزير الأكبر يتولى الأشراف على كل الإدارات وتحت سلطته  
صاحب الأشغال ، أو وزير المالية والتمميم ، و « ديوان الإنشاء » المكلف  
بالمراسلات العامة ، والذي اشتغل فيه رجال من كبار الأدباء والعلماء  
سجل التاريخ أسماءهم .

وفى كل مدينة أو قبيلة يوجد « الحافظ » وهو الوالى ، والى جانبه  
« المحتسب » وهو حافظ النظام الاسلامى ؛ والقاضى ، الذى ينشر العدل  
بين الناس ، وغيرهم من موظفى الدولة وحياة الضرائب ، فكان النظام  
العام من أحسن النظم التى نشأت فى القطر الجزائرى . إلا أن أواخر أيام  
هذه الدولة التى عمرت أكثر من ثلاثمائة سنة ، قد امتازت بأمرين :

أولهما : كثرة تهالك الأمراء على الملك ، وقد غرتهم مظاهر  
النعم والجلال التى فيه .

وثانيهما : قضاء الأسباب بصفة فظيعة على ممالك غرناطة ، آخر معاقل  
المسلمين ببلاد الأندلس ، وتشريدهم للبائسين من أهل ذلك الفردوس  
الإسلامى المفقود ، ثم مهاجمة الأسباب بعد ذلك للشعور الإسلامية والسواحل  
فى المغرب العربى ، وخاصة بقطر الجزائر . وصادف أن وقعت هذه المحاولات  
( م ه — هذه هى الجزائر )

في أواخر أيام الدولة ، وضعف رابطتها ، وتهالك أمرائها على الملك ، حتى أصبح بعضهم ألوبة في أيدي الطامعين الأسبان .

وهذان الأمران هما اللذان سببا انهيار دولة بني عبد الواد ، التي سجلت على صفحات التاريخ في بلادنا أنشودة فخر ، ينطق بها فم الدهر . ومن يرجع إلى تاريخ يحيى بن خلدون وهو « بنية الرواد » يشهد روائع ومدهشات من التقدم العلمي والفني والصناعي لا يكاد يتصورها العقل .

لقد زاحمت تلمسان ، كج زاحمت بجاية قبلها ، القاهرة وبغداد وقرطبة ، واجتمع فيها من رجال الدين والعلم والأدب ما لم يجتمع مثله أبداً في قطر الجزائر ، وجاءتها وفود العلم والشعر من كل جهات العالم العربي .

أما تجارة الملوك ، وصناعاتها ، واقتصادياتها ، فقد كانت في تلك المصور مضرب المثل . وكتب عنها الرحالة والمتسوحون من عرب وأغراب صحائف جليمة ووقائع مدهشة . أما من اشتهر في هذه الدولة من أعلام الأدب ورجال العلم وكبار الشعراء ، فقد ألفت فيهم عدة كتب ، أهمها : « البستان » لابن مريم ، والدرر والعقيان ، للتنسي ، وبنية الرواد السالف الذكر . وغير ذلك كثير .

وامتازت هذه الدولة ببناء المدارس الفسيحة التي تعتبر من آيات الفن المعماري العربي ، وأجرت على طلبتها وشيوخها الأرزاق ، بحيث لا يهتم معلم ولا متعلم بمسكن أو ملابس أو مطعم ، إلى أن يبرز إلى ميدان الحياة العامة عاملاً عالماً ، وإن أزدت أن أسرد بعض الأسماء ، ذكرت

المفسر الكبير محمد بن مرزوق ، والعالمين المؤلفين أحمد بن يحيى الوشرىسي  
ومحمد السنوسي ، وصاحب الجواهر الحسان ، عبدالرحمن الثعالبي ، وصاحب  
البدر المنير محمد المغيلي ، وطائفة تعد بالآلاف ، من الكتاب ومبرزى  
الشعراء والعلماء والمؤلفين ومن الفلكيين كالقصاصى وابن قنفذ ، ومن  
المهندسين المالميين كابن الفحاجم ، واضع « المنجاة » فى تلمسان ، وهى  
ساعة ناطقة لا تعد أمامها أشهر ساعات سويسرا شيئاً منه كوراً . وقد نال  
عنها جائزة سنوية من ملوك تلمسان قدرها ألف دينار ذهباً .

وأديب الجزائر الأكبر ، وشاعرها العظيم ، المقرئ التلمسانى ، صاحب  
ديوان نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب . ولا أستطيع يا عزيزى ،  
ومعذرة ، أن ألخص لك فى صفحات ، ما تعجز عن جمعه كبريات الموسوعات .  
إنما هى قطرة من يم .

## الجمهورية الجزائرية العثمانية

لو كان هذا التعبير من بنات أفكارى ، لاتهمنى البعض بالمبالغة  
والإسراف فى إطلاق اسم على غير مسمى . لكن ما رأى القارى الكريم  
إذا علم أن هذا الاسم قد استعمله سفير من سفراء فرنسا فى القرن الثامن عشر ،  
وعالم باحث من جلة علماءها إذ ألف بعد تمثيل دولته لدى دولة الجزائر  
كتاباً قيا أسماء : الجمهورية الجزائرية فى القرن الثامن عشر ؟ . ذلك هو

ميسيو « فونتير دى بارادى » . وكتبابه مطبوع (١) .

ولنعد إلى التاريخ . لقد احتل الأسبان مرسى وهران والمرسى الكبير  
وهددوا مدينة الجزائر بنى مزغنة تهديداً مباشراً ، واستولوا على أكبر  
الجزيرات الواقعة تجاهها وجعلوا فيها حصناً يضرع البلدة تحت رحمة  
ثم أخذوا يوالون غاراتهم البرية قاصدين مدينة تلمسان . ولم تكن دول  
بنى زيان فى آخر عهدها مستطيمة أن تجمع الأمة لقتال هؤلاء المستعمرين  
الذين كانوا تحت قيادة راهب متهوس ربما لم يعرف التاريخ راهباً أكثر  
منه تعصباً وبعداً عن روح دين عيسى عليه السلام . فكانت الحملة الأسبانية  
حملة نهب ولصوصية ، وانتقام من الإسلام وانتهاك فظيع لحرمات المسلمين  
وكانت أخبار غارات الأسبان على سواحل المغرب العربى حديث الناس  
أجمعين فى ذلك العهد .

وحدث عن لصوصية البحر ولا حرج . فالأسبان والبرتغاليون قد  
أنشأوا مع غيرهم من رجال أوروبا سفن القرصنة ، وانهمالوا على مهاجرى  
الأندلس التمساء ، فما كان يصل منهم إلى أرض الجزائر إلا القليل الذى فقد  
كل ميثاق وكل مال .

وكاد المغرب العربى كافة يسقط تحت تلك الضربات الفتاكة ، لولا  
أن تدخل القدر ، وحدثت المعجزة .

---

(١) أنظر كتابى « محمد عثمان باشا داي الجزائر » فيه فصول مختارة من هذه  
الكتابات .



كانت المعجزة تدخل بطلين من أبطال الإسلام الخالدين : بابا عزوج التركي وشقيقه خير الدين ، في ميدان السكفاح الجزائري . كانا على رأس عمارة بحرية من القرصان الأتراك ، يعملان متطوعين في سبيل الله لإنقاذ مهاجري الأندلس ، والاجتياز بهم إلى أرض المغرب ، ووقعت بينهم وبين الأسبان وقائع ذاع صيتها في البحر المتوسط ، وتحدث بها المهاجرون المساكين في كل جهات البلاد .

وأخذت وفود المسلمين الجزائريين تترى على الزعيمين البحريين ، طالبة منهما النجدة والإنقاذ ، والإعانة على دفع الأسبان عن السواحل وعن البلاد . فجمع التركيان عمارة قوية ، وتدخلأ فعلا ، وحاربا الأسبان جنبا إلى جنب مع مقاتلي الجزائريين الذين التفوا حولها ، وتكونت قوة جديدة في البلاد ما لبثت أن طهرتها من التدخل الأسباني الفظيع . ولم تستطع دولة بني زيان الثبات وسط هذه الزعازع ، إذ تخلى عنها الناس ، فانهى أمرها ، وأصبح خير الدين باشا ، ويلقبه الفرنج « بارباروس » صاحب الحكم في القطر الجزائري ( سنة ١٥١٩ ) . فأتخذ من « جزائر بني مزغنة » عاصمة للملك الإسلامي الجديد ، وأمر بدم البحر بين مختلف الجزيرات الصغيرة وأقام عليها جداراً وقلعة يحتمى وراءهما مرسى المدينه . وهكذا تنشأت « مدينة الجزائر » وبسطت في مدة قليلة جداً سلطانها على كامل البلاد التي أصبحت تدعى البلاد الجزائرية ، وقبل السلطان سليمان القانوني ضمها إلى السلطة العثمانية ، كولاية ممتازة . نشأت « الدولة الجزائرية » التي تعترف

مخلافه سلاطين استامبول ، وأخذت توسع استقلالها شيئا فشيئا ، إلى أن لم يبق بينها وبين الخليفة العثماني سوى الروابط الأدبية الشكلية : السلطان يصادق على تعيين « الباشا » الذى ينتخبه الديوان الحكومى فى مدينة الجزائر ، وإذا وقعت حرب خارجية ، ترسل الجزائر بقطع من أسطولها وجماعة من متطوعيها للمشاركة فى الجهاد تحت راية الخليفة . أما ماعدا ذلك فاللدولة الجزائرية حرة ، مستقلة ، تحارب من حاربها ، وتسالم من سالمها ، وتعقد المعاهدات الحربية والسياسية والتجارية مع بقية دول العالم ، وكانت لها فى عالم الحروب والسياسة صولات وجولات .

وإذ كان الأوروبيون يؤمذ وخاصة الأسبان والبرتغال ورجال الشمال ينظمون اصوصية بحرية (piraterie) قوية ، ساهم فيها الفرنسيون بنصيب وافر ، نظم الجزائريون قرصنة بحرية عظيمة ، أصبحت ذات شوكة ترهب البحر المتوسط ؛ إنما لم تكن تلك القوة البحرية تعمل إلا ضد الدول المعادية فحسب . أما الدول المعترفة بدولة الجزائر ، والمرتبطة معها بمعاهدات فكانت تتمتع بحماية سفن القرصان الجزائريين .

وانتظم سلك الإدارتين السياسية والعسكرية فى البلاد بصفة كانت تحسدها عليها الكثير من بلاد أوربا . فكانت السلطة التشريعية بين يدى مجلس يدعى « الديوان » وفيه أكبر الدولة ورؤساء الجند .

أما السلطة التنفيذية فهى بيد الباشا الذى ينتخبه الديوان<sup>(١)</sup> ، ومجلس

---

(١) يطلقون عليه لقب « الداى » أى رئيس الجماعة .

وزراء مؤلف من ستة رجال : خوجة الخليل ، للحرب ، وكيل الحرج ، للبحر ، الخزناجي ، المالية وحساب الدولة ، الآغا ، قائد الجند العام ، القبودان ريس أميرال الأسطول ، الباشكاتب ، وزير الداخلية ؛ أما الخارجية فهي من اختصاص الباشا نفسه ، والقول الفصل فيها للديوان .

وقد قسم الديوان أرض الجزائر إلى ثلاث عمالات : قسنطينة ، شرقاً ، وتيطري وسطاً ، ووهران غرباً . ووضع على رأس كل عمالة والياً يدعى « الباي » مسؤولاً عن أعمال ولايته . أما مدينة الجزائر العاصمة وسواها ، فكانت موضوعة تحت سلطة وزير الحرب « الآغا » . ولم يبق في قطر الجزائر مكان لم يتبع هذه الإدارة المركزية المحكمة ، إلى أقصى تخوم الجنوب .

أصبحت الدولة الجزائرية مهابة محترمة ، ذات قوة عسكرية يقرأ لها الجميع حسابها ، وذات أسطول شارك في كل معارك البحر المتوسط ، في الطليعة . ولا يزال المتأخرون يذكرون شدة شكيمة الجزائريين في حرب « المورة » واستشهاد الأسطول الجزائري في معركة « نفارين » .

وكانت الدول جميعاً ، وفي طليعتها فرنسا ، تعترف باستقلال الدولة الجزائرية ، وتزاحم فيها حول نيل الخطوة والنفوذ ، وتعين فيها ممثلين من أكبر رجال السلك السياسي ، وتعقد معها المعاهدات دون أى تدخل من استانبول ، أو أى مجرد استشارة . فالقضية كانت تبعية إسمية للخلافة الجامعة ، لا أكثر ولا أقل .

ولطالما أرادت الدول ، وخاصة أسبانيا ، والدانمرك ، وفرنسا ، قهر

الجزائر ومحققها ، فكان النصر ذاتماً للجزائريين ، وانكسر الأسبان مشركسرة عرفوها في تاريخهم أمام أسوار الجزائر مرتين . وتركوا كل سلاحهم ومتاعهم فيها ( سنة ١٥٤١ وسنة ١٧٧٥ ) كما انكسرت عدة حملات فرنسية على السواحل الجزائرية . وكان الأسطول الجزائري يشمل أكثر من ٢٢٠ سفينة ، يركبها ما يزيد عن الثلاثين ألفاً من البحارة من أبناء البلاد .

كان أسرى الفرنج ياملون في قطر الجزائر أحسن معاملة ، ويتمتعون بحريتهم الدينية ، ومنهم الكثير كانوا يعتنقون الإسلام ويدخلون عاملين ضمن الجماعة الجزائرية .

وكانت دولة الجمهورية الجزائرية في طليعة الدول التي اعترفت بحكومة الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ ، بينما كانت أغلب دول العالم تحاربها ، كما كانت من أول الدول التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية . وإذا قارنا بين دول العالم يومئذ ، طيلة قرون ١٦ و ١٧ و ١٨ رأينا أن البلاد الجزائرية كانت خلال ثلاثمائة سنة ( ١٥٣٠ — ١٨٣٠ ) من أحسن بلاد العالم نظاماً ورفاهية وأمناً وعدلاً .

كانت وارداتها التجارية واسعة جداً . وكانت صناعاتها المحلية ذات شهرة دائمة في أغلب جهات العالم ، وكانت مزارعها غنية منتشرة تفيض على الأمة بالخير والبركات ، فكان تصدير الفواكه والحبوب ، والزيت ، والأصواف ، من أهم نشاط البلاد .

يقولون لنا اليوم مغالطين ، انظروا كيف هو حال الجزائر اليوم ،  
وانظروا كيف هي كانت قبل ١٥٠ عاماً !

ونقول لهم : بل قارنوا بين حالة القطر الجزائري ، وحالة بقية بلاد  
العالم ، قبل ١٥٠ عاماً . فأيام كان الجهل والظلم وجبروت الإقطاع وقسمة  
الناس بين سادة وعبيد يسود بلاد العالم الأوربي ، كان قطر الجزائر يمتلئ  
مثالاً من أبعد أمثلة العدل والحرية والتسامح وحفظ كرامة الإنسان .

ثم نقول لهم : أن قطر الجزائر كان في تلك المصور مدسكاً لكل أبنائه ،  
وكانت أرضه متاعاً لمزارعيه . أما اليوم ، وتحت ظل النظام الاستعماري ،  
فلم يبق شيء من قطر الجزائر بيد بنييه ، واستأثر المستعمرون دونهم ،  
بالأرض ، وما فوقها ، وما تحتها .

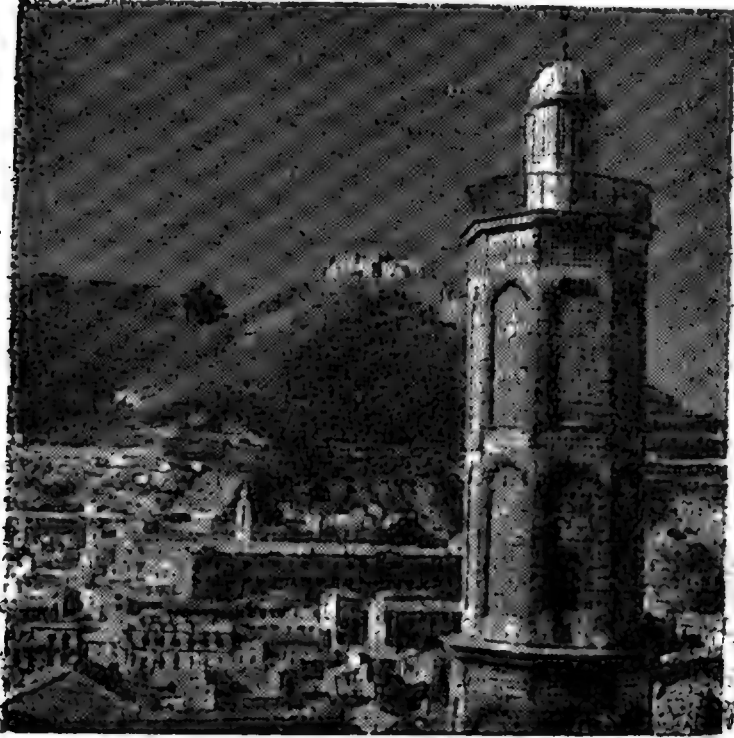
ولقد كان الجزائريون طيلة مدة الجمهورية الجزائرية العثمانية ، يتبارون  
أتراكا وعرباناً في أعمال الخير ، ووقف الأوقاف الطائفة على المساجد  
والمدارس والمنشآت العامة ، وكانت دور العلم عامرة ، وحلقات الدروس  
خاصة بالطلاب في كل مساجد المدن الكبرى . أما التلميم الابتدائي فكان  
يلقن في ثلاثة آلاف « كتاب » أو مدرسة ابتدائية .

وقد نبغ في هذا العهد رجال أفذاذ ، تألق أسمهم في كامل بلاد العالم  
الإسلامي ، من أشهرهم عيسى بن محمد الشمالبي ، ويحيى بن صالح الملباني  
صاحب التأليف الشهيرة ، وسعيد المقرئ ، واحمد بن عمار الجزائري ، وعمر



(شکل ۱۳) مسجد محمد باشا بومران

ابن محمد المنقلاقي ، وطائفة عظيمة من شيوخ الإسلام وعظماء المدرسين  
الذين أفادوا الأمة بعلومهم وبعملهم .  
فالجمهورية الجزائرية التي تألق نجمها ساطعاً خلال ثلاثة قرون ، ولم  
يكن بها من الجند التركي إلا زهاء ثلاثة آلاف رجل ( ٣٠٠٠ ) لا غير ، كانت  
حلقة من تلك السلسلة الاستقلالية الذهبية التي صاغها الجزائريون بمجاهد



( شكل ١٤ ) مئذنة مسجد الباشا بؤهران

وإيمانهم ومهجمهم ، واستمرت من يوم أسسوا دولة بني رستم ، إلى يوم انهيار مقاومة الأمير عبد الله القادر الهاشمي .

فهل تستطيع فرنسا الاستعمارية الجبارة الطاغية ، أن تمحو بجرة قلم تحت حكم السيف والنار كل هذا التاريخ ، وتحطّم هذه التقاليد المتأهلة منذ عهد يوغورطا وتدعى أن الجزائر ، بحكم الفتح ، جزء من فرنسا ؟ وأن الجزائريين لاحق لهم في وطن ، ولا في جنسيته ، ولا في علم ، إنما هم قوم من الفرنسيين ؟ .

هذا الأفك المبين ، وهذا الإدعاء الظالم ، هو ما قامت الأمة الجزائرية ضده ، منذ ١٢٥ سنة ، ترده خائضة بحراً من دم الشهداء ، مقدمة مواكب من أرواح الضحايا ، في جهاد اشترك فيه الأجداد ، والآباء ، والأحفاد ، إلى أن انتهى عار الاحتلال ، وترفع أعلام الاستقلال ، بواسطة الثورة الكبرى ، وجبهة التحرير الوطني الجزائري .

### الاحتلال الفرنسي

جاءت فرنسا وأضررت بها المسبقة ، أيام الثورة الفرنسية الكبرى ، وأوصدت دونها انكلترا ودول أوروبا أبواب العالم ، فلم تلق نجدة إنسانية إلا بين أرض الجزائر الحرة ، وحكومة الجزائر الجمهورية الحرة فكانت للزناك تترى بين الساحلين ، تحمّل لفرنسا من الحبوب ما وقاها شر الحاماة

ولقد اشتركت خزانة الدولة مع بمض التجار — كشركة اليهوديين



برخريص ، وبوشناق — في تمويل تلك العملية الإنقاذية ، فأكادت الثورة تنجح ويستقر أمر حكومتها ، حتى كانت فرنسا مدينة للخزينة الجزائرية بمقدار ٢,٥٠٠,٠٠٠ من الفرنكات الذهبية .

وتلكبات فرنسا في الدفع . وألحت الحكومة الجزائرية في المطالبة . وسقطت حكومة الجمهورية الفرنسية الأولى ، وانتهى أمر الحكم الأمبراطوري ، وتسلم السلطة الملك الطاغية شارل العاشر ، وفرنسا تمتنع عن الدفع ، والديوان يوالى الاحتجاج والإلحاح .

وكان شارل العاشر يحكم حكماً استبدادياً لا يتحمله الشعب الفرنسي ، وكانت رياح الثورة تهب خفيفة تنذر بوقوع كارثة . فأراد الملك أن يباشر حرباً أجنبية ضد دولة مسالمة ، ليستدر عطف رجال الكنيسة من جهة ، وليتخلص من عدد كبير من العاطلين المشاغبين من جهة أخرى ، فأرسل — كما يؤكد أعظم مؤرخي الفرنسيين هنري قارو — أمراً لفنصل فرنسا بالجزائر ، بأن يفتنم فرصة مغيب الأسطول الجزائري في نفارين ، لخلق حادث يبرر غزو الجزائر والاستيلاء عليها .

ففي يوم العيد ، ذهب الفنصل لتهنئة الداي حسين باشا ، في قصر القصباء وبعد تبادل التحية وعبارات التهنئة ، قال الباشا : ولماذا لم أتلق إلى الآن جواباً من الملك عن رسالتي المتعلقة بتصفية حساب الدين ؟ فتعمد الفنصل دوفال العجرفة كما أمر ، وقال : وهل تظن أن جلالة ملك فرنسا يتنازل لجواب داي الجزائر ؟ .



( شكل ١٥ ) ضربة المروحة ا

فوجهم الجميع ، وفهموا أن الحادث متممد ، ووقف الباشا وسط الديوان  
يرد الإهانة المقصودة ، وقال للقنصل : أخرج يا ابن السكب ا وأشار بمروحة  
من الريش كان يحملها ، إلى الباب ، فادعى القنصل أن ريش المروحة قد ليس  
وجهه ، وخرج صاخبا محتجاً ، وعلم قناصل الدول كافة أن « الحادث »  
قد وقع ، وأن « الخاتمة » قريبة .

وقف شارل العاشر ملك فرنسا يقول في خطاب العرش يوم ٢ مارس  
سنة ١٨٣٠ مانصه : أن العمل الذي سأقوم به لترضية شرف فرنسا ،  
سيكون باعانة العلى القدير ، لفائدة المسيحية جمعاء .

وكان إذاك قد هيا أسطولا ضخماً يشمل ١٠٣ من السفن تحمل نحو  
ثلاثة آلاف مدفع ، و ٣٤٠٠٠ مقاتل ، مع ٣٨٣ سفينة لنقل المؤن والذخيرة  
وعزم على اتخاذ قاعدة أعماله ضد الدولة الجزائرية ، شبه جزيرة سيدى فرج  
على نحو ٢٠ كيلو متراً غربى الجزائر ، حسب الخطة التى كان هياها  
الجنرال الفرنسي برتان « أيام الأمبراطور نابليون » .

كان الديوان على علم بما يهيوه الفرنسيون . وخلافاً للمعتقد الشائع ، فإن  
الجزائريين قد استعدوا للمقاومة ، وهياوا براجمها ، وقرروا إخلاء شبه الجزيرة  
التى كانوا يعلمون أن الفرنسيين سينزلون بها ، ثم مبادرتهم بالهجوم أثر  
ذلك ، للرى بهم إلى البحر ، وللاستحواذ على كل ما بأيديهم .

وأخذت جموع المجاهدين الجزائريين تحتل مراكزها ، حوالى شبه  
الجزيرة ، ثم نزل الجند الفرنسي بقوته وعتاده يوم ١٣ يونيو سنة ١٨٣٠ .  
قام الجند الجزائرى بالهجوم فى المعركة الحاسمة يوم ١٩ ، وكان هجوماً  
عنيفاً موفقاً ، زلزل أقدام الفرنسيين ، وألحق بهم خسارة عظيمة ، وكاد  
يرى بهم إلى البحر ، لولا فرقة عسكرية فرنسية صغيرة بقيت وراء الصفوف  
وخافت أن يقضى عليها ، فصعدت ربوة وأخذت تستغيث وتشير لمعظم  
الجيش ، فظن أحد قادة الجيش الجزائرى أن الفرنسيين المذكورين قد  
عملوا حوله حركة التفاف قصد قطع خط الرجعة عنه ، فتقهقر كيلا يحدق  
به ، وكانت فى تقهقره القاضية ، لأن القيادة الفرنسية أعادت الكرة ،  
وأرجمت الجزائريين إلى مركزهم الأسمى ، واغتصمت فرصة الاضطراب

الذى وقع فى الصفوف للاستيلاء على معسكر « مصطفى ولى » فكانت هذه المعركة من أكبر المعارك الحاسمة فى التاريخ . وتلك الأيام نداولها بين الناس .

كانت نتيجة هذه الهزيمة ، أن اضطرت مدينة الجزائر للاستسلام فدخلها جنود فرنسا صبيحة يوم ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ ، وكان يوماً من أسود أيام التاريخ الجزائرى . ولم يحترم الفرنسيون عهدهم باحترام الأشخاص والحريات ، فطفقوا ينهبون ويسلبون ، وينتهكون الحرمات ، واشترك فى الاختلاس واللصوصية كبراؤهم وصغارهم . فسجلوا على فرنسا صفحة عار لا تمحى أبداً الدهر .

لكن ملك فرنسا الطاغية لم يفرح بانتصاره . فى نفس شهر يوليو هذا ثار الشعب ضده ، وأسقطه ، فسار إلى المنفى ذليلاً ، وأخذ الفرنسيون يتوغلون فى سواد مدينة الجزائر الذى كان عبارة عن حديقة غناء ، ينهبون ويسرقون وينتهكون الحرمات .

ولا يزال الجزائريون يمتدحون يوم ٥ يوليو يوم حداد عام ، إلى أن كان يوم ٥ يوليو سنة ١٩٥٦ ، فأعلنوا فى سائر جهات القطر الجزائرى الاعتصاب العام ، ولم يبق من المسلمين أحداً لم يشارك فى هذا الحداد الوطنى ، رغم إنذار السلطة الفرنسية وتهديدها بانزال صارم العقاب بالمضربين

### نكبة شرقية عامة

ومن الغلط القول بأن احتلال فرنسا للجزائر كان نكبة على شعب

أثر وحده ، بل أنه كان نكبة على الشرق بأكمله ، وعلى الحرية  
قدس معانيها ، وعلى القارتين الأفريقية والآسيوية على السواء :

إن احتلال فرنسا للجزائر كان أول ثغرة فتحتها الاستعمار في بلاد  
وبة بأقطار البحر المتوسط ، ولم تستطع الدول العربية والإسلامية أن  
سبكنا أمام ذلك الحادث العظيم ، فالدولة العثمانية ، صاحبة السيادة  
عمية على قطر الجزائر ، كانت « الرجل المريض » وكانت الحروب  
اكّة التي يشنها عليها جيرانها الروسيون قد أنهكت قواها . ثم أن  
كّة نافارين التي حطم فيها الانكاز والفرنسيون والروس الأسطول  
ماني ، والجزائري ، والمصري كانت قد أصابت الدولة في الصميم ،  
لخنت عنها بلاد اليونان ، وفتحت بصفة رسمية وراثتها .

أما البلاد المصرية فكانت تجرب يومئذ مغامرات محمد علي ، وكانت  
باستنها تجامل الدولة الفرنسية إلى حد بعيد ، نكاية بالدولة الانكليزية ،  
جريا وراء التوسع والاستقلال .

وأما تونس والمغرب الأقصى ، فكان ضعف الدولتين الحسينية  
لشريفية لا يكاد يمكنهما من حفظ الامن الداخلي ، فضلا عن التدخل  
ائدة الجزائر ومد يد المساعدة للمناضلين الجزائريين . أما دول أوروبا فقد  
كتفى بعضها بالاحتجاج وإثارة المراقيل في وجه فرنسا ، بصفة فائرة ،  
نسكترا ، والتزم بعضها الآخر خطة السكوت ، بينما أبدى معظمها  
تهاجه بهذا النصر الأوربي المسيحي في بلاد الاسلام .

( م ٦ — هذه هي الجزائر )

فإذا كانت نتيجة كل ذلك يا ترى ؟  
كانت النتيجة أن فرنسا أخذت تأكيد لتونس ، وتثير فيها القلاقل  
إلى أن تمكنت من احتلالها عام ١٨٨١ .

كانت النتيجة أن الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وانكلترا ، والذي سمى  
باحتيال تونس ، قد جعل الانكليز يستبدون بأمر مصر ، ويتآمرون على  
استقلالها ، ويدمرون جيشها في التل الكبير ، ويحتلون فيها سنة ١٨٨٢  
كانت النتيجة توغل فرنسا في صحراء افريقيا ، وتخطيطها للمهالة  
الاسلامية المستقلة فيها ، ومحاولة احتلال جنوب وادي النيل  
( حادث فاشودا ) .

كانت النتيجة ، استيلاء إيطاليا بصفة فظيمة وحشية على قطرة  
طرابلس وبرقة ، ومحاولتها محق العروبة والإسلام والوطنية فيها .  
وكانت النتيجة أخيراً ، ضياع كامل القسم الأوربي من السلطنة  
العثمانية ، في حرب البلقان ، ثم انهيار هذه الدولة نهائياً ، أثر الحرب العام  
الأولى ، وسقوط العراق تحت انتداب الانكليز ، وسوريا ولبنان تحت  
انتداب فرنسا ، ووقوع فلسطين المزيقة الغالية في النكبة التي أدت إلى  
استشهادها المؤقت .

فجذور هذا السرطان الاستعماري القطيع قد امتدت كلها من مدينة  
الجزائر ، أثر ذلك اليوم الأسود الشمس ، يوم ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ .

## روح النضال

فهل استتكت الأمة الجزائرية لما أصابها على يد الاستعمار في تلك  
المرحلة الهوجاء ، وهل استسلمت لسيف جلاذيتها ؟ .

كلا ! أن تاريخ الأمة الجزائرية ، كان بعد ذلك اليوم النحس ، تاريخ  
طويلة لم يشهد العالم — بحق — لها مثيلاً . وكان تاريخ كفاح طويل ،  
وصعبة مستمرة ، ومقاومة عنيفة لم تفتقر ساعة من نهار ، فكانت أحياناً  
حربية قاسية ، ذات وقائع وأهوال ، ودماء ودمار ونار ، وكانت سياسية  
أحياناً أخرى . واستمر كفاح الجزائر الأبية كذلك ١٢٥ عاماً ، يحاول  
الاستعمار محاولات يائسة تحطيمها والقضاء عليها ، ويصيبها كل يوم بضربة  
جديدة ، ويبطش بها كل ليلة بطشة جديدة ، دون أن يقضى على روحها  
الأبية ، ودون أن ينال من كيانتها العربي الإسلامي الشريف أى منال ،  
إلى أن طفح السكيل ، ودقت ساعة القدر ، وهبت رياح التحرير الوقح  
على العالم ، فخرمت الأمة الجزائرية أمرها وقامت إلى ثورة جبارة ، لاتزال  
تدهش الدنيا بوقائعها ، ولا تزال تسجل بدماؤها صفحات الروعة والجلال ،  
في ميدان البطولة ، فوق الأرض الجزائرية الكريمة التي عجت منذ قديم  
الأجيال ، بدماء الأبطال ، في ميادين الكفاح والنضال .

## المقاومة في الشرق : أحمد باشا

ما كاد ينتهي أمر « الديوان » بمدينة الجزائر ويساق الباشا وكبراء الجند إلى المنفى ، حتى هبت الأمة الجزائرية على بكرة أبيها ، لتطرد المقاومة ، وتنادى بالجهاد ، وتقيم في كل جهة من جبالها وسهولها معاقلاً للنزال .

وقد اكتست المقاومة الأولى شكلين : شكل المقاومة الرسمية الحكومية وشكل المقاومة الشعبية .

أما المقاومة الحكومية ، فقد تولى زمام أمرها الحاج أحمد ، باي قسنطينة ، الذي بايعته الناحية الشرقية « باشا » ، والتف حوله رجال الأمة من عرب ومن بقايا أتراك ، وكانت له مع الجند الفرنسي وقائع مشرفة . وطالت الحرب بين الأمة وبين الناصبين في تلك الجهات الشرقية والجنوبية ، وذاق الفرنسيون من بأس الأمة ومن شدة مراسها ، ما سجله تاريخهم ، وما لا يزالون يذكرونه إلى اليوم ، لكن القوة والكثرة تغلبتا على المقاومة الشعبية التي لم تتلق أى مدد خارجي ، وكان احتلال لا مورييسمار لمدينة قسنطينة ، سنة ١٨٣٨ ، انذاراً بنهاية حركة المقاومة المنظمة ، فانهى أمرها ظاهراً ، وبقيت كالنار تومض تحت الرماد ، وقد سجلت مدينة قسنطينة بدفاعها المجيد صفحة عالية من صفحات البطولة





( شكل ١٦ ) الفرنسيون يحتلون قسطنطينة داراً فداراً وحارة حارة

الخالدة ، إذ اضطر الفرنسيون لاحتلالها حارة فحارة وداراً فداراً ، وتسكبد الجانبان في هذه الملاحمة خسائر كبيرة جداً .

### المقاومة في الغرب : الأمير عبد القادر

إلا أن أروع مثل من مثل المقاومة الشعبية قد ضربه أهل الناحيتين الوسطى والغربية من قطر الجزائر ، إذ لم تكن هنالك سلطة تقليدية ، ولا بقايا نظام إداري ، بل كان كل شيء جديداً ، وكان كل شيء مبتكراً .

ففى سنة ١٨٣٢ ، جمع وجوه القوم ورؤساء العرب أمرهم فى مؤتمر عقدوه بمسجد مدينة ميسكر ، وبايعوا بالإمارة شابا فى الرابعة والعشرين من عمره ، عرف بينهم بالشهامة وقوة الشكيمة ، والرأى الحصيف ، هو الأمير عبد القادر ابن الشيخ محي الدين الهاشمى ، على أن يؤسس فيهم دولة إسلامية عربية ، تصون الأمن وتوطد العدل داخل البلاد ، وتحارب المعتدى الفرنسى ، فتصدده عن هاتيك الأقطار أولا ، ثم ترمى به خارج البلاد أخيراً .

وفتح التاريخ يومئذ صفحة من أمجد صفحات البطولة فوق أديم الأرض الجزائرية . صفحة سجلتها أيدى الشهداء مدى ١٧ عاما ، وترنم بذكراها الأجيال أبدا الأبدى .

وأن المؤرخ المنصف ليقف موقف الحيرة والذهول أمام هذه العبقريّة الفذة ، التى جعلت شابا فى مقتبل العمر ، عديم التجربة ، ينظم دولة فيحسن تنظيمها ، ويدون دواوينها ، ويضبط أمورها ، ويسك نقودها ، ويربط لها علاقات متينة مع الخارج ، وينشر دعايتها ، يكتسب لها الأنصار ، ثم هو إلى جانب ذلك ، ينشئ جيشاً نظامياً ، على أحدث طراز ، وجيشاً من المتطوعين الفدائيين ، ويرتب أمور ذلك الجيش بحكمة القائد المدرب المذره ، ويسلحه فيحسن تسليحه ، ثم يحسن القيادة الحربية إلى جانب ذلك ، كما أحسن القيادة المدنية ، فيسوق جيشه فى كل الميادين ، وينزل بالأعداء ضربات فتاكة ، ويتحمل ضربات الأعداء بصبر وجلد ، ولقد

جهزت فرنسا ضده أعظم قواها ، ورمته بأكبر قادتها العسكريين ، ولولا تفوق عظيم في العدد وتفوق عظيم في السلاح ، لما نالت منه منالاً . حقا والله أنها لمعجزة من معجزات التاريخ . ولقد قلت يوماً أثناء خطاب : إن كانت النبوة بالمعجزات ، فشعب الجزائر ولاشك نبي الأمم .

ولقد تخللت فترة الحرب عدة معاهدات عقدتها فرنسا مع الأمير ، واعترفت له فيها بالاستقلال والسلطة على البلاد التي نصب فيها دولته ، لكنها كانت معاهدات غش وخداع ، لا تعقدها إلا متى رأت الخطر ، وأرادت أن تستعد لضربة قاسية . أما هو فكان يعقد تلك المعاهدات ، ليستريح قليلاً وليستعد لتسديد الضربات ولتلقبها .

ففى سنة ١٨٤٠ اشتعلت نيران المارك الكبرى ، قاسية فظيعة ، فتأكلت — واستعمل فيها الفرنسيون أبشع وأشنع ما يستعمله جند مستعمر فى بلاد عدوة مستعمرة : إفناء جماعى ، وإتلاف المدن والقرى ، وحرق المزارع والغابات ، وانتهاك الحرمات بصفة ينجعل القلم عن ذكرها ، ولصوصية ونهب وسلب لا تليق إلا بوحوش بنى آدم لا بالمتمدنين منهم . واستمرت الحرب على هذه الحالة إلى أن مات من الأمة أكثر من نصفها . وأراد سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن الاستجابة للشعب الجزائرى ، فأعلن الحرب على فرنسا ، وأرسل جندا لإعانة الأمير ، لكن الفرنسيين دحروا ذلك الجند فى معركة واحدة — معركة يسلى — وضربوا بالقنابل بعض مدن المغرب . فاضطر السلطان لعقد الصلح ، وتعهد بعدم إعانة الجزائريين .



( شكل ١٧ ) الأمير عبد القادر الهاشمي

ووقع ما لم يكن بد من وقوعه ، فأمام قوة الجند الذي وضعت فيه

فرنسا كل إمكاناتها ، وأمام الفظائع والأهوال ، وإحراق القبائل العديدة أحياء بواسطة النيران ، وأمام الفراغ العظيم الذى حصل فى صفوف الأمة ، لم يسع الأمير عبد القادر إلا الاستسلام فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٤٧ . فسبق مع أهله وذويه ووجوه دولته أسيراً ، وبقي خمسة أعوام بفرنسا ، إلى أن أفرج عنه وسير به إلى بلاد الشام ، حيث استقر ، وترك هو ووجوه قومه خلفاً كثيراً .

على أن المقاومة لم تنته يومئذ فى بلاد الجزائر ، إنما هى انتهت بالصفة المنظمة . فبكانت المقاومات المحلية تبرى ، من جبال الشمال إلى رمال الصحراء ، وما احتل الفرنسيون مكاناً فى أرض الجزائر إلا بعد أن قدموا ثمنه من اللحم ودم جنودهم ، وبعد أن سقى المجاهدون الأبرار أرضه الطاهرة بدمائهم الزكية الغزيرة .

### فظائع وأهوال وموبقات

إن ذكر التفاصيل عن فظائع الحرب الإبادية التى باشرتها فرنسا بصفة وحشية فى قطر الجزائر ، لا يتفق مع صفة الإيجاز التى تعمدناها فى هذا الكتاب ، فلسنا بذنا كرين — على سبيل المثال — إلا قليلاً جداً من الوثائق والشهادات التى ذكرها نفس الفرنسيين ، لى يرى القارئ « عينه » من الطريقة التى أراد بها الاستعمار الفرنسى إرضاخ القطر الجزائرى ، والسير به فى طريق الإيابة .

يقول المؤرخ كريستيان في كتابه « أفريقيا الفرنسية » :

« تلقى الجند أمرا من القائد العام الجنرال روفيقو ، بالخروج من مدينة الجزائر ليلة ١٦ ابريل سنة ١٨٣٢ ، ففاجأ قبيلة العوفية عند الفجر وهي نائمة تحت خيامها ، وأمن في ذبح أولئك المساكين الذين لم يستطع أى واحد منهم الدفاع عن نفسه ، وهكذا وقع قتل كل نفس حية في القبيلة ، دون أى تمييز بين جنس و سن . وعند الرجوع من هذه الحملة المخجلة (كذا بالأصل ) كان الفرسان الفرنسيون يحملون رؤوس القتلى على أسنة رماحهم ويقول الجنرال شانقاريني : لقد كانت التسليحة الوحيدة التى أستطيع أن أسمح بها للجند أثناء فصل الشتاء ، هى السماح لهم بغزو القبائل المعادية التى تسكن فيما بين وادى الحراش وبورقيقه . ويقول المؤرخ دبوزايد عن ذلك مانصه : أما الغنيمة من الحيوان فقد بيعت إلى ممثل قنصلية الداعراك . وأما بقية الغنائم الصامتة فقد عرضت للبيع فى سوق باب عزون ، وكان من بين الغنائم أساور نحاس وهى لاتزال فى أيديهن المقطوعة ، وأقراط نساء لاتزال تلتصق بها قطع من آذانهم . ثم ورح عن كل ذلك على السفاكين من رجال الطابور الفرنسى . وفى ذلك اليوم أصدرت السلطة أمرها لسكان الجزائر المسلمين ، بأن يضيئوا ليلا حوانيتهم ، إظهارا لسرورهم بذلك الانتصار (١)

(١) فى كتابي « محمد عثمان باشا » طبع الجزائر سنة ١٩٣٩ ، عدة قطع معربة من هذه الكتب ، فليراجعها من أراد التوسع فى الموضوع .

أما حديث حريق الكهف الذى آوت إليه قبيلة بأسرها ، سنة ١٨٤٥ ، فارة أمام الجند الفرنسى ، فقد صار مضرب المثل فى الخسة والدناءة والوحشية ، إذ ما كاد الجند يكتشف ذلك الكهف الفسيح ، حتى وضع أمامه وعلى مداخله أكواما من الحطب والقش ، ثم أوقد عليها النيران ، وأستمر بمذى تلك النار كامل الليلة . فما جاء الصباح ، ودخل الجند الكهف ، حتى كانت جثث ٧٨٠ من الضحايا البريئة بين رجال ونساء وأطفال ، مفككة الأوصال ممزقة الاشلاء ، تحت أقدام الثيران والحيوانات التى دفعتها غريزتها نحو الباب ، فداست كل شىء ، ثم لقيت حتفها .



( شكل ١٨ ) غار الجريمة بالظاهرة

ومن أفظم ماشوهد ، داخل السكهف ، رجل أسلم الروح وهو ممسك  
بقرن أحد الثيران دفاعا عن أمراته وصبيه ، وقد مات الرجل والمرأة والصبي  
والثور وهم على ذلك الوضع .

ولقد قال أحد قوادهم : سانت أرنو ، في كتاب مطبوع يعتبر ديوان  
الفضائع والفضائح ، : لقد كنت أستطيع مع جنودى اقتفاء أثر القائد العام  
دون أن أضل الطريق . لأننى كنت أسير على ضوء الحرائق التى يوقدها  
قبلى فى القرى والمداشر والدواوير العربية التى كان يمر بها .

أننى ما ذكرت إلا الأمر الوجيز والنزر القليل . وفى كتب الفرنسيين التى  
تباهاوا بطبعها ونشرها ، فيما بين سنتى ١٨٣١ — ١٨٥٠ — مايسجل  
أبشع صفحات الخزى والعار ، والغدر والخيانة ، على هذا الاستعمار الفظيع  
الذى سلطته فرنسا الظالمة على قطر الجزائر ، والذى لا يعرف العالم له مثيلا .  
ولا تختمن هذه الصفحة البشعة القدرة من تاريخ الاحتلال الفرنسى ؛  
بهذه الجملة المقتطفة من تقرير لجنة البحث الرسمية ، التى بعث بها ملك فرنسا  
لاطلاع البرلمان على حقيقة ما وقع فى قطر الجزائر من مظالم :

« اننا قد ضممنا إلى ممتلكات الدولة ، سائر عقارات الأوقاف الاسلامية ،  
ووضعنا تحت الحجز ممتلكات طائفة من السكان تعهدنا لها باحترام  
أشخاصها وممتلكاتها . وبدأنا أعمالنا فى ميدان السلطة بمظلمة ، إلا وهى  
أرغام الناس على المشاركة فى قرض اجبارى ( ١٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ) .  
واستولينا على ممتلكات خاصة ، دون أن ندفع مقابلها أى تمويض بل قد



أجبرنا في كثير من الأحيان أصحاب الديار على دفع نفقات تهديمها ، كما أجبرناهم على دفع نفقات تهديم مسجد<sup>(١)</sup> . ولقد اعتدينا دون أى مراعاة ، على حرمة الأضرحة ، والزوايا ، والمساجد ، وعلى المنازل الخاصة التي تعتبر مقدسة عند المسلمين .

« لقد ذبحنا جماعة من الناس كانت تحمل جوازات مرور مجهزة بمختمنا ، وقد أبدنا في مذابح عامة ، لجرد شك ، طوائف عديدة من السكان ، تبين فيما بعد أنها كانت بريئة مما اتهمناها به . ولقد حاكنا جماعة من وجوه القوم واثراف الأمة ورجال الصلاح فيها ، ما كان لهم من ذنب إلا أنهم تقدموا أمام بطشنا ، يسألوننا الشفقة والرحمة بأبناء البلاد المساكين ؛ فلقد وجدنا حكماً منا يصدر عن أحكاماً باعدهم ، ووجدنا جلادين منا ، يقومون بتنفيذ تلك الأحكام . أننا قد فقمنا في أعمال الوحشية ، هؤلاء المتوحشين الذين جئنا لتمدينهم . ( لجنة البحث نفابر ديسامبر ١٨٣٣ ) .

وكل هذا وقع قبل فظائع وفضائح السنوات الحمراء : ١٨٤٠ وما يليها... قال أحد نواب فرنسا أثناء مناقشة هذا التقرير : أننا قد ارتكبنا في ثلاثة أشهر ، من الفظائع وأعمال التنكيل ، أكثر مما نسب للتراك خلال ثلاثمائة سنة ( سجل مذاكرات مجلس الأمة الفرنسي ) .

وكفى . أنني كإنسان ، تعتريني حمرة الخجل ، وأنا أسطر وصف هذه الفظائع والأحوال . لسكنى كوطاني ، وكعربي ، وكسلم ، أشعر وأنا

---

(١) هو مسجد « السيدة » وكان من بدائع الفن المعماري الاسلامي في مدينة الجزائر .

أكتفها ، أو أرويهما ، بشورة الدم في عروق حتى لتسكاد تنفجر ، وبتهيج أعصابي ، حتى لتسكاد تمزق ، وبمشاوة جهراء على عيني ، حتى لأكاد أرى كل شيء أمامي دما وناراً .

ولولا الوفاق العلمي الذي يجب أن يلزم هذا العرض حتى نهايته ، ولولا تعهدي بأن يكون هذا الكتاب كتاباً تصويرياً تحقيقياً ، لحالة الشعب الجزائري ، والوطن الجزائري ، دون أن أسير مع التأثير الشخصي ، والانفعال النفسي ، أو العاطفة ، لكان هذا الكتاب مكتوباً بلغة أخرى ، ولربما احترقت صفحاته بمداد هو السم الزعاف ، وتحت أنفاس هي اللهب المتصاعدة .

وبعد ، فكل ما وقع في القطر الجزائري بعد ذلك في ميادين الحكم ، والمجتمع ، والاقتصاد ، والتشريع ، إنما هو محاولة مستمرة ، آخذ بعضها برقاب بعض ، لتحطيم الأمة الجزائرية ، وتقويض أركانها ، وتشتيت شعبها . وقتل أحساسها ، وجعلها أمة من السائئة ، أو أقل من السائئة ، لادين لها ، ولا لغة ، ولا جنسية ولا رابطة ، ولا أخلاق ، ولا علم ، ولا عمل : أمة من العبيد في يد شر النخاسين .

فإن حمل البعض قولي على الغلو ، فليقرأ الصفحات التالية ، ثم لينظر هل تحملت أمة من الأمم ، مثل هذه المصائب ووسائل التحطيم والقتل ، وعندئذ يمتدح من اتهمني بالغلو ، أنني على العكس من ذلك ، قد عجزت عن تصوير نفس الحقيقة كما هي .

إنما الذين صوروا الحقيقة كما يجب ، وقدموها للعالم ، عارية ، فهم أباة  
الظلم ، أسود العرين ، الذين تقدموا المنكر الاستعماري العظيم ، يغيرونه  
بأيديهم الجبارة التي ستدك صروح هذا الاستعمار الآثم الخبيث ، وسيقيمون  
على انقاضه في قطر الجزائر ، حياة العزة والكرامة الإنسانية ، حياة  
الحرية والاستقلال :

هم رجال الثورة الجزائرية الكبرى .

فلهم المجد الأبدي ، ولهم حياة الخالدين .

---

# القسم الرابع تخطيط أمة

- ١ -

## الحكومة - الإدارة - المجالس

### استقرار الفرنسيين

ما كادت تستقر أقدام الجند الفرنسي ببعض جهات البلاد الجزائرية ،  
رغم المقاومات والحروب المستمرة ، حتى أصبحت سياسة حكومة فرنسا  
تتبلور حول غايتين :

الأولى : أقطاع الأرض للفرنسيين والأتيان بأكبر عدد منهم إلى  
البلاد ، حتى تمنح صيغتها العربية الإسلامية ، وتمدو أرضا لاتينية مسيحية  
والثانية حكم البلاد حكما مباشرا ، لادخل لأهل البلاد فيه ، أى دخل.  
فبلاد الجزائر كانت تحكم بأدىء ذى بدء بواسطة قادة جيش الاحتلال ،

وقد اشتهر منهم الكثير بأعمال التنكيل والمذابح الجماعية ، وافناء المسلمين بالجملة ، حتى تخلو الأرض لساكنيها الجدد ، وكان شعار المارشال بيجو ، السفاح الشهير : إحتلال الجزائر بالسيف والمحرث ؛ السيف في رقب العرب ، والمحرث بيد المستعمر الفرنسي .

وكانت الأرض توزع على حثالات الفرنسيين العاطلين ، فأنشأت الإدارة أول الأمر ٤٢ مركزا استعماريا ، وزعتها مجانا على عشرين ألفا من الباريسيين ، نقلوا بنفقة الحكومة الى أرض الجزائر ، ووزعت عليهم الأرض التي ذهب أهلها شهداء الإرهاب بين السيف والنار .

وفي سنة ١٨٤٨ أعلن مجلس النواب الفرنسي ، أن أرض الجزائر قطعة « طبيعية » من فرنسا ، وأنها جزء من أم الوطن ، وأن الفرنسيين ينتخبون نائبين عنهم للمجالس القومية الفرنسية بباريس — كأن لاوجود للمسلمين .

أما التقسيم الإداري ، فقد وضعت أسسه سنة ١٨٤٥ ، حيث قسمت الأرض إلى مناطق الشمال ، التي يحكمها الفرنسيون المدنيون ، وبلاد الجنوب التي يحكمها العسكريون الفرنسيون .

وإذ وجدت السلطة أن عدد المستعمرين الفرنسيين لم ينم بالدرجة المطلوبة ، نشرت دعاية واسعة بين فقراء ومعدى الأسبان ، والاطليان ، كي يفدوا نحو البلاد الجزائرية ، حيث الأرض ، والقروض ، والثروة والغنى ( م — ٧ هذه هي الجزائر )

فجاء هؤلاء المملقون ، حفاة يحملون الأسمال البالية ، وكثر عددهم ونما  
واقطعوا صالح الأرض ، ومنحوا واسع الأموال ، ثم نالوا الجنسية الفرنسية  
واندجوا بالفرنسيين الأولين ، فكونوا العنصر المستعمر ، الذي أصبح من  
تلك الساعة هو الحاكم بأمره في قطار الجزائر ، يستأثر بها دون أهلها-  
المسلمين ، وأصبح بواسطة ثروته ونفوذه يتحكم في ضمائر الحكومات  
الفرنسية .

ووضع نظام الجزائر الجارى به العمل الآن سنة ١٨٦٩ ، فبه  
يجعل على رأس البلاد موظفاً سامياً فرنسيا يدعى « الوالى العام  
الذى يشرف على إدارة فرنسية بحتة ، تحكم من أجل الإستعمار ، ولفائدة  
الإستعمار .

ثم تدفق سيل جديد من المستعمرين أثر الحرب التى نكبت فيها فرنسا  
شر نكبة ، أمام الألمان سنة ١٨٧١ فاستقرت ببلادنا جموع عظيمة من  
الالزاسيين ، اقطعوا جيد الأرض ، ومنحوا الأموال العزيرة ، واشتدنت  
حركة الرمي بالمسلمين إلى الجنوب وبلاد التيجود ، دون شفقة أو رحمة  
ونزعت عنهم بقايا أرضهم الفلاحية الصالحة .

وفى سنة ١٨٨١ ، أصدرت فرنسا قانون الجنسية ، يضمن الجنسية الفرنسية  
على أبناء كل الأجانب الذين يولدون فى الأرض الجزائرية . فإذا أضفنا إلى  
ذلك مجموع اليهود الذين زج بهم فى الجنسية الفرنسية سنة ١٨٧١ ، رأينا

كيف تمكن الفرنسيون من وضع مليون أجنبي فوق أديم الأرض الجزائرية وتغكيهم من كل خيراتها ومرافقها وأرضها وأموالها .

وفي مفتح القرن العشرين ، سنة ١٩٠١ ، نال الاستعماريون في قطر الجزائر نوعا من الاستقلال المالى ، بواسطة الاستعمار ، ولفائدة الاستعمار ؛ واشتد الكرب بالمساكين ، وأشرفوا على الهلاك . وكانت لهم قوانين زاجرة ، سنت للبطش بهم ، ومنع كل حق عنهم ، تدعى « قوانين المدجنين » الأنديجينا ، التى لا يعرف العالم لها مثيلا .

واستمر زحف السيل العرم من المستعمرين . ففيما بين سنتي ١٩٠٤ — ١٩٢٧ ، وزعت عليهم ( ٣٣٧٠٠٠ ) هكتار من جيد الأرض ، مع منح مالية عظيمة ، وأمضوا كلهم التزاما بأنهم إن اضطروا إلى بيع تلك الأرض ، فلن يبيعوها إلا لمستعمر ليس إلا ، ولا تباع لمسلم أبدا .

## الحكومة

جربت حكومة باريس عدة أنواع من الحكم المباشر في أرض الجزائر ، إلا أنها تنعمد ، عند كل تجربة جديدة ، الأمان في ابعاد العنصر الإسلامى عن الحكم ، ووضعه موضع المتشرد أمام أصحاب السلطان .

فالوالى العام الفرنسى ، الذى يعينه مجلس الوزراء ، يمثل السلطة الفرنسية ، ويتلقى الأوامر من وزير الداخلية ، لكنه لا ينفذ إلا ما يرضى عنه الاستعمار ، وما يفيد الاستعمار . فإذا بدا من أحد الولاة العامين ما يدل

على الاستقلال برأى ، أو على مخالفته لأى مصلحة استعمارية ، ثار عليه المستعمرون ، وواطأتهم حكومة باريس ، فاستبدلت به غيره . لهاذا فالوالى العام بقطر الجزائر ، هو خادم ركاب الاستعمار ، منفذ لأرادة المستعمرين . يرأس الوالى العام « الإدارات » الحكومية التى تشملها الولاية العامة ، وهى : الداخلية ، المالية ، البريد ، الأشغال العامة ، المواصلات ، الفلاحة والتجارة ، العلوم .

وكل مصلحة من هذه المصالح ، يتولى أمرها : المدير العام ، وهو موظف فرنسى ، ويباشر العمل فيها مئات من الموظفين ، كبار وصغار ، كلهم من الفرنسيين . فالللابين التسمية من المسلمين الذين يقطنون أرض الجزائر ، لاوجود لهم أصلا ، مطلقا ، داخل جدران هذه المباشرة العملاقة التى يدعوها الجزائريون : « مغارة على بابا » وقد اعترف الفرنسيون أخيراً بأنه لا يوجد من بين خمسة آلاف موظف ، إلا ثمانية رجال من المسلمين . فالولاية العامة التى تتولى إدارة قطر الجزائر ، وتحكمه حكما قابسيا ، أعماهى إدارة فرنسية ، عنصرية ، استعمارية ، شعارها : كل شىء للفرنسيين ، ولا شىء للمسلمين !

## العمالات

كانت بلاد الجزائر مقسمة ، إلى يوم الثورة الكبرى ، إلى عمالات « مقاطعات » : فرنسية ، هى : قسطنطينة ، والجزائر ، ووهران . أما البلاد



الجنوبية ، وهى الصحراء الواقعة تحت جبال الأطلس الصحراوى ، فيحكمها المسكريون حكماً عرفياً .

والعامل أو « البريفى » فرنسى ، يتبع رأساً وزير الداخلية بباريس . وللوالى العام عليه حق الإشراف ليس إلا . والمهالة عبارة عن إدارة محلية واسمة النطاق ، شديدة الحكم صارمة التنفيذ ، للاستعمار فيها سلطة تعادل سلطته ونفوذه فى الولاية العامة . فالأوربى يعتبر فى دار المهالة صاحب البيت . كل من فيها يخدم ركابه . أما المسلم ، فأذل فيها من اليتيم على مائدة اللثيم . وفى كل إدارة عمالة ، طائفة عظيمة من الموظفين ، الذين تغدق عليهم الأموال جزافاً ، لكن لا وجود لمسلم بينهم . والإدارة هنا ، كما فى الولاية العامة ، فرنسية ، عنصرية ، لا تعمل إلا لفائدة المستعمر .

## البلديات

وتنحدر درجات السلطة فى القطر الجزائرى ، وينحدر معها التعفن الاستعمارى إلى أقصى الدرجات .

### فالبلديات على ثلاثة أنواع :

١ — البلدية التامة : وهى تشمل كل المدن فى الجهة الشمالية ، وبعض القرى . وإذا كانت أغلبية المجلس البلدى مؤلفة من الأوربيين ( ٣ من ٥ ) فشيخ المدينة ، أو « المير » يكون دائماً فرنسياً ، استثمارياً ، وقد ألف شيوخ المدن هؤلاء جمعية استثمارية تملئ إرادتها على الدولة وعلى الحكومة :

ويرى هؤلاء الأثانيون الجشعون ، أنهم أصدق من يمثل رأى العام الأوربي ويعلمون ما يكتمه غيرهم ، من العداوة ، والبغضاء ، للعنصر الإسلامى . . . . .  
والبلدية عبارة عن إدارة ضخمة ، تتناسب وقيمة المدينة من حيث  
الغنى ، والاتساع ، والعمران ، وهى كالأدارات السابقة : فرنسية ، عنصرية  
استعمارية ، قلما رأيت فيها موظفًا مسلمًا ، إلا النادر ، اللهم إلا طبقة البوايين  
وكانسى الطرق وأضرابهم .

٢ — البلدية المتزجه : وهى توجد فى الجهات التى يقل فيها العنصر  
الأوربي ، فخلقوا لها نظاماً خاصاً كيلا تكون بلدية عربية ولا وطنية .  
فهذه البلدية يديرها موظف فرنسى ، مطلق التصرف ، يدعى المدير  
أو « الادمنستراتور » وله مجلس ينتخب الفرنسيون — مهما قل عددهم —  
أغليبيته . بينما تعين الإدارة تعييننا ، جماعة من أعوانها ، لتمثيل المسلمين . ورغم  
أن دستور عام ١٩٤٧ ، قد أعلن الغاء هذا النظام الفاجر ، فإنه قد بقى  
موجودا إلى يوم اعلان الثورة . وكل الموظفين من الفرنسيين .

٣ — البلدية العربية : ولا تسرع فى التفاؤل . فليس لها من  
العربية إلا الاسم . فهذه البلديات توجد فى بلاد الجنوب العسكرية ، ولا  
ينتخب السكان أحدا فيها . فالفرنسيون فيها هم رجال السلطة العسكرية ،  
والمسلمون فيها هم أعوان تلك السلطة ، من : قياد ، وغيرهم . والقائد ، فى  
الاصطلاح الإدارى الجزائرى ، هو موظف صغير مسلم ، يختارونه غالباً من  
قدماء الحاربيين ، ليكون حارسا للنظام فى القرى والمداشر والبادية . يعين

السلطة على استخلاص الضرائب ، ويحشد لها الناس ، ولا تدفع له الإدارة مرتبا يكفيه ، بل تسكتني بالثغاضي عن الأساليب الحقيرة التي يسلكها لكسب عيشه ، وتوسيع ثروته ، من عرق جبين الجياع العراة من المسلمين .

## المجلس الجزائري

هو المجلس الذي جاء به دستور الجزائر الجديد ، الذي « منحته » فرنسا سنة ١٩٤٧ ، وهو مجلس له النظر الواسع في ميزانية الجزائر ، تحت رقابة المجلس الوطني الفرنسي ، ولا ينفذ قانون فرنسي في أرض الجزائر ، إلا بعد مصادقته ، بينما لا ينفذ قرار من مقرراته ، إلا بعد مصادقة مجلس فرنسا عليه .

وقد سنت فرنسا ، في غمرة من الأريحية والحرية ، مبدأ التساوى المطلق .... بين المسلمين والفرنسيين في هذا المجلس ، فالتسعة ملايين من المسلمين يمثلهم ٦٠ نائبا ، والمليون الواحد من الأوربيين ، يمثلهم ٦٠ نائبا كذلك .

هذا هو التساوى الذي تفتق عنه عبقرية الفرنسيين ، عند ما يريدون أن يسلكوا في الجزائر سياسة حرة .

لكن خوفهم من كل ما هو جزائري ، وكل ما هو مسلم ، جعلهم يخشون سوء مغبة هذه التسوية في العدد ، فاكشفوا طريقة تقيهم هذا الخطر ، وجربوها ، وأمموا في تجربتها المرات العديدة ، إلا وهي طريقة :

تدليس الانتخابات ! فالإدارة تعين مرشحها من قبل ، من بين الصم البكم العمى الذين لا يفقهون ، ولربما تساحت أحياناً ، فرضيت عن ترشيح بعض أصدقائه من النخبة « المعتدلة » . ثم تصدر الأوامر لكل الإدارات ، والبلديات ، وجميع رجال السلطة ، بأن المرشح الذى « يجب » أن يفوز هو فلان ، وتتنافس سلط البلديات الثامة ، والمترجة ، فى استعمال وسائل التزوير ، والتدليس ، والسرقه ، لفوز المرشح الحكومى ، إلى أن أصبح الانتخاب فى قطر الجزائر علة العلل ، وطالما أعلن المسلمون مقاطعتهم لهذه « الانتخابات المدلسة » ، لكن ذلك لم ينف عنهم شيئاً ، فالمرشح الحكومى فائز أبداً ... ولو لم يباشر العملية إلا النزر اليسير من المسلمين .

وقد اعترف — بعد فوات الوقت — أعضاء المجلس الوطنى الفرنسى بهذه المآسى الانتخابية ، وهذه التدليسات الحقيرة . وتباروا — بعد اعلان الثورة الجزائرية الكبرى — فى وصف آفاتهما ، وطريقة وقوعها . وأعلنت الحكومة التوبة جهاراً . وقالت : لى-كن الانتخاب فى قطر الجزائر حراً ، فى مستقبل الأيام ، حتى نتمكن من التفاوض مع ممثلى الرأى العام الحقيقين ، ثم حلت المجلس الجزائرى المزيف .

كفروعون موسى ، حين أعلن ايمانه ، بعد أن أدركه الفرق .

أما الميزانية الجزائرية التى يتصرف فيها الاستعمار والمستعمرون ، بواسطة نوابهم ، وبواسطة أذيل نوابهم ممن رضيت الإدارة عنهم من المسلمين ، فقد بلغت مبلغاً ضخماً يزيد عن مليه وعشرين ملياراً من الفرنكات .

أغلبها يدفعه أبناء البلاد ، لأنه مفروض على الاستهلاك . لكنها تنفق على الاستعمار ، تاركة المسلمين للفقر والجهل والاهمال .

### المجالس العمالية

لكل عمالة مجلس منتخب، كان إلى إعلان الثورة الجزائرية الكبرى ، يتألف من ثلاثة أخماس للنواب الأوربيين ، وخمسين فقط للنواب المسلمين ( ثم سوى بعد ذلك ، على نفس قاعدة المجلس الجزائري . ) . لكن مآسى التدليس الانتخابي فيه ، كانت توازى أو تكاد تفوق مآسى انتخاب المجلس الجزائري ، ولا تكاد ترى فيه إلا أمن يرضى عنه الاستعمار ، أو من رشحه الاستعمار ، وقليل جدا ممن بعثت بهم المدن ضد أرادة الاستعمار . وهذا المجلس ينظر ميزانية العمالة ، وينفق معظمها في صالح الاستعمار والمستعمرين الفرنسيين . وأن تكلم نائب حر عن مصلحة المسلمين ، فلا يسمع له قول ، وأحيانا لا يسجل كلامه في محضر الجلسة ، فالجزائري غائب عن الحكم وعن المجالس دائما .

### المجالس البلدية

كل مدينة ، وكل بلدة تنتخب مجلسا بلديا لأدارة شئونها . وبما أن أعمال السرقة والتدليس تصعب داخل جدران المدن الكبيرة - وأن كانت تقع على نطاق واسع - فلم يجازف القانون بسن التسوية البشعة الأنفة

— ١٠٦ —

الذكر ، على قاعدة  $٩ = ١$  ، بل حرص على إن يبقى للأوربيين مهما قل  
عددهم ثلاثة أخماس المقاعد ، وأن يكون للجزائريين ، مهما سما عددهم ،  
الثلثان الباقيان . وبهذا يضمن الاستعمار لنفسه أمسين :  
أولهما : أن شيخ المدينة « المير » لا يكون إلا فرنسيا .  
وثانيهما . أن كل ما يقترحه الجزائريون ، على قائلهم ، يرفض . وكل  
ما أراده المستعمرون ، ينفذ ، ولو عارضه الجزائريون باجماع .

### مجالس الجماعات

في القرى والمداشر ، والقبايل الجبلية ، والبدوية ، ينتخب الجزائريون  
مجالس تدعى « مجالس الجماعات » وتنتخب في مجال محلي ضيق ، وليس  
لرجالها أى سلطة أو نفوذ .

### المجالس الفرنسية

كان الجزائريون ينتخبون للمجالس النيابية الفرنسية ( المجلس  
الوطني — مجلس الجمهورية — مجلس الاتحاد الفرنسي ) من يمثلهم — نظريا —  
إلى جانب ممثلى المستعمرين الفرنسيين فى عدد متساو بين هؤلاء وهؤلاء .  
وإذ أسفرت التجربة الأولى عن فوز الأحرار الوطنيين الجزائريين ،  
فأقضوا مضاجع النواب الفرنسيين ، وأن لم يؤثروا بأقوالهم البلدية  
وحججهم الدائمة شيئا ؛ فان الإدارة الاستعمارية قد عمدت فى هذا

الميدان أيضا ، بل أكثر من الميادين الأخرى ، للتدليس والسرقه ، والتزوير . فكانت تزود المجالس النيابية الفرنسية بنوع من البضاعة البشرية ، لا يكاد يمثل الجزائريين في قليل ولا في كثير .

وهكذا كان الجزائريون غائبين عن الحكم وعن الإدارة ، وعن المجالس ، يهانون ويمتهنون ويحتقرون ، ولا يزيدهم أى عمل ، أو أى قول أو أى مسعى ، إلا أيمانا بأن هذا المنكر العظيم يجب أن يزول ، وأنه لا يزول إلا بواسطة القوة وحدها ، لأن قرنا وربع قرن من التجربة قد أرثهم أن الفرنسيين الاستعماريين لا يخضعون لمنطق ، ولا يسمعون كلمة الحق ، وأن الاندفاع في ميادين الموت والتضحية ، هو سبيل الحياة الكريمة الشريفة ، فاندفعوا في ثورتهم الكبرى ، وفقهم الله وسدد خطاهم .

## الأرض والاستعمار

هذه صفحة خزي وعار ، سجلها الاستعمار على نفسه ، وكان جشمه فيها ، هو سبب المصارع الوخيم الذى ينتظره ، والذى يتذوق الساعة منه مرارة الاحتضار .

فالنظام الاستعماري القذر ، العفن ، قد استولى عنوة واقتدارا ، بواسطة اللصوصية والقتل ، والإعدام الجماعى ، والتدليس ، على معظم الأرض الفلاحية الغنية في القطر الجزائرى ، تلك الأرض التى كانت عنصر

عيش الجزائريين ، وكانت تسكن لحياتهم حياة هنيئة ، وتسمح بتصدر الفائض منها إلى الخارج ، في تجارة واسعة .

أن الأرض الفلاحية في القطر الجزائري تشمل عشرين مليون هكتار .  
يعترف الإحصاء الرسمي الفرنسي أنها توزع هكذا :

٥,٠٠٠,٠٠٠ هكتار تملكها الدولة الفرنسية ، ومنها أرض الأوقاف الإسلامية المقتضية ، ومقدارها مليونان هكتار .

٤,٠٠٠,٠٠٠ هكتار تملكها البلديات ، أى النظام الاستعماري الفرنسي وكل هذه الأرض يستغلها الاستعمار لفائدة .

٢,٥٠٠,٠٠٠ هكتار ، ملك خاص لطائفة المستعمرين «الكولون» وهي أجود الأرض ، وأكثرها خصبا ، وأحسنها موقعا ، في الجهات التي تكثر فيها الأمطار ، وتوجد بها أعمال الري يملكها ٣٦,٠٠٠ مستعمر

٨,٥٠٠,٠٠٠ هكتار ، من الأرض القاحلة الجرداء ، التي ليس بها رى ، ولا ثنال من المطر إلا قليلا ، بقيت بأيدي الجزائريين ، في مناطق الجبال والنجود والصحراء ، توزع على تسعة ملايين نسمة .

وهكذا ، لم يكشف الاستعمار الظالم بأبعاد الجزائريين عن الحكم ، والإدارة ، والمجالس ، بل أبعدهم قبل ذلك ، ومع كل ذلك عن أرض آبائهم وأجدادهم ، وتركهم للبطالة ، والتشرد ، والفقر والاهمال .





( شكل ١٩ ) اذنة المستعمر في جنة أبيها

وقد ألفت في فظائع الاستعمار ، وتشريده للجزائريين من أرض  
وطنهم السكتب العديدة ، ونستطيع أن نلخص مأساة تشريد الجزائريين  
وأبعادهم عن الأرض في المراحل الآتية :

أولا : كان المارشال دي برمون ، الفاتح الفرنسي ، المتهم باللصوصية  
والسرقة ، قد تعهد بالشرف ، على احترام الدين ، وشعائره ومؤسساته كما

تمهد بحفظ ممتلكات الأتراك - الذين أصبحوا بعد إقامة ثلاثة قرون من أهل البلاد الأصليين .

لكنه لم يكف يستقر له قدم في الجزائر ، حتى أعلن مصادرة كل أوقاف المسلمين ، من أرض وعقار ، ومصادرة كل ممتلكات أبناء البلاد من الأتراك . وأخذ في الاستيلاء فعلا ، على الأرض الفلاحية الغنية في جهة الجزائر ، ووزعها على الحثالة التي صحبت جيش الاحتلال .

ثانيا : بما أن أغلبية المسلمين كانت تملك الجهات الشاسعة من الأرض ملكا جماعيا ، قوامه العائلة أو القبيلة ، لا الفرد ، فقد صدر قرار سنة ١٨٣٢ ، يقبض ملكية الدولة الفرنسية ، لكل أرض لا يستطيع صاحبها أن يستظهر بمقد امتلاك لها . وهكذا أصبح الاستعمار يستولى على أكبر مساحة من الأرض ، عنوة وظلما واقتدارا .

ثالثا : بعد ان انتهت الدولة الفرنسية من جرد أرض الأوقاف ، واستولت على القسم الأكبر من أرض الجزائر أصدرت قانون أكتوبر سنة ١٨٤٤ الذى يبيع لها بيع أرض الأوقاف للمستعمرين أو توزيعها عليهم ، وأن عقد « الوقف » الإسلامى لا يمنع صفقة البيع الفردى أو الهبة ، وهكذا استولى المستعمرون على كامل أرض الأوقاف وتوزعوها فيما بينهم .

رابعا : أصدر الاستعمار قانون ٣١ يوليو سنة ١٨٤٦ يتملك به كامل الأرض التى تقيم فيها القبائل الرحالة ، فأصبحت الغالبية العظمى من سكان البلاد ، تعمل فى أرض « الدولة » وأخذ الاستعمار يشردا شيئا فشيئا ، لصالح المستعمرين ، إلى أن لم يبق بين أيدي البدو إلا الأرض البور .

خامسا — ما كادت الجندية الفرنسية تتغلب على ثورة الزعيم المقراني في البلاد القبائلية ، حتى أعلنت مصادرة كامل الأرض الفلاحية في تلك المنطقة ، ومساحتها نصف مليون هكتار ، ووزعتها على لاجئ الأت拉斯 ، تاركة رجال زواوة الأشراف الميامين للجوع والفناء العاجل ، ولولا رحمة من الله ومعجزة الإيمان ، لما بقيت في تلك الجبال حياة لأهلها .

وهكذا أشرد المستعمرون الجزائريين من الأرض ، واستأثروا بها دونهم ، ووزعوها فيما بينهم توزيعا غير عادل ، إذ من المستعمرين من يملك قطعة أرض تكفيه حياته وحياة عائلته ، ومنهم عدد محظوظ ، نال ممالك شاسعة درت عليه ثروات لا يسكاد يستطيع ضبطها . ثم هو لا يدفع عنها إلا ضرائب زهيدة جدا .

كانت نتيجة هذا التشريد الفظيع ، وهزم اللصوصية التي لا مثيل لها في التاريخ ، أن وقعت في البلاد الجزائرية مجاعة فادحة ، سنة ١٨٦٧ ، أدت إلى هلاك نصف مليون من المسلمين ، وأفقرت الجهات الكثيرة من البلاد الجزائرية ، بصفة لانزال تمانى ويلاتها إلى الآن .

وهكذا كانت الحالة ، إلى قيام الثورة الجزائرية الكبرى ، يوم غرة :  
 " نفاير سنة ١٩٥٤ : أمة ذات تسعة ملايين من الناس ، تعيش شديدة مهملة في أرض كانت لأبائها وأجدادها فاستأثرت بها الاستثمار دونها ، ولم يترك لها إلا القاحل والبور منها ، فهبت تستعيد حقها بالقوة ، بعد أن أعيتها الحيلة .

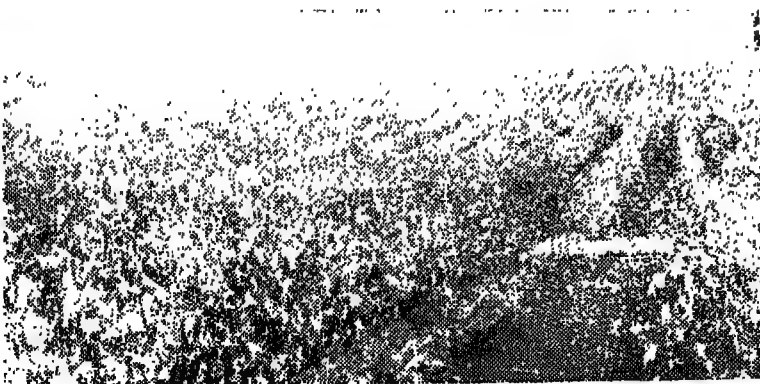
— ١١٢ —

— ٣ —

## الفلاحة

### الأعناب :

إذا كان الاستعمار قد اغتصب أكثر الأرض الجزائرية خصبا وأحسنها ربا وأطيبها مناخا فإنه يستثمرها لصالحه الخاص ، دون مراعاة صالح البلاد ، وينتج فيما يعود عليه هو بالفائدة ، ثم ما عليه أن مات بقية البلاد جوعا فالسهول الخصبة في جهات عنابة ، والجزائر ، ووهران ، قد غرست كلها كروما لإنتاج الأنواع المتعددة من الخمر . فهذه الكروم تحجب اليوم مساحة ٤٠٠,٠٠٠ هكتار من أجود الأرض ، وتنتج سنويا نحو عشرين مليون هكتولتر خمر .



( شكل ٢٠ ) كروم استعمارية لانهاية لها

فهذا الحجر لا يستهلك محليا ، إنما يعتبر وسيلة مقايضة تجارية ، فتضطرب بلاد فرنسا لشرائه ، وذلك بسبب لها كسادا عظيما في سوق مخورها الوطنية إنما هي تفعله مضطرة لمساعدة مستعمرها أولا ، ولبيعهم مقابل ذلك بضائع وآلات وأدوات من صنعها ، ثانياً .

أما أهل البلاد فقصارى أمرهم من هذه الحركة الواسعة العريضة ، أنهم يعملون في حقول الاستعمار بأجور منخفضة جداً ، لا تسد الرق ، ثم يقال أنهم لا يقومون بالعمل على الوجه الأكمل ، فيأتى المستعمرون بطائفة من العمال من أسبانيا ، ومن غيرها ، حتى يحرم الجزائري من نفس ذلك الأجر الزهيد .

### القمح :

زراعة القمح هي الزراعة الأساسية بالفطر الجزائرى ، وعليها معول السكان لحياتهم . فالسهول الداخلية ، وبعض الجبال والنجود ، تزرع قمحا ، وتأتى بمحصول واحد في السنة ، وتتأثر هذه الزراعة بالمؤثرات الطبيعية وأهمها الجفاف إذا كانت أمطار السنة قليلة . فتهدد الجماعة السكان المسلمين .

ومجموع الأرض التي تزرع قمحا ١١,٢٠٠,٠٠٠ هكتارا ، تنتج في السنة نحو ٨,٥٠٠,٠٠٠ قنطاراً وهو مقدار لا يفي بحاجة السكان ، بينما كانت الجزائر المستقلة تصدر كل سنة كميات عظيمة من قموحها . وليس الجزائريون هم الذين ينتجون وحدهم هذه القموح . بل أن الكثير من المستعمرين ( م — ٨ هذه هي الجزائر )



( شكل ٢١ ) مستعمري يحرث أرضه بآخر طراز من المحارث

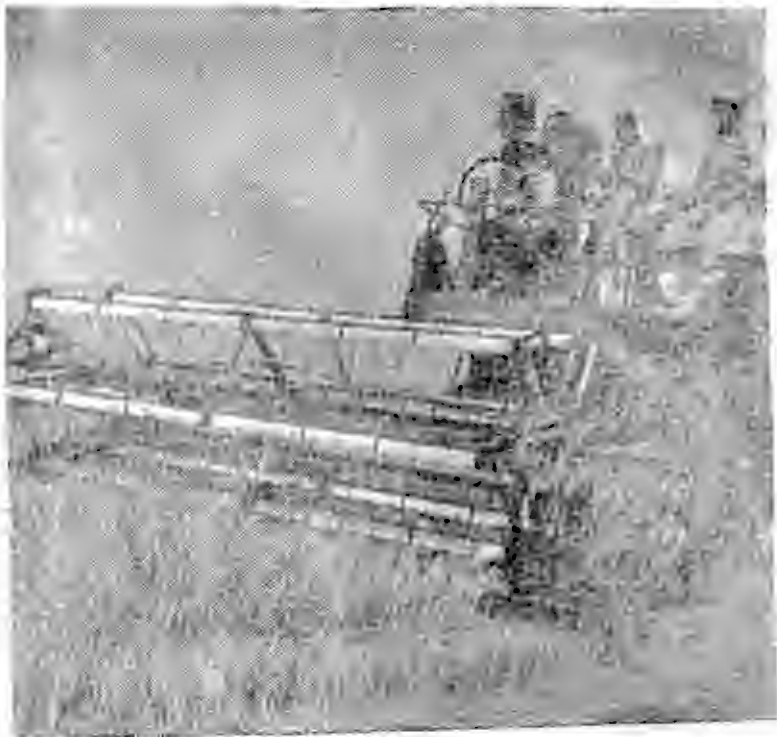
الذين انتصبوا في الجهات القلاحية العممية ، يشاركون في هذا الإنتاج بنحو  
الثلث ، ويستعملون لزراعته ورعايته وخصده أحسن الآلات الحديثة ، نظراً  
لما بين أيديهم من وسائل العمل ، ووفرة القروض الحكومية والشركات  
الاحتياطية وغيرها ، أما أغلب المسلمين فلا يكادون يستعملون إلا أبسط



( شكل ٢٢ ) عربى يحرث أرضه بمحراث عتيق

الآلات ، وقد أوصدت دونهم أبواب البنوك وأبواب القروض ، فإذا  
 ما أصابهم جائحة ذهبت بالأخضر واليابس ، ونكبتهم شر نكبة .  
 أما السدود ، وأعمال الري ، وخزن المياه ، فلا تفكر الإدارة الاستعمارية  
 أصلا فى إيجاد نبي . منها ، بالجهات التى يباشر بها الجزائريون فلاحهم

- ١١٦ -



( شكل ٢٣ ) مستعمل يحصد القمح بآلة حديثة

الضعيفة ، فالإهمال في كل شيء ، ذلك هو نصيب الجزائري تحت حكم الإدارة الاستعمارية .

#### الشعير:

وهي الحبوب الثانوية بعد القمح ، تستعمل لعلف الحيوان ، ولغذاء الإنسان ، وللتصدير للخارج لصناعة البيرة .





(شكل ٢٤) عريية تحصد القمح بمنجلها

فهذه الحبوب التي تكاد تكون غلة الجنوب الوحيدة تزرع على مساحة ١,٣٠٠,٠٠٠ هكتار ، وتنتج ٧,٥٠٠,٠٠٠ قنطار سنوياً ، وإليها يرجع أكبر الفضل في حياة الجزائريين بجهات الوسط والجنوب ، لكن الاستثمار شارك في نفس هذه الزراعة البسيطة أيضاً ، وهو ينتج منها نحو السبع .

### الدخان : أو الطباك :

من أهم المغروسات الصناعية في قطر الجزائر ، وهو الشيء الوحيد الذي يسكاد الجزائريون ، وخاصة أهل الجبال منهم ، ينفردون بغراسه . ( تمت مراقبة إدارية صارمة ) . وهو يحجب نحو ٣٠ ألف هكتار . تنتج ٣٠٠ ألف قنطار في السنة ، وبفضله يعيش أهل الجبال التي تحيط بمدينة الجزائر .

### الحلفه :

نبت طبيعي كما أسلفناه في الفذلكة الجغرافية ، يحجب كامل بلاد النجود الجزائرية وينتشر على نحو أربعة ملايين من الهكتارات التي قضى عليها الإهمال الإداري الاستعماري بأن تبقى بوراً ضائعة ، وتستغل القبائل العربية الكثيرة العدد بقطع هذه الحلفه ، والانيان بها مراكز التصدير ، فالمحصول السنوي الذي يبلغ ١٥٠ ألف طن ، يسلم كله لشركة استعمارية واحدة ، تسكد تستثمرها عائلة مستعمرة واحدة ، ويأخذ العرب مقابل عملهم الشاق المضي ثمناً زهيداً جداً لا يكاد يذكر ، بينما تبغ الشركة هذا المحصول للبلاد الأجنبية ، وخاصة المعامل الانكليزية ، بأثمان باهظة ، فتصنع منها الأقشة ، والجيد من الورق .

حتى حلفه النجود المحرقة القاحلة ، يستأثر بها الاستعمار ، ولا تعود بالخير إلا عليه !

## الزيتون :

الزيتونة المباركة شجرة أفريقية أصيلة ، قد وجدت من أقدم العصور عناية عظيمة من كل إدارة تولت أمور البلاد ، لأن هذه الشجرة صبورة ، طويلة الحياة ، تكتفى بعناية قليلة ، وتثبت في الجهات التي ربما لا تستطيع شجرة أخرى الحياة فيها .

فغابات الزيتون تحجب في القطر الجزائري نحو ٨٥ ألف هكتار . وفيها ٩ ملايين شجرة مثمرة ، و٥ ملايين شجرة مهملة ، ولو كانت إدارة الجزائر بيد أبنائها ، لسكانت اعتنت بالمثمر من شجر الزيتون ، كعناية البلاد التونسية به ، ولسكانت باشرت العمليات الفنية التي تجعل ملايين الشجيرات العقيمة مثمرة .

لكن . ويل ثم ويل لبلاد حكمها الأجنبي ، رغم إرادة بنيتها ، وسار فيها ضد مصلحة ذويها .

فهذه الزيتون الكثيرة التي كانت تستطيع جعل قطار الجزائر من أكبر منتجي زيت الزيتون الرفيع في العالم ، لا تنتج سنوياً إلا ٣٥٠.٠٠٠ هكتوليتراً ، تستولى عليها أيدي الاحتكار الأوربي ، فلا تعود على صاحب البلاد إلا بالنزر اليسير من الخير .

على أن الاستعمار قد زاحم هذه الغراسة أيضاً مزاحمة عنيفة ، واستولى على أحسن جهاتها ، فهو يملك منها الثلث ( ثلاثة ملايين شجرة ) من أحسنها موقعا وأكثرها إنتاجا ، ثم يقول : هل من مزيد ؟

النخيل : ثروة واحات الجنوب الجزائرية ، وجنته الوارفة الظلال .

فالنخيل يحجب في جهات الجنوب ٦٥٠٠٠ هكتار من الأرض ، تنتج أنواعا عدة من أجود الثمرات يبلغ مجموعها في السنة ١,٨٠٠,٠٠٠ قنطار ، تستعمل بعض أنواعها للاستهلاك المحلي ، وتوزع بعض أنواعها الأخرى



( شكل ٢٥ ) جنى التمر في واحات الجنوب

على الأسواق العالمية ، بواسطة شركات الاحتكار . وقد زاحم الاستعمار  
الجزائريين في هذه الواحات أيضاً ، وهو يملك جزءاً من النخيل .

أما أهم المواد الزراعية الأخرى في قطر الجزائر — وأغلبها بأيدي  
المستعمرين — فهي :

البرتقال : ينرس على ١٠,٠٠٠ هكتار ، وينتج سنوياً ٧٥٠,٠٠٠ قنطار  
الليمون : » » » » » » » »  
الماندارين<sup>(١)</sup> : » » » » » » » »  
اللوز والبرقوق » » ٦٠٠٠ » »  
المشمش : » » ٣٠٠٠ » »

وغنى عن الذكر ، أن أهم البساتين في أيدي الأوربيين ، وأن العناية  
السكبرى لا تبذل إلا في الجهات الأوربية ؛ وأن أهم المحصول لا يفيد إلا  
المستعمرين .

### التين :

له غابات كثيفة بالبلاد الجبلية ، تحجب نحو ٧٠ ألف هكتار . وعليه  
اعتماد أهل الجبال القبائلية « جرجرة » في معيشتهم . وقد تدخل فيه الاحتكار  
والاستعمار ، وأسست شركات عديدة لاستثماره بحففاً ، على الطريقة التركية ،  
والاكتجار به في شتى أسواق العالم .

---

(١) البوسف أفندي .

### ٢٠ الماشية :

هى إلى جانب النخيل ، الثروة الوحيدة التى يعتمد عليها العرب فى وسط البلاد وجنوبها للقيام بأود حياتهم . وقد زج الاستثمار بأنفه فى هذه الناحية أيضاً ، وأصبح يملك عددا عظيما من الغنم ، ويستأثر بالقسيح من المراعى .

ويمبلغ عدد الغنم فى قطر الجزائر ، فى الأعوام الاعتيادية نحو السبعة ملايين رأسا . لكن سنوات الجذب ، وفقد المرمى ، وقلة المياه ، تصيب تلك الماشية الكريمة بكارثات فادحة ، فينحط عددها فجأة إلى ما دون النصف . ولو كانت فى البلاد إدارة صالحة وطنية ، لأولت عنايتها هذه الثروة الطائلة ، ولوقتها غائلة النكبات ، لكن النظام الاستعمارى فى قطر الجزائر لا يهتم إلا بأمرين إثنين : أولها راحة مليون من الأوربيين وثروتهم ، وثانيهما : العناية بالأرض الاستثمارية ، وتوسيعها .

أما التسعة ملايين من أهل البلاد ، فلهبيت رب يحميه !

البقر = ٨٥٠.٠٠ رأس

الماعز = ٣,٢٠٠.٠٠٠ »

النخيل = ٢٥٠ ألف رأس

البغال = ٢٠٠ » »

الحمير = ٣٠٠ » »

الإبل = (وهي النبی . الوحيد الذي لا يملكه إلا العرب ، الوحيد  
حيا ) ٢٥٠ ألف رأس .

أما الصيد البحري على سواحل قطر الجزائر فحركة ناشطة ، وبكاد  
يستأثر به وبصناعاته وبأسواقه جماعة من الطليانين والأسبان .



( شكل ٢٦ ) قلع الفايين بفايات الجرجرة

— ١٣٤ —

فأنت ترى من هذا العرض الفلاحى البسيط ، أن الثروة فى قطر  
الجزائر ، وأهم المحصولات ، وأغلب الموارد ، وأجود الأرض ، إنما هى  
للمستعمرين ، ولا تعود بالنفع إلا على المليون من الأجانب المستوطنين ،  
وأن تسعة ملايين من المساميين ، لا يعيشون ، فى أرض آبائهم وأجدادهم ،  
إلا على فتات الموائد .

— ٤ —

### الثروة المعدنية

وهذه آفة الآفات ، لأن الاستعمار ، إن كان قد استولى عنوة واقتدرا على  
أكثر ما فوق الأرض ، فهو قد استولى فعلا ، وبصفة تامة مطلقة ، على  
كل ماتحت الأرض .

فالبلاد الجزائرية غنية مفرطة الغنى من حيث المعادن والمناجم . وكل  
تلك الثروة المعدنية بيد الاستعمار خاصة ، لاحظ فيها لابن البلاد ، إلا إذا  
. ما هو سعد بالعمل فيها أجيرا بسيطا ، وعدد هؤلاء العمال لا يزيد عن ١٥٠٠٠  
على أن الاستعمار قد ترك الكثير من هذه المعادن والمناجم دون  
استثمار لعجزه فنيا وماليا عن ذلك ، اليوم ، ولكى يتركها ثروة « لأجياله  
المقبلة . . . . »

وإليك أهم معادن القطر الجزائرى ومناجمه مما يستأثر به الاستعمار  
. وشركاته الضخمة ذات الأرباح الذرية .



## ١ — السماد ( الفوسفات ) :

وهو ذو شهرة عالمية ، يستخرج أكثره من مناجم الكويف ، قرب تبسه ، ويباع منه سنوياً نحو ٨٠٠،٠٠٠ طن .

## ٢ — الحديد :

يستخرج أكثره من الوزنة ، وبني صاف ، وجبال ذكار ، وينتج سنوياً ثلاثة ملايين طن .

٣ — الرصاص — ٢٠ ألف طن في السنة .

٤ — الزنك — ٥٠ « « « « .

٥ — النحاس — ١٥٠٠ طن في السنة .

٦ — الزئبق — ١٢٠٠ طن في السنة .

٧ — الفحم الحجري — ٣٠٠ ألف طن في السنة . وتحول سياسة خاصة دون استثماره .

٨ — النفط ( البترول ) له حقول كثيرة . أثبتت التجارب أنها تنتج أحسن الأنواع ، منها ما يخرج مصفى لا يحتاج لعمليات التكرير . ومنها ما هو موجود على عمق ١٣ متراً أو ٢٥ متراً ، لكن هذا البترول لا يستثمر إلا قليلاً . نظراً لوجود عراقيل سياسية عالمية .

فهذا المرض البسيط لحالة القطر الجزائري من حيث الثروة المعدنية .  
يريك رأى العين كيف أبعد الجزائري المسلم عن خيرات بلاده ، وعن كنوزها ، وكيف هي تدر الربح الفاحش على الأجنبي المتسلط الغاصب ، بينما يموت ابن البلاد جوعاً واهلاً .

— ١٢٦ —

— ٥ —

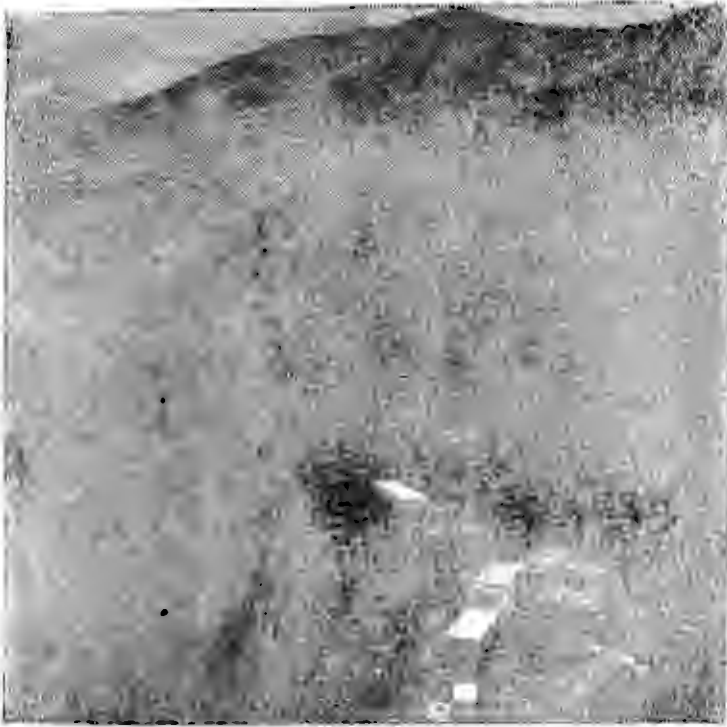
## الصناعة والتجارة

أن الاستثمار قد تعمد محق وإعدام كل حركة صناعية في البلاد ، فهو يستثمر الأرض وما تحتها لفائده ، وذلك يكفيه حياة الترف والنعيم التي يحياها ، فلا فائدة يرجوها من تصنيع البلاد ، ثم أن أحداث صناعة في القطر الجزائري ، يزاحم معامل فرنسا ، وهذا مالا يرضاه دولة الاحتلال بحال . كما أن تصنيع القطر الجزائري يغير وضعيته سوق اليد العاملة الجزائرية ، فيغري العمال الجزائريين بالعمل الصناعي ، المرتفع الأجور ويهدم في العمل الفلاحي عند المستعمرين مقابل الأجور المنخفضة ، وهذا ليس في مصلحة المستعمرين .

لذلك ترك القطر الجزائري دون صناعة تذكر ، اللهم إلا بمعض معامل الزيت ، والصابون ، وصناعة السجائر والتبغ ، وما بقي بأيدي المسلمين من الصناعات المحلية مثل نسج الزرابي « السجاد » وحياسة الأصواف للاستهلاك المحلي .

فلاستثمار هشم الأمة الجزائرية من ناحية الصناعة ، وحطمها تحطيمًا ، وأودد في وجهها أبواب الأمل والرجاء ، مع أن خيراتها موفورة ، واما كانياتها عظيمة .

فهل بحق لأمة أن تترك غاصبًا محتلا ، يحكم عليها بالاختناق الاقتصادي



( شكل ٢٧ ) إنتاج السكر بـاء بقرية سوق الجمعة الجبلية

والموت جوعاً وعلّة ، ثم هي لا تطرق الأبواب الفعالة التي تغير هذا الحال ،  
لأحسن حال ؟ .

أما التجارة . فهي عبارة عن معول هدام ، مخرب ، يمحطم كل يوم  
بشاً من بقايا السكان الجزائري ، ويحكم على الأمة الجزائرية كل يوم  
حكماً جديداً بالافلاس والاملاق .

ذلك أن فرنسا تحتكر التجارة الجزائرية — إلا النزر اليسير — فهي تبتاع نتائج القطر الجزائري ، وتبيعه مقابلها ما يحتاجه وما لا يحتاجه مما تنتجه معاملها ومصانعها . والميزان التجاري الجزائري في عجز مستمر فادح ، من جراء هذه الصفقات الخاسرة (الواردات عام ١٩٥٤ = ٢١٨ ملياراً ، والصادرات ١٤٠ ملياراً فقط) .

ثم أن القانون الفرنسي يجبر الجزائر على أن لا تباشر أى عملية نقل بحرى ، للناس أو للبضاعة إلا على السفن الفرنسية خاصة . . .

إن أهل البلاد — تسمة ملايين من الجزائريين — لا وجود لهم في هذه الحركة التجارية الضخمة ، وقصارى أمرهم أنهم يبيعون شركات الاحتكار والتجارة ما يزيد عن حاجتهم المحلية (أصواف — تمر — تبغ — حبوب — زيت —) . ثم هم يشترون من المستوردين الأجانب كل ما يلزمهم لحياتهم اليومية ولأعمالهم . فهم من جهة يستهلكون أكثر مما ينتجون ، ثم هم من جهة أخرى لا يشاركون إلا بصفة تافهة في حركات التصدير والتوريد . وهذا ما يقضى على الشعب بالفقر المستمر والخراب العاجل . فإذا زدنا على ذلك أنه لا يملك الأرض ، ولا ما تحت الأرض ، وهو بعيد عن الحكم ، غائب عن ميادين الإدارة والمجالس ، وأنه قد بقي على ذلك الحال ما يزيد عن القرن وربع القرن ، رأينا أنه لم يبق أمامه من باب يطرقة ، دفاعاً عن حق الحياة ، إلا باب الثورة الجارحة ، وقد طرقة .

أما أهم ما تصدره الجزائر سنوياً فهو :

الخمر ١٠ ملايين هكتولتر . أوراق الدخان ١٣٠,٠٠٠ قنطار  
 الفهم ٦٥٠,٠٠٠ رأس . التمر ٧٠٠,٠٠٠ »  
 الصوف ١٢٥,٠٠٠ قنطار . الزنك ٦٤,٠٠٠ طن  
 البهش (الفلين) ٥٠,٠٠٠ طن . الزصا ص ٣٣,٠٠٠ »  
 الحلفة ٢٠٠,٠٠٠ » . الحديد ٢,٣٠٠,٠٠٠ »  
 السماد ٨٨٠,٠٠٠ » . الزيت ٦٠٠,٠٠٠ قنطار

أما الواردات ، فأهمها الآلات الحديدية ، والسيارات ، والمنسوجات ،  
 والسكر ، والقهوة والأخشاب ، والأواني ، والوقود ، والكماليات (عطور  
 ومواد التجميل وغيرها) .

وفي هذه الحركة الكبيرة بين صادر ووارد ، وليس لأبناء البلاد فيها  
 كما أسلفنا إلا النزر اليسير ، تنشط أهم المراسي الجزائرية نشاطاً كبيراً في  
 حركات مستمرة ، لا تعود بفائدة على أبناء البلاد إلا من اشتغل منهم عمالاً  
 ينقل البضاعة على ظهره المنحني ، بين الأرض والسفن .

فالمراسي الجزائرية ذات حركة سنوية هذا معدنها :

مرسى مدينة الجزائر ٣٨٠,٠٠٠ طن سنوياً

» » » » ٢٥٠,٠٠٠ » » وهران

» » » » ٢١٠,٠٠٠ » » عنابة (بونة)

» » » » ٧٠,٠٠٠ » » مرسى بنى مضاف

» » » » ٣٥,٠٠٠ » » بجاية

» » » » ٣٢,٠٠٠ » » سكيكدة

( م ٩ — هذه هي الجزائر )

### المواصلات :

في قطر الجزائر اليوم ٤٤٠٠ كيلو متراً من السكك الحديدية . هدفها الأول استثماري بحت ، وعسكري إصالة . فالخط الأساسي هو الذي يمتد من تونس إلى أقصى بلاد مراکش ، وتمتد منه فروع إلى عدد من الجهات الاستعمارية . أما الجهات التي ليست فيها منافع استعمارية ، ولا مراكن عسكرية فهي لا تعرف السكة الحديد .

وما يقال عن السكة الحديد ، يقال أيضاً عن الطرق الكبرى ، فهي تربط بين أمهات المدن والقرى ، وتصل المراكز الاستعمارية بالحوضر والقرى أما الجهات التي لا استعمار فيها ، ولا أوربي فيها ، فطرقاتها المتبقية الملتوية تكفيها . . .

في القطر الجزائري خمسة آلاف كيلومتر من الطرق الكبرى ، وعشرون ألف كيلومتر من الطرق الثانوية .

### نتائج المأساة الاقتصادية

#### الأجور :

القاعدة الأساسية في قطر الجزائر بالنسبة للأجور ، هي إعطاء أقل ما يكون للعامل المسلم — وخاصة في المنطقة الفلاحية — وذلك ليزداد

الستمعمرون ثروة وغنى وتمسكنا في الأوض ، وليرداد الجزائريون فقراً وفاقاً .  
فلا تقوم لهم في قطر الجزائر قائمة فأساس السياسة الفرنسية في قطر الجزائر  
هو « التفجير » وسيأتيك حديث التجهيل .

فبعد تسويات عديدة أصبحت الأجور في القطر الجزائري كما يلي :  
المنطقة الأولى ( العمل من ١٢ إلى ١٤ ساعة يومياً ) ٤٢٧ فرنك  
٤٢ قرش في اليوم .

المنطقة الثانية ( العمل من ١٢ إلى ١٤ ساعة يومياً ) ٣٩٠ فرنك  
أى ٣١ قرش . بينما الأجور في فرنسا تتراوح بين ١١٠ و ٨٩٠ فرنكاً لليوم  
( ١١٠ قروش و ٩٠ قرش ) والملاحظ أن أسعار المواد الغذائية وأسعار  
الألبسة والأقشة مرتفع جداً في الجزائر على ما هو عليه بالبلاد الشرقية  
العربية .

فانخفاض الأجور على هذه النسبة ، يجعل مقدرة الشراء عند العمال .  
الفلاحين الجزائريين شبه المنعدمة ، ولا تمكنهم تلك الأجور المنخفضة  
إلا من حياة الشظف والحرمان وخاصة أن كل عامل يعمل في الأغلب عائلة  
كبيرة العدد ، وليس له في عمله أى ضمان اجتماعي .

### البطالة :

أن إبعاد الجزائريين عن الأرض ، وعن الوظائف الحكومية  
والإدارية ، وعدم وجود صناعة في البلاد ، وتكاثر عددهم مع عدم توافر

أسباب الحياة ، أوجد بين أهل البلاد الجزائرية طبقة كثيفة من العمال  
الغاطلين الذين يقضون حياتهم عبثا ، بل أن حياتهم تعتبر معجزة من  
معجزات العالم الحديث . كيف يعيشون ؟ لا يدري أحد ! .

يوجد في البلاد الجزائرية ، رسميا ، مليون رجل عاطل . أنهم لا يجدون  
أى عمل فى الأرض ، ولا فى الصناعة ولا فى التجارة ، وما كان من المتوقع  
أن تحدث السياسة الاستعمارية بالقطر الجزائرى غير هذه النتيجة .

فالعمال الذين يجدون ما يعملونه فى الأرض ، يتناولون أجورا لا تكفى  
لسد الرمق . والعمال الذين لا يجدون عملا ، يفدون ويروحون فى جوع  
وإملاق ، يرتدون اسمالاً بالية ، ويعيشون — إن صح التعبير — عائلة على  
مجمع معدم .

### المسكن :

إذ كان الأوروبيون كافة يسكنون الدور والقصور ، والمقاصف الجميلة فى  
مدن والقرى ، فإن الجزائريين المسلمين يقيمون فى البادية الجزائرية القاحلة  
على نسبة مربعة :

٢,٠٠٠,٠٠٠ من الجزائريين يسكنون المدن والقرى .

٧,٠٠٠,٠٠٠ « « « البادية .

وسكنى البادية : خيام من الصوف والوبر لأهل الوسط والجنوب .

وقراني (جمع قرى) لأهل الشمال . وهو بيت صغير من قش وطنين



فيه حياة السقم والسكابة . ثم مدائن القصدير الرهيبة ، على مقربة من المدن . يسكنها أهل البادية الذين أضناهم الجوع وحطامهم الالهال ، فيؤمون ساحات المدن نجريا وراء لقمة العيش ، ولو على طريق التسول والتقاط فضلات المزابل ، ( وهو منظر مألوف جدا في مدننا الجميلة الآهلة )

ومدينة القصدير هذه تجمع مئات الآلاف من الناس ، يسكن كل عائلة منها ( بمعدل ٥ نفوس في العائلة ) بيتا شديدا جدرانها وسقفها من بقايا صفايح القصدير تجمع إلى بعضها بأخشاب بالية ومسامير ، ولا يتجاوز مساحة البيت منها ستة أمتار ( أى نعم  $2 \times 3 = 6$  ) فهناك في ذلك القبر الجماعى ، حيث يحسد الأحياء الأموات على قبورهم الانفرادية ، تتكدس أفراد العائلة رجالا ونساء . هنالك يحيون حياة الهم ، وهنالك يموتون موت الغم .

أما في المدن نفسها ، حيث تتسكدس جموع العمال طلبا للرزق ، فقد ضاقت المنازل بسكانها ، وأصبحت الغرفة الواحدة تقسم على عائلتين أو أكثر ، ويدفع المساكين مقابها أجورا مرتفعة جدا :

### المرض :

ليس المعجب ، تجاه هذه الحالة ، أن تكون أغلب الأمة الجزائرية في حالة مرض مزمن ، بل المعجب كل المعجب أنها لم تهلك تماما ، ضحية الجوع والمهانة ، وسكنى القبور القذرة ، وقضاء الحياة بين أحضان اليأس والشقاء

الأمّة الجزائرية مريضة ، والموت يحصد بين صفوفها حصداً ذريعاً .  
 فبينما تجد في الاحصاء الرسمي أن معدل حياة الأوربي في قطر الجزائر هو  
 ٧٢ عاماً ، ونصف عام ، تجد معدل حياة الجزائري لا يتجاوز ٥٠ سنة .  
 لقد أثبت الاحصاء أن معدل الكالوريات ( وحدة الحرارة الغذائية )  
 التي يتناولها الأوربي هي ٣٠٠٠ كالورية في اليوم الواحد . أما بالنسبة  
 للمسلمين فمعدلها لا يتجاوز ١٥٠٠ كالورية يومياً . ( ٢٠٠٠ في المدن  
 و ١٠٠٠ في البادية ) .

فرض السل يضارب أطناؤه في البادية والقرى ومساكن المهال في المدن  
 بصفة مريضة ، وقد قال أحد الأطباء الاختصاصيين الإداريين عن ذلك « أن  
 قطر الجزائر بملايينه العشرة من السكان ، يحتوي على نفس العدد من  
 المسولين الموجودين بفرنسا ذات الأربعين مليوناً » وعدد المسولين بقطر  
 الجزائر يناهز ٤٠٠٠٠٠ نسمة .

لكن بينما يوجد في فرنسا ٩٠٠ مستشفى صحي لأمراض السل ،  
 لا يوجد بأرض الجزائر إلا ٢٨ فقط . أو ليس المرضى من الجزائريين خاصة ؟  
 أما أمراض العيون الفتاكة ، فهي تذهب كل سنة بأبصار نحو  
 الثمانين ألفاً من السكان المسلمين . ولا توجد في قطر الجزائر إلا مصحة  
 واحدة أنشئت حديثاً لمعالجة العيون ، وست سيارات كبيرة متجولة .  
 في قطر الجزائر كله ، توجد مستشفيات بها ٢٥٠٠ سرير ، لا تسكد  
 يكفي للسكان الأوربيين خاصة ، ولا يوجد منها ، بكامل جهات الجنوب  
 إلا ٦٠٠ سرير فقط .

وليس في قطر الجزائر إلا ١٨٥٠ من الأطباء ، يستقرون بالمدن والقرى الكبيرة<sup>(١)</sup> . أما القرى الجزائرية حيث لا استثمار ، والبادية ، فليس بها من طبيب ولا قابلة ، ولا صيدلى ولا أية وسيلة من وسائل الصحة . وما قيل عن الأطباء يقال عن ٦٦٠ قابلة مولدة ، و ٦١١ صيدلى ، و ٤٦٢ طبيب أسنان .

### الهجرة .

أن البطالة من جهة ، وانخفاض الأجور من جهة أخرى ، جعلتا الأيدي العاملة الجزائرية تبحث عن ميادين للعمل ، كىلا تموت البلاد جوعا . وإذ كانت فرنسا تجند الجزائريين اجباريا ، للعمل فى صفوف الجيش الفرنسى ، والقتال فى سبيل الصالح الفرنسى منذ عشرات السنين (حروب ، ١٨٧٠ — التونسكان والأنام — ١٩١٤ إلى ١٩١٨ — الحرب العالمية الأخيرة) فإن غالبية الرجال الجزائريين قد عرفوا البلاد الفرنسية ، واختلطوا بأهلها ، ودرسوا حالتها ، وعلموا أنهم يستطيعون أن يعملوا فيها ، فى ميادين الصناعة واستثمار المناجم وغيرها ، نظراً لقلّة اليد العاملة الفرنسية ، والفراغ العظيم الذى أحدثته الحروب فى صفوف الشبان . وهكذا اضطر الجزائريون للهجرة ، كما اضطرت فرنسا لقبول سيل من العمال الجزائريين فى معاملها ومناجمها ، وإن كان المستعمرون

---

(١) منهم ١١٥٤ بمدن الجزائر — ووهران — وقسنطينة .

الفرنسيون وانصارهم قد احتجوا وما زالوا يحتجون على ذلك حتى قيام الثورة ، لأن هجرة الجزائري إلى فرنسا تعود بالضرر العظيم على الاستعمار ، وذلك :

أولاً : لأن اليد العاملة الرخيصة الجزائرية تقل في البلاد .

ثانياً : تعود العمال الجزائريون تقاضى الأجور المرتفعة في معامل فرنسا ، فلا يرضون عند عودتهم للجزائر بالأجور الضعيفة .

ثالثاً : أن وجودهم بفرنسا يجعلهم يرسلون أموالاً طائلة لأهلهم وأولادهم ، وهذا ما يقلل من تهافت اليد العاملة الجزائرية على العمل عند المستعمرين ، دون تقاضى الحد الأدنى للأجور ، كما يقع غالباً :

رابعاً : أن وجود العمال الجزائريين المسلمين بفرنسا ، يحرم اليد العاملة اللاتينية ( الإيطالية — والاسبانية ) من القدوم لفرنسا ، للعمل ، ثم للاستقرار و تعمير البلاد الفرنسية بجموع مسيحية أوربية جديدة ، حيث عجز الفرنسيين عن تعميرها .

فبعد محاولات عديدة ، وبعد صدور قوانين متعاقبة في الموضوع ، تمكن الجزائريون من ارسال نحو الأربعمئة ألف رجل من رجالهم الأشداء للعمل في المعامل الفرنسية ، وأكثرهم يسافر عن غير استعداد ، وليس له أدنى تخصص ، إنما هو يعلم أن تلك الهجرة تنجيه من خطر الموت جوعاً في بلاده التي ليس له في أرضها ولا في اقتصادها أي حظ .

ففتحوا النصف من هؤلاء العمال ، يشتغلون شغلا عاديا بأجور معقولة ، تسمح لهم بانفاق جزء منها على عائلاتهم الباقية بقطر الجزائر ، أما النصف الآخر فأغلبه يقبل العمل بأى أجرة كانت ، وأقله يلقى هنالك البطالة وآفاتهما .

ولقد اضطر بعضهم لتزوج فرنسيات ، وانجبوا أبناء فرنسيين . وقد سببت هذه الهجرة إلى جانب منفعتها الاقتصادية ، كإثراء أخلاقية عديدة ، أهمها انقاس الكثير من المهاجرين في مهاوى السقوط الاجتماعى الفرنسى ، مثل تعاطى المسكرات ، والاقدام على موبقات الفجور ، وتفشى الأمراض الزهرية وداء السل فيهم ، وانقطاع الصلة أحيانا بينهم وبين ذويهم ، وبمباراة أخرى انحطاطهم صحيا وأخلاقيا ودينيا ، فلولا المساعى الجبارة التى قامت بها الأحزاب الوطنية الجزائرية فى الميدان السياسى ، وجمعية العلماء الجزائريين ، فى الميدان الدينى والثقافى ، لكانت الأمة الجزائرية قد نكبت — مقابل لقمة خبز — فى القوة الحية من أبنائها العاملين بفرنسا .

لكن الغالبية العظمى من هؤلاء الذين أجبرهم الاستعمار على الخروج من ديارهم فراراً من الموت ، لا تزال والحمد لله جزائرية ديناً وعقيدة وإيماناً . وستكون بحول الله النواة الأولى لبناء النهضة الاقتصادية الجزائرية الحرة . وقد حاولت الجوع الكبيرة من هؤلاء المهاجرين الرجوع للبلاد الجزائرية أيام الثورة فحالت الإدارة الفرنسية بينهم وبين ذلك ، خشية انضمامهم إلى جانب أخوانهم الثائرين الأحرار .

— ١٣٨ —

— ٧ —

## القضاء

هل يعلم عربى فى دنيا العروبة ، أن القضاء فى قطر الجزائر ، العربى المسلم ، قضاء فرنسى كله ؟ وأن أهل البلاد ليست لهم أدنى مشاركة فيه ؟ .

فهناك فى أعلى سلم القضاء بقطر الجزائر ، محكمة استئناف عليا . وليس للجزائرى فيها من نصيب

وهناك ١٧ محكمة جنائية . لا مسلم جزائرى بها .  
 » ١٧ « ابتدائية ، يشارك أئمنان فقط من الجزائريين فيها .  
 وهنالك ١١٣ قضاوية صلح ، لا يشارك فيها المسلمون .

إنما يتقاضى المسلمون أمامها جميعاً ، فهم من الناحية القضائية ، كما هم فى النواحي الأخرى يعيشون غرباء فى بلادهم .

أما القضاء الشرعى الإسلامى ، فقد حطمه الاستعمار تحطياً ، ولم يبق منه إلا سورة مشوهة بشعة ، يخجل منها الإسلام . ولا أراى فى حاجة إلى الاطناب فى ذكر هذه الفضيحة القومية التى أرادها لنا الاستعمار ، إنما أرجو القارئ العربى أن لا يتصور أصلاً أن القاضى فى القطر الجزائرى . المنكوب بالاستعمار ، هو « القاضى » الموجود فى البلاد الإسلامية الأخرى .

فالقاضي المسلم الجزائري المتخرج من المدرسة الحكومية الجزائرية هو موظف فرنسي، يحكم بين المسلمين في أمور الزواج والطلاق والحضانة والموارث ، أى ما يتعلق بالحالة الشخصية الاسلامية ، إنما أحكامه تعتبر كلها ابتدائية ، والمتقاضين استثنافها المحاكم الفرنسية التى يكون لها القول الفصل فى الموضوع .

أما فى البلاد القبائلية التى طالما حاولت فرنسا بصفة إجرامية فصلها عن الإسلام ، فالقضاء « الإسلامى » يعتمد هنا لك ، منذ سنة ١٨٧٤ ، على العرف والتقاليد القبلية ، أكثر مما يعتمد على الفقه الإسلامى ، وذلك جرياً وراء تلك السياسة الخرافية التى ترمى إلى الفصل بين العربى والبربرى وقد خلقهما الله أخوانا ، ووحد بين قلوبهم الاسلام ، وربطت بينهم أوشاج العروبة ، وأندجا فى الوطنية أندماجا لا تنفصم عراه .

فالقضاء فى القطر الجزائرى مصيبة من أعظم المصائب الاستعمارية التى نكبت بها البلاد .

### سياسة التجهيل

لم تكن الأمة سائدة فى الأوساط الجزائرية ، قبل مصيبة الاحتلال . سنة ١٨٣٠ فكانت الكتاتيب ( ٣٠٠٠ ) وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها فى تعليم الأمة وتنشئتها النشئة العربية الدينية الصالحة .

فالاستعمار قد حطم في أول ما حطم كل المكتاتيب القرآنية ، وألغى  
وجبر التعليم في المساجد التي دمر وهدم أكثرها <sup>(١)</sup> ، ثم هو لم يعوض  
ذلك بشيء آخر ، لأنه يعلم أن الأمة أن علمت قاومت الاستعمار ، ولم ترضخ  
لقيوده ، وسعت السعى الحثيث للتخلص منه .

فسياسة « التجهيل » كانت إلى جانب سياسة « التفقير » شعار  
الاستعمار الفرنسي في قطر الجزائر ، والقانون الذي سار عليه ، منذ يومه  
الأول إلى يوم قيام الثورة الكبرى التي ستبديل بها الأرض غير الأرض ،  
بمشيئة الله وإرادة الشعب .

فالحكومة الاستعمارية قد تجاهت في أول أمرها قضية التعليم ، ولم تكن  
مشتغلة إلا بافناء العنصر الجزائري ، وتحطيم قواه وإخماد حركاته ، فما كاد  
ينتهي ذلك الدور الأحمر الفظيع ، حتى كانت البلاد قد فرغت من العلم  
بصفة تكاد تكون مطلقة ، وأصبح الناس يتعلمون سرّاً في ديارهم كأنهم  
يرتكبون جريمة .

ثم أخذت الحكومة الاستعمارية تفتح أبواب المدارس شيئاً فشيئاً  
أمام أبناء الجزائريين ، منذ سنة ١٨٨٣ ، لكن التعليم كان — ولا يزال —

---

(١) كان بمدينة الجزائر وحدها قبل الاحتلال ١١٢ مسجداً . لم يبق منها إلا  
خمس . أما الباقي فقد هدم تهديماً ، وحول أثنان من أكبرها إلى كنائس مسيحية ،  
منها مسجد كتشاوة الذي أصبح كاتدرائية ، ومسجد على بئشي الذي أصبح « قديسة  
الاتصار » .



فرنسيا بمحتا ، لا غربيا ولا جزائريا ، فاللغة الفرنسية فيه هي لغة الوطن ، وبلاد فرنسا فيه هي الوطن ، وتاريخ فرنسا فيه هو تاريخ الوطن وهكذا ...

إنما كان من نتيجة الوعي القومى الجزائرى الذى أخذ يكبس على الحكومة كبسا عنيفا منذ أوائل القرن العشرين ، أن نشطت حركة بناء المدارس وفتح أبوابها أمام أبناء البلاد ، ببرنامجهما الفرنسى البحت ، ولم يكن المقصد منها يومئذ الاستجابة لصوت الأمة ، ولا مسيرة النهضة العالمية التى كادت تقضى على الأمية فى سائر جهات الأرض ، بل كان المقصد منها ، حسب اعتراف كبار رجال السياسة والأساتذة ، تقريب الجزائريين من فرنسا بواسطة تلميحهم لغة الدولة المحتلة ، وآدابها وعلومها ، حتى يسهل ابتلاعهم ، ويسهل إدماجهم . لذلك كانت اللغة العربية — ولا تزال — محجرة فى كل المدارس الابتدائية الفرنسية . أما فى المدارس الثانوية والعليا ، فهى اختيارية كلغة « أجنبية » .

فأساسة التعليم فى بلادنا الجزائرية ، تساوى فى هولها وفى فظاعتها مأساة الأرض ، فهذه حرمت على أبنائنا حياتهم المادية ، وتلك حالت بينهم وبين النور ، والحياة الإنسانية الفاضلة .

فالمدراس الابتدائية الفرنسية فى قطر الجزائر تأوى سائر أبناء الأوربيين . واليهود على الإطلاق ، أى نحو ١٥٠,٠٠٠ تلميذ ، سنة ١٩٥٥ ، ولا يجد مقعدا فيها إلا نحو ٢٠٠,٠٠٠ من الجزائريين : ليس إلا . فأبناءؤنا ، ويا للفظاعة ، ويا للدناءة ، محكوم عليهم من الاستعمار ، فى عصر العلم

وانفجار الذرة ، بالنسكع في الطرقات ، والنشأة في الظلمات ، ليسكنوا  
طول حياتهم معطية ذلولا للاستعمار ، يعمالون مع السائمة لجرحا ريشه ، وخدمة  
الدنيء من مأربه .



( شكل ٢٨ )

يريدون له حياة الجهل والشقاء وتريد الثورة له حياة العلم والعمل والحرية

فنحو المليونين إنثنين من أبناء المسلمين الجزائريين ، لا يجدون إلى يومنا هذا مقعداً أى مقعد فى أى مدرسة ابتدائية .

وتنحدر نسبة التعلم للمسلمين بارتفاع درجة التعليم .

فالتعليم الثانوى بقطر الجزائر ، وهو فرنسى كله ، يزاول فى ٤٩ مدرسة ثانوية من درجة « ليسى » أو « كوليج » وهو يشمل :

٣٤,٨٦٨ تلميذاً بين فتيان وفتيات ، منهم ٥,٣٠٠ فقط من فتيان الجزائريين ، و ٩٥٢ من فتياتهم .

وإذا ازدادت صعوداً فى سلم التعليم العالى ، رأيت الهوة السحيقة التى يرسب فيها أبناء الجزائريين :

فن بين ٥١٤٦ طالباً فى كليات الجامعة الجزائرية ، لا يوجد يوم إعلان الثورة الكبرى إلا ٥٥٧ طالباً ليس إلا .. أما توزيعهم فهكذا :

الحقوق	١٥٢٨	أوربى	١٧٩	جزائرى
الطب	٧١٤	»	١١٠	»
الصيدلة	٣٦٩	»	٣٤	»
الآداب	١١٥٧	»	١٧٢	»
العلوم	٧٦٢	»	٦٢	»

وهكذا يوجد طالب واحد لكل ٢٢٧ نسمة من الأوربيين بينما لا يوجد إلا طالب واحد لكل ١٥,٥٠٠ من المسلمين .

فالفقر المدقع من جهة ، وسياسة التمييز العنصرى البشعة من جهة أخرى ، وسد أبواب الوظائف في وجه المسلمين ، واشتراط الجنسية الفرنسية لغشيان بعض المعاهد العليا في فرنسا ، كل ذلك كان حائلا بين المسلمين وبين مقاعد الجامعات .

أما العربية ، ويحتاجها النظام الاستعماري حاجة قليلة ، لا يجاد طبقة القضاة وأعوانهم والتراجمة ، فقد أنشأت لها الحكومة مدرستين ثانويتين — بتلمسان وقسنطينة — ومدرسة عليا بمدينة الجزائر ، تدعى « الليسات — الفرنسية الإسلامية » يتلقى فيها نحو ١٥٠٠ طالب من المسلمين ، تعليميا عاليا في اللغتين الفرنسية ، ثم العربية .

هذا ما يمكن أن تقدمه بغاية الإيجار عن التعليم الرسمي الحكومى بقطر الجزائر ، وهو يرمى ، كما رأيت ، لتعليم كل الأوربيين وتجهيل أكثر ما يمكن تجهيله من الجزائريين .

## التعليم الحر

لكن الأمة الجزائرية لم تقف موقف الخائر القوى أمام هذه الضربة الاستعمارية الكبرى ، بل أقدمت بجهودها الخاصة الضئيلة ، على إنشاء المدارس العربية الإسلامية الخرة ، وشادت منها ما يزيد عن ١٧٠ مدرسة ، يتراوح عدد فصول المدرسة منها بين ٢ و ٧٠ وقد تباهات الأمة — على فقرها المدقع — في بناء تلك المدارس ، تحت إشراف ورقابة جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين ، فكان منها ما بلغت تكاليف بنائه ١٥ أو ٢٠ مليوناً من الفرنكات . ( ١٥ أو ٢٠ ألف جنيه مصرى ) .

فهذه المدارس الابتدائية التي تعنى بها جمعية العلماء بصفة خاصة ، وتسطر برامجها وتعين لها قرابة السبعائة من الشيوخ والمعلمين ، قد تمكنت خلال العشرين سنة الأخيرة من تكوين نخبة عربية اسلامية بالقطر الجزائري ، وقد تخرج منها منذ تسكونها ما يزيد عن المائه والخمسين ألفاً من الفتيان القتيات . وعدد تلاميذها من بدين وبنات كان يشمل يوم اعلان الثورة الكبرى نحو الخمسين ألفاً . وكل هذه المدارس محارب من الإدارة الاستعمارية بحاربة سافرة ، فهي أن تنافلت عنها في جهة ، فإنها تضربها في جهات أخرى ضربات قاسية . وطالما أوصدت أبواب المدارس دون شفقة ، وطالما أصدرت على الشيوخ والمعلمين الأحكام القاسية بالسجن والتفريم الفادح ، وطالما نالها من الاضطهاد ما لا يكاد يتصوره العقل ، إلى أن كانت الثورة ، فبطشت الحكومة البطشة الكبرى بهذه المدارس .

ثم أسست جمعية العلماء — بأموال الأمة الفقيرة المدممة — معهد « عبد الحميد ابن باديس » التكميلي ، ليسكون همزة الوصل بين مدارسنا الابتدائية العربية الحرة ، والمعاهد العليا بتونس وبالشرق . وجهزت له « دار التلميذ » التي بلغت تكاليفها ما يزيد عن ٥٠ مليوناً من الفرنكات ( ٥٠ ألف جنيه ) وهي مؤسسة داخلية على أحدث طراز مصرى . يجد بها نحو الألف طالب المأوى والطعام وكل وسائل الراحة ، فيقدمون على التعليم بحمية وإيمان .

( م ١٠ — هذه هي الجزائر )

أما الذين يتخرجون من هذا المعهد التكميل ، فيسيرون لاستكمال معلوماتهم العليا بالجامعة الزيتونية في تونس ، أو يرسلون بعثات للجامعات الشرقية الكبرى ، في مصر ، العراق ، وسوريا ، والكويت ، والعربية السعودية ، وعدددهم في جميعها اليوم نحو الثلاثمائة طالب . ورغم عناية الحكومات العربية بهم عناية مختلفة النسبة ، فأكثرهم يقاسى آلام الفقر ، ومنهم من يبيت الليالي على الطوى ، لأن المقدار الزهيد الذى يتناولونه من بعض الجهات الرسمية لا يكفيهم أصلاً للمأكل والملبس والسكن . وقد انقطعت الصلة بينهم وبين ذويهم في قطر الجزائر منذ قيام الثورة الكبرى ، ثم إن جمعية العلماء لا تستطيع أن تمدهم - في حالتها الحاضرة - إلا بالقلة الزهيد ، فحالتهم اليوم ضئيلة ، تدعو للأسى .

وأرجو ، وقد كشفت الستار عن حالتهم البائسة في هذه الرسالة الموجهة للعالم العربى كافة ، أن تلتفت كل حكومة عربية - وخاصة حكومة مصر - أن عندها من أبناء الجزائر المغتربين جهاداً في سبيل إحياء العربية والإسلام بقطر دهره الاستعمار تدميراً ، فتقوم بنحوهم بالواجب الحقيقى الذى يغرضه الإسلام وتأتمر به أو شاج العربىة .

### التعليم الفنى

هناك في قطر الجزائر مدرسة للتعليم الفنى الزراعى ببلدة الحراش ، على مقربة من عاصمة الجزائر يفشاها ٣٨١ تلميذاً ، من بينهم ٧٥ فقط من المسلمين

أما التعليم الصناعى والتعليم التجارى ، فلهما كذلك بعض مدارس  
قليلة ، والعنصر الجزائرى يكاد يكون مفقوداً فيها .

هذه صورة الكارثة العالمية فى قطر الجزائر ، وهى كارثة لا مثيل لها  
على ما نعتقد ، فى أى قطر آخر . وبهذه السياسة « التجهيلية » الفاضحة ،  
حكم الاستعمار الفرنسى على نفسه حكماً صارماً ، يسجل عليه الخزى والعار ،  
إلى الأبد .

## الدين الإسلامى

هل يعرف المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، أن الدين الإسلامى  
فى قطر الجزائر ، غريب فى داره ، ممتحن بين أهله وذويه ، منكوب فى  
أوقافه ومساجده ومؤسساته ، وأنه يعتبر « ملكاً » خاصاً من « ممتلكات »  
الدولة الإستعمارية ، تقتصر فيه كما تشاء ؟

هذا مالا يعلمه الكثير من الناس ، وهذا ما يوثق أن لا يصدق  
الكثير من الناس ، لكن هذا هو الحق الصراح ، دون مبالغة أو تهويل  
إن أول ضربة ضربها الاستعمار فى قطر الجزائر ، بعد تقويض أسس  
الدولة الجزائرية ، هى تلك الضربة التى ألحق بها الأوقاف الإسلامية  
بممتلكات الدولة سنة ١٨٣٠ . فكل المساجد الإسلامية والمؤسسات  
الإسلامية ، قد أصبحت من ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة ، تفعل بها

ما تشاء ، فهدمت منها على هذه القاعدة ما هدمت ، ثم هي « تسمح » للمسلمين ، بإقامة شعائر دينهم في البقية الباقية منها ، إنما لا يقع ذلك — واقتبروا جيداً لهذا — إلا بواسطة موظفيها ، ورجالها ، ومن ينتدبهم الاستعمار للقيام بها .

فرجال الإفتاء ، وأئمة المساجد ، وسدنتها ، وقراء القرآن فيها ، ومؤذنونها ، كل أولئك من الموظفين الذين يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية ، ولا يتسلمون وظائفهم إلا متى قدموا للاستعمار ما يوجب رضاه ، ولا يبقون بها إلا ماداموا عامين على مرضاته .

قال أحد أكابر موظفي الولاية العامة الجزائرية ، وهو مسيو برك في مقال نشر بعد موته ما نصه :

« لقد وصل بنا امتهان واحتمار الدين الإسلامي ، إلى درجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الامام ، إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أى رقي ، إلا إذا ما أظهر للأدارة الفرنسية إخلاصاً منقطع النظير . »

وأرى أن كل كلمة تضاف على هذه الجملة التصويرية البليغة ، إنما تنقص من قيمتها . ولقد طالب المسلمون جميعاً ، وعلى رأسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنفيذ نفس القوانين الفرنسية ، مثل قانون ١٩٠٥ الذى يقتضى فصل الدين عن الدولة ، وقيام كل طائفة دينية بأمر دينها باستقلال . لكن ، بينما يستقل النصارى واليهود بأمر دينهم منذ ذلك العهد ، رأينا الاستعمار



الفرنسي يرفض رفضا باتا ، إلى يوم إعلان الثورة ، ورغم كل القوانين والوعود ، ارجاع الدين الإسلامي ، بمساجده وأوقافه وموظفيه إلى جماعة المسلمين ، حتى اضطر المسلمون لمقاطعة المساجد الحكومية الفرنسية ، وأخذوا يؤسسون لأنفسهم مساجد « حرة » قامت الامة بنفقات بنائها الضخمة ، وهي تتمهدها وترعاها ، بما يجب لمساجد الإسلام من رعاية واحترام ، ومنها مساجد فخمة ، تعد من تحف الفن الممارى الإسلامى ، وبلغت تكاليف بعضها نحو ٥٠ مليون فرنكا ( ٥٠ ألف جنيهه ) .

وهكذا قاومت الامة الاستعمار في المضمار العامى ، وفي الميدان الدينى ، كما قاومته في حلبة السياسة . إلى أن وقعت الثورة الكبرى ، التي سيحق الله بها الحق ، ويبطل بها الباطل ، أن الباطل كان زهوقا .

#### المعجزة النفسية :

لو أن مجموعة هذه المصائب السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، والدينية ، كانت قد أصابت أمة أخرى من أمم العالم ، لأحدثت فيها دون ريب ما يسمى في علم الاجتماع بمقدمة النقص ، ولرمت بها بين احضان اليأس والموت .

لكن كل هذه المصائب مجتمعة لم تستطع أن تقتلع من هذه الأمة الجزائرية الأبية ، ماعندها من « مركب الكمال » فالجزائرى الجائع ، المريض ، البطل ، المعترى ، الأذى ، الذى لا يرى أمام وجهه بابا من ابواب الأمل ،

والذى لا يجابهه فى حياته إلا الأعداء الذين يريدون موته ومحقة وافناءه ، ذلك  
الجزائرى لم ييأس يوما ، ولم يضعف يوما ، ولم يضع أنفه فى الرغام يوما ،  
بل تعتقد العامة منه كما تعتقد الخاصة ، أنه إنما يقاسى محنة عارضة ، وأن  
هذا الظلم العارم المنصب عليه ماهو إلا سحابة صيف ، وأن له مستقبلا  
زاهرا ، يعيد فيه مجد اسلافه ، ويحيا من جديد فى ارضه حرا عزيزا سعيدا .  
فالجزائرى فقد كل شيء ، إلا الأمل ، وانتزع منه كل شيء ، إلا الايمان ،  
وحطمت كل قواه ، إلا قوة النفس .

وهذا مثل تضربه الجزائر ، فى العزيمة والصبر والجلد وطول الاناة ،  
وقد برهنت بشورتها الأخيرة الجامعة على أنها تمهل الظالم ، حتى إذا أخذته  
لم تفلته .

---

# المقاومة

## المقاومة الحربية

يقول قائل : وكيف كان موقف الأمة الجزائرية ، الأبية ، تجاه هذا مدوان الصارخ ، وأمام هذه المنكرات الاستعمارية التي لم يسجل لها تاريخ مثيلا ؟ وهل سلمت الأمة طوعا أعناقها لجلادها ، وهل استكانت ذلت ، فلم تبد مقاومة لما كانوا يعملون ؟ .

كلا ! إن المقاومة الجزائرية الصلبة العنيفة قد استقرت في كل ميدان ، نذ سقوط السيف من يدها وهي مشحنة بالجراح ، فكانت مقاومتها مستمرة تكتسي مرّة صبغة الثورة المسلحة العنيفة ، وتكسي مرة أخرى صبغة الكفاح السياسي المرير .

### الزعاطشة :

فما لأحد أن ينسى مثالا تلك المقاومة الصارمة التي وقعت ببلاد الجنوب الجزائري ، وخاصة بواحة « الزعاطشة » الشهيرة ، التي هبت للدفاع عن كرامة والحياة الحرة ، تحت قيادة الزعيم الشهيد الأبر ، السمد أو زان ، سنة ١٨٥٢ .

فهاجمت القوى الفرنسية تلك الجهة الزاخرة بالحياة ، واستمرت الحرب بين الجانبين أمداً طويلاً ، إلى أن تغلبت الكتلة والأسلحة الحديثة ، على القلة والوسائل الضعيفة ، فأجمل الفرنسيون السيف في رقاب أهل الواحة وما حولها وذبحوا كل ذى كبد حراء فيها ، إنساناً كان أو حيواناً ، ولم يرحموا طفلاً ولم يشفقوا على امرأة أو شيخ ، فلما انقضى أمر السكان جميعاً ، حول الفرنسيون نقتهم إلى المساكن والديار ، والأشجار ، فأعدموها تماماً ؛ ولم يبقوا بالواحة حجراً على حجر ، ثم هم لم يسمحوا من بعد أن تقا ، في هاتيك الجهة واحة أخرى على أنقاض الواحة القديمة .

ولذكري هذا النصر العظيم ، نصر الجسة والدناءة والندالة ، اطلقوا اسم هذه الواحة الشهيرة على طريق من طرقات الجزائر العاصمة . أه الزعيم أبو زيان فقد أعدموه رمياً بالرصاص .

وفي نفس تلك السنة ، أعلنت مدينة الأغواط في الجنوب الجزائري المقاومة لما يراد بها ، فسارت إليها الفرق الفرنسية بمدافعها ، وأصلتم نيراناً حامية ، ثم هاجمتها وعلت بها الأفاعيل ، فمات أكثر سكانها تحت حد السيف وبين أسنة الالهب ، وخرب أكثر عمرانها ، لكنهم تمكنوا فيما بعد من تضميم جراحها شيئاً فشيئاً .

أولود سبى الشيخ :

وما رضى العربى يوماً لضم ، وما استسلم المسلم يوماً لمذلة وهوان

ورغم أن حوادث الزعاشة ، والأغواط ، قد سارت بذكرها  
 الركباني ، وأدبت قلوب القاصي والدان ، فإن الجزائريين الميامين قد صمموا  
 على الانتفاض والثورة ، ما وجدوا للانتفاض والثورة سبيلاً . ففي سنة ١٨٦٤ ،  
 نادى بالجهاد بطل من أبطال الجنوب الغربي ، الباش أغا سليمان بن حمزة بن  
 بوبكر ، والنفث حوله قبائل « أولاد سيدى الشيخ » وأصلوا الفرنسيين  
 نيراناً حامية ، فارتدوا على أعقابهم ، ثم أعادوا الكرة تحت قيادة  
 الكولونيل بوبيريتي ، وكان من بينهم جماعة من « القوم » أى الجند  
 العربى المتطوع مع فرنسا ، وما كادت المعركة تلهب وتشتد ، وبستبسل  
 العرب الأبحاد فى ميدان العزة والشرف ، حتى أخذت الحمية ، حمية الإسلام  
 لاجمىة الجاهلية ، جماعة « القوم » فانتفضوا على الفرنسيين ، وانضموا  
 للمجاهدين ، وكانت نتيجة المعركة موت سائر رجال الفرقة الفرنسية المعتدية ،  
 بما فيها من الكولونيل قائدها . وقد تمكن البطل سليمان بن حمزة من قتله  
 بيده أثناء المعركة ، ثم استشهد بعد ذلك خلالها رحمه الله .

واستمرت الحرب بعد ذلك النصر العظيم ، وانتشرت فى الجبال الجنوبية  
 كلها ، ودامت خمسة أعوام كاملة . إلى أن جردت عليها فرنسا جنداً عرماً  
 زودته بسلح فتاك ، وتوات الوقائع ، وتتابعت أعمال الفرنسيين التكتيلية  
 الفظيعة ، إلى أن تمكنوا من التغلب على تلك الثورة فى آخر معقل من  
 معاقليها الذى كان جبال عمور ، سنة ١٨٦٩ .

## ثورة المجرمرة :

ما كادت فرنسانهار ، في مذلة وصغار ، أمام الجند الألماني سنة ١٨٧١ حتى هبت جبال المجرمة الأبية ، معقل الهمة والشرف ، ترفع لواء الثورة القومية الكبرى ، سميا وراء التخلص من الاحتلال ، وارجاع عهد الاستقلال .

ولقد تولى كبر الثورة الباش آغا السيد الحاج محمد المقراني ، وشد أزره وأعاناه على جمع المسلمين تحت راية الجهاد ، الشيخ محمد بن الحداد ، وسارت جموع الثائرين تحطم مراكز الاستعمار الفرنسي ، في الجهات الشاسعة الممتدة من بجاية على ساحل البحر شمالا ، إلى برج بوعريج جنوبا ، ثم إلى ضواحي مدينة الجزائر غربا . وأخذت الثورة تنتظم ، وأمرها يشتد ، ودعوتها تنتشر ، إلى أن تمكنت فرنسا من استرجاع جندها الذي كان أسيرا في ألمانيا ، فوجهته ضد الفرق الوطنية الثائرة . عندئذ وقعت معركة البويرة التي اندحر فيها الوطنيون بعد ثبات عجيب ، واستشهد فيها زعيم الثورة الوطنية الحاج محمد المقراني رحمه الله .

إنما المجاهدون لم يلقوا السلاح بعد هذا الانكسار ، فانسحبوا إلى جبالهم المنيع ، وتحصنوا فيها . لكن الجند الفرنسي أظهر أمامهم من شدة المراس لم يبذل بعضه أمام الألمانين ، وأخذ في ارتكاب أعمال الخسة والحفارة ، من ذبح الجماعات البريئة ، وهتك الأعراض بصفة فاضحة دنيئة ، ومحطيم القرى واتلاف المزارع ، وأعدام الأقوات والمدخرات ، فمن لم يمت

- ١٥٥ -



( شكل ٢٩ ) المجاهد محمد المurray

محمد السيف ، مات جوعاً ، أو تحت وقع الفضيحة ، في بلاد تتخذ من الشرف الإنساني مثلها الأعلى في الحياة .

وهكذا استمرت الممارك ستة أشهر أخرى ، إلى أن اجتلب الاستعمارون الطغاة تلك المعاقل الطبيعية جبلاً جبلاً ، واستولوا على مداشرها قرية قرية ، فأسفرت تلك الممارك العنيفة عن استشهاد ما يزيد عن السنتين ألفاً من الأحرار الأبرار ، وموت ما يزيد عن العشرين ألفاً من جنود الاستعمار .

ولقد قضى الاستعمار على ذلك الجبل الأشم ، جبل زواوة ، بالموت السريع ، إذ غرم أهله ، ٣٦ مليون فرنك ذهباً ، وبحجز كامل الأرض الفلاحية ( ٥٠٠ ألف هكتار ) ووزعها على المستعمرين . ثم أصدر أحكام الأعدام ، على كل من شارك في الثورة أو كانت له يد فيها . أما زعيم الثورة الذي خلف الشهيد المقراني ، وهو السيد أبو مزراق ، والشيخ محمد بن الحداد ، وولداه الشيخان محمد وعزيز ، وخمسمائة من وجوه القوم وكبراء البلاد ، فقد حكم عليهم بالأشغال المؤبدة وسارت بهم السفن إلى كاليدونيا الجديدة في المحيط الهادي ، حيث ماتوا رحمهم الله بموت الأباء والشرف .

### البروي :

في نفس مدينة الجزائر ، وفي الجهات الممتدة غربها إلى بلدة شرشال ، قامت الثورة كذلك ، في تلك الآونة ، إلا أنها لم تسكن عنيفة قاسية ، وأعلن أحد رجال العاصمة المدودين السيد محمد البدوي ، في ساحة



الحكومة استقلال البلاد . وأخذ ومن معه يحاولون تنظيم الإدارة المستقلة الجديدة ، لكن الحركة أخفقت ، وأرسل الفرنسيون السيد البدوي إلى السجن المضيق يقضى به سبعة أعوام .

### أوراس :

لم يستطع الأوراسيون الأحرار صبرا على احتلال الاستعمار الفرنسي لجبالهم الآهلة المنيمة ، وقراهم الجميلة ، فأعلنوا الثورة والانتفاض المار العديدة ، وأهمها ثورة سنة ١٨٥٣ الكبرى ، وأرسلوا زهرة شباهم وخير رجالهم ، يحاربون الفرنسيين ويحاولون إبعادهم عن الديار . فكانت الحرب سجالا ، وكانت الوقائع متوالية ، فما انتصر الفرنسيون مرة إلا أعاد الأوراسيون الأحرار الثورة مرة أخرى . إلى أن كانت الثورة الكبرى سنة ١٩٥٤ . فنحن نستطيع القول بأن الأوراس هو الجبل الذي لم يخضع أبدا .

### المقاومة السياسية في دورها الأول

اتخذت المقاومة الجزائرية السياسية أشكالا مختلفة ، منذ توطد قدم الاحتلال بالبلاد الساحلية إلى قيام الثورة الكبرى .

### الهجرة :

كانت المظاهرات الأولى التي وقعت بعد إخفاق الثورات الكبرى ،

هى الهجرة الجزائرية للبلاد الإسلامية الحرة . فما كادت جموع الجزائريين تتمتع أنه قد حكم عليها بالحياة الشقية الذليلة تحت نير الاستعمار الفرنسي الفظيع ، حتى أخذت تغادر البلاد جماعات وآحادا فسار بعضها إلى تونس الخضراء ، وسار بعضها الآخر إلى الإسكندرية ، وبلاد الشام ، حيث قبلوا أحسن قبول على الرحب والسعة ، ووجدوا أن أخوة الإسلام ليست مجرد كلمة تقال .

ولا يزال أبناء هؤلاء المهاجرين يعمرون تلك الجهات كمواطنين صالحين . ثم أن فرنسا أعلنت سنة ١٩١٢ قانون التجنيد الإجبارى للمسلمين ، فازدادت هجرة الجزائريين إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، كيلا يعملوا تحت الراية التى قاوموها عشرات السنين .

### أول مقاومة قلمية :

ولا يسعنا إلا أن نسجل بعداد الشرف ، على صفحات التاريخ الجزائرى ، اسم الأستاذ الشهم الكريم ، السيد محمدان عثمان خوجة ، فلقد كان أول جزائرى رفع عقيرته بالاحتجاج الصارخ ، منذ فجر الاحتلال البغيض . فقد بعث به أهل مدينة الجزائر سنة ١٨٣٢ على رأس وفد يطالب حكومة فرنسا بالإفلاع عن مظالمها وآثامها ، وإرجاع ممتلكات المسلمين إليهم ، والاعتراف لهم بحق الحياة .

وقد ترك لنا هذا الشهم الكريم وثيقة من أغرب وأثرى وثائق

«التاريخ الجزائري الحديث» ، إذ ألف كتاباً ضخماً أسماه «مرآة الأحوال» نقله إلى الفرنسية أحد مهرة اللبنايين ، وطبع في مجلد ضخيم سنة ١٨٨٣ بمدينة باريس . ومما امتاز به هذا السفر الجليل :

أولاً : إثباته إن عدد سكان القطر الجزائري كان عند الاحتلال عشرة ملايين من النفوس ( والسيد حمدان كان المدير الثاني لمصلحة الضرائب في الحكومة الوطنية الجزائرية ) .

ثانياً : أنه سجل أعمال اللصوصية والنهب التي قام بها الجند الفرنسي ، وصور أبشع صورة تلك المنكرات التي فعلها الأعداء دون حياء أو رادع ، وأثبت بوثيقة فرنسية على يد محضر فرنسي ، أن الفرنسيين كانوا يسرقون عظام موتى المسلمين من المقابر الإسلامية ، ويرسلون بها ضمن عظام الحيوانات لمعامل تكرير السكر بمرسيليا .

ثالثاً : بيانه عن الأملاك والأرزاق المصادرة ، والمظالم التي ارتكبتها الطغاة أثناء الاحتلال . وحكاية مارآه المؤلف منها رأى العين .

وقد رجع السيد حمدان للجزائر خائباً ، بعد الجهود الضخمة الذي بذله ، ولم يرجع الاستعمار عن غيه ، بل زاد في طغيانه ، وبقي كتاب « المرآة » في الخزان العامة ، يشهد على الاستعمار ، بالخزي والعار .

### الصفحة الأولى :

كانت فرنسا قد أوجدت في البلاد مجلس النيابات المالية عام ١٩٠١ ،

فاغترفت للجزائر (الفرنسية) بمبدأ الاستقلال المالى ، وكان ذلك المجلس يشمل الثلثين من الفرنسيين ، مقابل الثلث من الجزائريين ، الذين تتدخل الحكومة فى انتخابهم تدخلا فاضحا .

لكن النهضة التركية ، والاتقلاب العثمانى ، قد أحدثا تغييراً فى حالة البلاد الممنوية . وكان العدوان الطليانى على ولايتى طراباس وبرقة ضغماً على إيالة ، فأخذ المسلمون يتعاملون ويتذمرون ، ونشأت فى البلاد صحافة ضعيفة أخذت تعبر عن استياء الرأى العام الإسلامى من حالته الوضيعة .

وكانت البلاد تقاسى الأمرين من قانون الانديجينا « التندجين » الذى تنصب نغمته على المسلمين خاصة ، فمن لم يدفع منهم الضريبة يسجن ، ومن سكن فى جهة نائية يسجن ويحطم بيته ، ومن اجتمع مع إخوانه فكانوا فوق الخمسة عوقب بتهمة عقد اجتماع دون ترخيص ، ولا يسوغ لجزائرى أن ينتقل من بلدة إلى بلدة أخرى ، ولو كانت مجاورة له ، إلا بإذن خاص . أما القبائل الجزائرية كلها ، فى السهول وفى الجبال ، فقد كانت خاضعة لأحكام . « الضمان الجماعى » بحيث أن احترق غاب ، أو وقعت جناية ، فسائر أهل القبيلة مشتركون فى المسؤولية ، وهكذا .

فلاساتنة المرحومون ، أحمد بن اسماعيل بوضربة ، والحاج عمار . والصادق دندان ، قد قاموا منذ سنة ١٩١٠ بتأسيس صحف وطنية ، تكتب باللسان الفرنسى ، وتدافع عن حقوق ورغائب المسلمين ، مثل صحيفة الهلال وصحيفة الرشيدى وغيرها ، وأحدثت هذه الصحف رجّة

هنيئة في الافكار ، وأخذت-المقاومة السياسية أشد وتصاب ، وأخذ  
الشبان المثقفون ثقافة فرنسية يشاركون فيها ، ويتقدمون إلى الامام .

### الحرب الكبرى

جندت فرنسا من مسلمي الجزائر لمحاربة ألمانيا مايزيد عن الاربعمائة ألف  
رجل ، مات منهم في ميدان الحرب مايزيد عن الثمانين ألفا .  
وزيادة على ذلك العدد ، فقد جهزت فرنسا ثمانين ألفا من الجزائريين  
يعملون في المعامل الحربية الفرنسية ، وفي المعامل المدنية .

وإذ كان الجزائريون يقومون بذلك المجهود الحربي العظيم — إجباريا — ،  
كانت النخبة منهم تطالب برفع المظالم ، وبالتسوية في الحقوق ، وتندد  
بمساوىء النظام الاستعماري ، واشتهر من تلك الطبقة أمثال المرحومين :  
عمر بوضربة ، وعباس حماني ، الذي اغتاله الاستعمار غدرا ، ومحمد ابن رحال،  
ولإصراهم ، ثم أصبحت القضية منتشرة في فرنسا ، وقد تولى فيها النضال  
عن حقوق المسلمين رجال من أمثال المأسوف عليهما ، جون جوريس  
الزعيم الاشتراكي الكبير ، والبان روزي ، وغيرها .

نالت الأمة الجزائرية مقابل كل جهودها ، ونضالها وعدا .. ينفذ بعد  
الحرب . على أن جبال أوراس لم تقنع بهذه المطالب وهذه الوعود ، فامتعت  
عن تسليم أبنائها للجنديّة الفرنسية ، ونطق البارود من جديد بين الجانبيين ،  
(م — ١١ هذه هي الجزائر)

بينما التجأ ما يزيد عن المائة ألف من شبان المسلمين إلى الغابات والجبال فراراً من العمل تحت راية فرنسا الاستعمارية .

### المقاومة السياسية في دورها الثاني

قوانين ٤ فيفري سنة ١٩١٩ :

انتهت الحرب الكبرى ، ورأت فرنسا أن لا بد من عمل شيء للجزائريين ، من قبيل ذر الرماد في العيون على الأقل ، فأصدرت قوانين ٤ فيفري ، تلغى بها أكثر قوانين الأنديجيدا السالفة الذكر ، وتسوى فيها بين سائر السكان من حيث الضرائب ، حيث كان الجزائريون يدفعون أكثر من الأوربيين ، وكانت عليهم إلى جانب ذلك ضرائب خاصة بهم . أما من ناحية الحقوق السياسية فقد اكتفت قوانين ٤ فيفري بزيادة عدد الناخبين الجزائريين ، بعد ما كانوا في دائرة خاصة ضيقة ، لا يشارك فيها إلا التجار وأصحاب الأملاك ، وخيبت هذه « الإصلاحات » آمال الجميع .

الأمير خالد الرباسي :

ولأول مرة في تاريخ الجزائر الحديث ، رأت الأمة زعيماً سياسياً مقدماً جريئاً ، هو الأمير خالد بن محي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله ، فقد كان هذا الأمير عمل برتبة ضابط كبير في الجندية الفرنسية ، وشارك الفرنسيين حروبهم وآلامهم ، فما انتهت الحرب حتى شكل وفداً

لم ساحة فرساي ، حيث كان الرئيس الأميركي ولسون يحاول عبثا فرض بنوده التي نادى بها زمن الحرب، ومنها حرية سائر الأمم في تقرير مصيرها. ولكن سرعان ما علم الجزائريون - كما علم التونسيون - أن تلك المبادئ ما كانت في نظر الأوروبيين إلا خدعة حرب لا غير ، وأن المنتصر الحقيقي في الحرب العظيم الأولى إنما هو الاستعمار والطغيان الأوروبي ، فرجع النواب الجزائري ، خائبا ، وجمع الأمير خالد هيئة سياسية أسمها « وحدة النواب المسلمين » وأسس لها صحيفة حرة اللهجة دعاها « الإقدام » فكان ينادى بوجوب « اصلاح » الحالة في قطر الجزائر على قاعدة تسوية الجزائريين بالفرنسيين في كل شيء ، ودخول الجزائريين لمجلس النواب الفرنسي ، وإلغاء سائر الأحكام الاستثنائية . والتف المسلمون حول الأمير خالد ورأوا فيه خير خلف لخير سلف . ثم أخذت الأيام تبدي من شدة شكينة الجزائريين ، ومن صلابتهم في الحق ، ما طال عليه عهد المستعمرين ، فتألبوا وتكالبوا ، وقاموا في البلاد الجزائرية وفي البلاد الفرنسية بحملات شعواء على المسلمين ، ووقفوا صففا متينا ضد الحقوق التي يطالبونها ، واشتد ضغط المستعمرين الدرجة أن رأت فرنسا نفسها مضطرة لإرجاع قوانين الانديجيا من جديد ، وأخرجت الأمير خالد من أرض الجزائر . لكن أسنة اللهب كانت قد نارفعت عالية ، فم تخمد بمدها أبدا .

واستمر الجزائريون يطالبون بواسطة النواب وبواسطة الوفود ، بتحقيق برنامج الأمير خالد الذي أصبح هاتيك الاثناء ، وإلى ساعة قيام الحركات الوطنية الكبرى ، ميثاقا قوميا جزائريا ، لا تقوم حركة إلا على أساسه .

— ١٦٤ —

## نجم شمال افريقيا :

رأت سنة ١٩٢٦ حادثين عظيمين ، كان لهما التأثير الأكبر على مستقبل القطر الجزائري : أولهما تأسيس جمعية نجم شمال افريقيا في باريس ، وثانيهما ، تأسيس « نادى الترقى » بعاصمة الجزائر .

أما جمعية نجم شمال افريقيا ، فقد ساهم في تأسيسها ثم ترأسها السيد الأستاذ أحمد الحاج مصالى ، وأزرتة جماعة من الشبان الأحرار الجزائريين والراكشين والتونسيين ونادت هذه الجمعية بمبدأ التحرير التام من الاستعمار الفرنسى ، وأعلنت حق شعوب المغرب العربى فى الاستقلال والحرية . ومنذ ذلك التاريخ ، لم تزد دعوة الاستقلال إلا انتشارا وذبوا ، حتى أصبحت العقيدة العلية للشعب ، وحتى أدت إلى الثورة الكبرى الحالية .

ورغم الاضطهاد العظيم الذى لقيته « جمعية نجم شمال افريقيا » فقد تمكنت من الحياة والاستمرار على كفاحها طوال ١٢ سنة ، فما حلتها الحكومة إلا سنة ١٩٣٧ يوم ٢٩ مارس .

وكانت جمعية نجم شمال افريقيا التى التف حولها أكثر العمال المسلمين الجزائريين بفرنسا ، تنادى بوجوب انتخاب برلمان قونى جزائرى ، وجعل الوظيفة العامة فى القطر الجزائرى مفتوحة أمام الجزائريين ، والاستقلال الكامل للبلاد الجزائرية ، وارجاع الأرض المغتصبة إلى الجزائريين ، ثم انسحاب جيش الاحتلال من القطر الجزائرى .

تلك هى الصرخة التى دوت فلم تحمد ، وذلك هو المشعل الذى ارتفع فلم يهدم .



## نادى الترقى :

لم يكن الجزائريون يعرفون الاجتماعات منذ الاحتلال الفرنسى ، وكانت  
قوانين الانديجينات تحرم الاجتماعات كما أسلفنا ، فكانت كل الحركات  
الجزائرية تنقسم بقلة النظام — داخل القطر الجزائرى — إلى أن وفقنا الله  
لوضع معقل بعاصمة القطر الجزائرى ، كان له تأثيره العظيم على الحياتين السياسية  
والاجتماعية ، وذلك هو « نادى الترقى » الذى تمكنا من تأسيسه بمد  
جهود عظيمة ، فى أحسن موقع من عاصمة الجزائر . فكانت قاعاته الفسيحة  
تجمع النخبة المفكرة كلها ، سواء بالعاصمة أو بداخل البلاد ، وكانت  
المحاضرات والسمامرات والحفلات الكبرى تتوالى فيه ، ويقبل الناس عليها  
إقبالا عظيما . وكنا نسير بنادى الترقى — رغم القوانين الصارمة — فى  
طريق الدعوة المليية الوطنية من جهة ، وفى طريق الدعوة الإسلامية  
والمروية الشاملة من جهة أخرى . وقاوم النادى نزعات الاندماج كما قاوم  
طلب الجنسية الفرنسية قصد الاحراز على الحقوق السياسية . وفى هذا النادى  
المبارك ، تمكنا من تحقيق الحلم الذى كان يراود دعاة النهضة العربية  
الإسلامية ، ألا وهو تأسيس هيئة إسلامية عربية ، تنهض بالبلاد نهضة  
جبارة ، داخل عربيتها وقوميتها وإسلامها ، فكانت « جمعية العلماء  
المسلمين الجزائريين » .

## الاحتفال المئوي :

ولقد أعاننا على عملنا ، ومهد لنا السبيل ، تلك الأعياد الهوجاء التي أقامها الاستعمار سنة ١٩٣٠ ، احتفالا بمرور مائة عام على احتلال القطر الجزائري . فلم يبق هنالك من جزائري ، إلا وأحس بفتح ذلك الجرح الداي من جديد ، وتذكر تلك المآسي والموبقات التي ارتكبت منذ فجر الاحتلال إلى يوم الاحتفال ، ورأى رأى العين كيف يحتفل المستعمرون بذكرى إنكسار الجزائريين ، وكيف كانوا يفادون بأن الجزائر فرنسية ، وستبقى فرنسية إلى الأبد ! ، وكيف كانوا يتفننون في ابتكار أساليب الثلب والشتم لتاريخنا ، ولرجالنا ، ولماضيها ، ولديننا ، وللغتنا .

إن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر ، قد قدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل .

## جمعية العلماء :

كنت أنادي في نادي الترقى ، وفي غيره ، أثناء كل خطاب : الإسلام ديننا ، الجزائر وطننا ، العربية لغتنا ! واتخذنا من هذه القاعدة أساساً لمقاومة الاتجاه الفرنسي ، داخل البلاد ، كما كانت جمعية نجم شمال إفريقيا ، تقاوم ذلك الاتجاه في الخارج .

ولم نكن إلا أربعة رجال عند ما أخذنا في ركن من أركان النادي ، نضع الأسس لتكوين «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» . وشاءت إرادة

الله أن تنجح الدعوة نجاحاً منقطع النظير ، فأقدم علماء المسلمين من كل جهات البلاد رغم التهديد والوعيد يؤسسون في يوم مشهود هذه الجمعية التي تمكنت من بعت العروبة والإسلام في قطر أراد له الاستعمار ، التفرس والمسخ ، وانتخبت رئيساً لها علامة القطر الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وكان صاحب دروس في قسطنطينة ، وكان قائماً بدعوة إصلاحية دينية عظيمة ، وكان يصدر مجلة الشهاب ، بعد أن أصدر جريدة « المنتقد » .

واقتحمت جمعية العلماء ميدان حرب محفوف بالمزالق والأخطار . خارت أول ما حاربت أنصار الاستعمار ، ثم قاومت وحطمت البدع والضلالات الدينية التي استغلها الاستعمار تحت ستار الطرقية ، حتى تمكنت من تطهير الدين وأرجعته لتعاليمه الطاهرة الأولى .

ثم أخذت في الحملة التعليمية العربية الإسلامية الكبرى ، فوفقها الله إلى تكوين ذلك الجيل الصالح الذي أخرجته مدارسها ، والذي هو اليوم قوة العروبة والإسلام في البلاد ( انظر الفصل السابع ) وامتدت فروعها في كل جهات القطر ، ورسخت جذورها رسوخاً متيناً .

على أن الجمعية قد شاركت إلى جانب أعمالها الإسلامية العربية ، في أكثر الأعمال السياسية ، سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة ، لتحفظ لكل تلك الأعمال السياسية طابعها العربي الإسلامي ، ولتوجه السياسة توجهاً عربياً إسلامياً ويرأس الجمعية اليوم العلامة المجاهد الشيخ محمد البشير الأبراهيمي .

## ومدة النواب :

وأعاد النواب المسلمون الجزائريون تشكيل وحدة النواب التي كان قد ابتكرها الأمير خالد رحمه الله ، فمادت إلى الظهور تحت رئاسة الدكتور ابن جلول ، وأخذت تشن الغارة الشعواء على المظالم الاجتماعية ، والاجحاف السياسى ، وسيرت الوفود العديدة إلى باريس المطالبة بالحقوق وإخراج الحكومة ، وشدت الأمة أزر الوحدة بصفة فعالة .

فكان من نتائج الأعمال الذى سبق ذكرها ، والنهضة الجديدة التي ظهرت فى الأمة ، والتسكتل الشعبى حول المطالبة بالحق ، أن عمدت فرنسا من جديد لسياسة الإرهاب ، وخنق الحريات ، فأصدرت قراراً ( قرار روني وزير الداخلية ) يلحق صارم العقوبات بكل من يتهم بمحاولة النيل من النفوذ الفرنسى ، وهكذا ما ازدادت الأمة نهضة ، إلا ازدادت الحكومة عتوا .

وكان الأستاذ عباس فرحات ، من أنشط عناصر وحدة النواب .

## حزب الشعب الجزائرى :

فى اليوم الحادى عشر من شهر مارس سنة ١٩٣٧ ، أعلن السيد مصالى الحاج أحمد ، تأسيس « حزب الشعب الجزائرى » بدلا عن جمعية نجم شمال افريقيا التي حلها الاستعمار . فكان هذا الحادث من أعظم حوادث التاريخ الجزائرى الحديث ، وطبع حزب الشعب الجزائرى بطابعه

الاستقلالى الثوروى كامل السياسة الجزائرية ، منذ تأسيسه إلى ما بعد حله ، واستجاب الشعب لنداء هذا الحزب ، استجابة منقطعة النظير . وكان جواب الحكومة الفرنسية على إعلان هذا الحزب ، أن ألقت القبض على الزعيم أحمد مصالى وبعض رجال الحزب ، وقضت بسجنهم سنتين ، بدعوى أنهم أعادوا تنظيم مؤسسة حملها القانون ( ١٧ أوت ١٩٣٧ ) لكن حزب الشعب انطلق فى السماء كالشهاب الثاقب ، ولم ترده مظالم الاستعمار ولا مكائد الحكومة ، واستمر منتشرآ متغلغلاً فى سائر أوساط الأمة .

### برنامج فيوليت :

ما كادت تنتصر الجهة الشعبية بفرنسا فى انتخابات سنة ١٩٣٦ ، حتى برزت فى العالم الجزائرى فكرتان :

فكرة أبدأها الوالى العام الأسبق ، مورييس فيوليت ، وصادقه عليها زعيم الحكومة الاشتراكية ، ليون بلوم ، وهى تقضى باعطاء الحقوق الفرنسية لعدد كبير من المثقفين المسلمين ، كى يشاركوا مع نفس الفرنسيين فى انتخابات القسم الفرنسى بالمجالس النيابية . أما بقية المسلمين فتستقل بقسمها الثانى . على أن يكون المسلمون ممثلين بالمجالس النيابية الفرنسية . وقد كان الوالى العام فيوليت ، قد قاوم الاستعمارين الفرنسيين وقاوموه بصفة عنيفة ، إن أن تمكنوا من عزله عن الولاية العامة ، فأكد يستقر به القام فى باريس حتى اخترع برنامجا هذا وألف كتابه الشهير « هل

تعيش الجزائر؟» فسدد به للاستعمار ونظمه ومظالمه ضربات فتاكة، وأظهر حقائق لم يكن يعرفها الناس، وكانت آراؤه وأفكاره — سواء في كتابه أو في مشروعه — تملخص في الكلمة الآتية : إذا لم نصف الجزائريين، ونسرع بادخالهم ضمن العائلة الفرنسية، متساوين في الحقوق والواجبات، فإنهم سيندفعون في الميدان الاستقلالي التحرري، وعندئذ تخسر فرنسا أرض الجزائر نهائيا.

### المؤتمر الإسلامي :

أما الفكرة الثانية، فكانت تنادى بجمع مؤتمر اسلامي جزائري عام يضم قادة الرأي في القطر الجزائري، لتقرير خطة موحدة جزائرية، تجمع فيها الأمة على رأي.

وتولى كبر الدعوة لذكراتور ابن جلول، على أن يشمل المؤتمر: النواب، ورجال الفكر، وجماعة من العلماء، باسمهم الخالص ولا باسم جمعية العلماء.

واجتمع المؤتمر يوم ٧ يونية سنة ١٩٣٧، ولاحظ الناس أن رجال حزب الشعب الجزائري الجديد، أو رجال نجم شمال أفريقية القديم، لم يحضروا ذلك المؤتمر، لأن دعوتهم الاستقلالية الانفصالية، كانت تتنافى مع المبادئ التي نادى بها فيوليت وبلوم، والتي ظهر أن المؤتمر قد انمقد على مقتضاها. أما العلماء الذين شاركوا، فقد أعلنوا أن مشاركتهم كانت للدفاع عن السكيان العربي الإسلامي، وادماج الطالب الدينية ( فصل الدين عن

الحكومة الفرنسية) والمربية (تعليم اللغة العربية إجباريا في المدارس الحكومية ، وحرية التعليم العربي بالمدارس الخاصة) ضمن برامج المؤتمر .  
 وأسفر المؤتمر عن مقررات لا تسكاد تخرج من ناحيتها السياسية عن برامج فيوليت : الانتخاب العام في صندوق واحد مشترك بين الجزائريين والفرنسيين ، والغاء قوانين الانديجينا بصفة نهائية ، والاعتراف بالعربية لغة رسمية بقطر الجزائر ، ومحافظة المسلمين ممن يدخلون ضمن الطبقات الفرنسية الانتخابية ، على حالتهم الشخصية الاسلامية ، فلا يعتبرون متجنسين ، وتمثيل المسلمين ببرلمان فرنسا .

وقد كانت جمعية العلماء قد أفتت بأن السلم الذي يمتنع الجنسية الفرنسية بطل منه ، يعتبر مرتدا ، لأنه يقبل طوعا واختيارا الخروج عن أحكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بحالته الشخصية ( الزواج ، الطلاق ، الميراث ) . فازداد فرار الناس من التجنس ، ولم يكونوا قد قبلوه يوما من الأيام .

وذهب وفد يمثل المؤتمر لدى حكومة باريس ، خلال ذلك الشهر . وتألب الفرنسيون الاستعماريون ضد هذه المطالب ، وحملوا عليها في باريس . وفي الجزائر حملة شعواء ، إلى إن اخفق مشروع بلوم فيوليت أمام المجلس الفرنسي ، وخاب رجال المؤتمر في أعمالهم ومساعدتهم ، وأيقن الكثير منهم يومئذ ، أن الطريق الوحيد الذي يجب على الأمة أن تسلكه ، إنما هو طريق الاستقلال الوطني . فما عتمت فكرة المؤتمر أن تلاشت ، وأخذت

الفكرتان الأساسيتان الجزائريتان في النمو والانتشار : فكرة الشعب الاستقلالية ، وفكرة جمعية العلماء العربية الاسلامية .  
الفكرتين واحد ، إلا وهو إنشاء المجتمع الجزائري الذي يسير نحو والاستقلال تحت راية العروبة والاسلام .

### اضطهاد حزب الشعب :

أخذ الحزب ينظم صفوفه ، ويجمع حوله الرجال الأشداء الذين الاستقلال الوطني عقيدة لهم ، ومنهاجاً لأعمالهم ، وأخذت الدعوة في البلاد ، والفروع تؤسس في كل جهة ، وكانت الحالة الأوربية مظلمة تحت تهديد هلتر ، ووعيده ، وريح الحرب تهب عاصفة ، بحية الجميع يعلمون أنها واقعة لا ريب فيها . لكن الفرنسيين بدل أن سياستهم أمام ذلك التهديد الخفيف ، ما أزدادوا إلا شدة وعنفاً وهداً ضد المسلمين : فما كاد رجال حزب الشعب يخرجون من السجن عام ٩ حتى أعيدوا إليه ، بتهمة تهيئة الثورة والتجريض على العصيان ، بالسيد مصالى ورفقائه في السجن يوم ٤ أكتوبر سنة ١٩٣٩ ، وحكم بالسجن ١٦ عاماً مع الاشغال الشاقة ، والابعاد ٢٠ سنة بعد انتهاء السجن ، وتغريمهم مقدار ثلاثين مليوناً من الفرنكات ...

### الحرب العظمى الثانية :

هكذا كانت الحالة السياسية ، عندما اشتعلت نيران الحرب العظمى :



ولا ينكر أحد أن كثيراً من المسلمين الجزائريين كانوا — رغم عاطفتهم الديمقراطية — يتمنون من صميم قوادهم انتصار ألمانيا ، لا حبا فيها ، ولا طمعا في خير ينجر من وراء انتصارها ، بل كانوا يريدون الانتقام من فرنسا المستعمرة ، والانتقام ليس إلا .

دخلت فرنسا الواحية ، المنحلة ، تلك العممة عن غير استعداد ، يقودها جماعة من المترفين ، بعضهم جاهل ، وبعضهم مغرور ، إلى أن ضرب هاتر ضربته الحاسمة ، فنكبهم شر نكبة ، وفرقهم أيدي سباً ، فلم تستطع تلك الدولة الفرنسية المتكاملة على الاستمرار ، الظالمة الجبارة ، أن تثبت بسلاحها ورجالها نصف شهر أمام الجحافل الجرمانية ، فخرت صريعة ، وفقدت كل شيء حتى الشرف ، وما وسعها إلا أن استسلمت في مذلة وصغار . وذات كأس الاحتلال المرير الذي طالما جرعتة الشعوب ، وخاصة الشعب الجزائري .

ولقد كان الجزائريون يستعدون يومئذ لتصفية الحساب نهائياً مع فرنسا ، واستمرارها ، ومظالمها ، واحتلالها ، لولا تدخل الألمان من جهة وقد كانوا يقولون : انتظروا معاهدة السلام فستنصف كل أحد ، ولولا تدخل الدعاة الأميركيين الذين كانوا يقولون : لا تفعلوا شيئاً وانتظروا الأميركيين فسيبربحون المجولة الأخيرة ، وسينصفون كل أحد . وصدق بعض الجزائريين هؤلاء ، كما صدق بعض الجزائريين أولئك ، وباليتم لم يصدقوا أحداً من الجانبين . وبقي الجزائريون ينتظرون ماتاتى به الأيام ، ولم يكن ذلك الانتظار من الصالح في شيء .

## « أصحاب البيادر والحرية » :

وقع ما كان منتظراً . ففي ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ تمكن الأميركيون من احتلال الشمال الأفريقي ، وأبعدوه عن نفوذ حكومة فيشى الصورية ، ونفذ لجان الهدنة الألمانية الطليانية الفعلية . لكن وقع أيضاً ما لم يكن منتظراً . فإن الأميركيين اعتمدوا في حكم البلاد على الفرنسيين خاصة ، ولم يفكروا — رغم عودهم القديمة — في إنصاف المسلمين أى إنصاف . وكانوا يقولون جهاراً : نحن جئنا لمحاربة المحور ، أما قضاياكم الخاصة فبينكم وبين الفرنسيين .

قلنا : — وماذا يكون موقفكم لو أننا أخذنا في تصفية حسابنا مع الفرنسيين الآن ؟ . فقال المتحدث الرسمي باسمهم : ان الفرنسيين في الشمال الأفريقي حلفاؤنا ، وأننا نسعى لاستمالة الفرنسيين في فرنسا ، فكل عمل يقع ضد الفرنسيين هنا إنما نعتبره موجهاً ضدنا ، ونقاومه إلى جانبهم بكل شدة .

وهكذا خاننا الألمانيون وخدعنا الأمريكيون ، ولم يبق أمامنا من باب نظره إلا باب الأعمال السامية ، القليلة الجدوى ، في تلك الأوقات الحرجة . ففي ٣ فيفري سنة ١٩٤٣ ، اجتمع رجال من أحرار الجزائر ، فيهم من أنصار حزب الشعب ، ومن العلماء ، ومن النواب ، ومن المستقلين ، وتفاوضوا في مستقبل الأمة الجزائرية ، وفي خروجها نهائياً من المنطقة الاستعمارية إلى المنطقة المستقلة الحرة ، فقرروا تحرير « بيان » ينشرونه على

للأمة الجزائرية ، ويقدمونه للأمة الفرنسية ولرجال الدول المتحالفة ، وقد  
باتفقوا على النقطة الرئيسية منه ، وكلفوا الأستاذ عباس فرحات بتحريره  
في صيغته النهائية ، فكان « البيان » يعلن :

أولاً : إفلاس الاستعمار في سياسته ، مع تفصيل مراحل الإفلاس .

ثانياً : ان الاستعمار قد حكم على الأمة الجزائرية بالفقر والجهل  
والتشرد ، وأبغضاها عن كل ميادين الحياة ، وان الأمة لن تستطيع بعد اليوم  
صبراً على هذا النظام .

ثالثاً : أن المخرج الوحيد للأمة الجزائرية مما هي عليه من المهانة  
الاستعمارية ، إنما هو « إعلان الجمهورية الجزائرية المستقلة » مع ارتباطها  
بفرنسا ارتباطاً تماقدياً ، ومع احترامها لحقوق سائر السكان دون تمييز بين  
جنس ودين .

على أن تكون للجمهورية الجزائرية جنسياتها الخاصة ، وعلمها الخاص .  
وانضم أغلب الناس إلى هذا « البيان » وتوحد في هيئة أمنت نفسها  
« أحباب البيان والحرية » كل الرجال العاملين لخير الجزائر ، على قاعدة  
الاستقلال والتحرير ، وجأهروا بدعوتهم وتحمسوا لها واستمدوا للتضحية  
في سبيلها .

جواب الحكومة :

أما الحكومة الفرنسية التي كانت تدعو نفسها حكومة « فرنسا

الحرية» ، والتي يرأسها الجنرال دى قول ، فقد هالها الأمر ، وعزمت على الشر ، وجاء ديقول بنفسه إلى مدينة قسطنطينة يعان برنابجا هو أشبه نبي .  
برناميج فيوليت السالف الذكر ، ويعمد المسلمين بمدد من « الإصلاحات »  
بصفتهم فرنسيين ، تعتبر بلادهم جزءاً من فرنسا إلى الأبد حسب الأنشودة  
العتيقة .

ثم نسكت برجال حزب البيان ، وألقت القبض على الأستاذ عباس  
فرحات وزجت به مع أحد رجال البيان في السجن ، وأرسلت بالأستاذ  
أحمد مصالى إلى المنفى في الصحراء ، بعد أن كانت أطلقت سراحه مع  
رفقائه من السجن ، ثم بعثت به إلى بلاد الكونغو بقلب إفريقيا ، يقاسى  
آلام المنفى .

٨ ماي سنة ١٩٤٥ :

كانت الأمة الجزائرية تغلى غلياناً أثر هذه الحوادث ، ينذر بانفجار  
شديد ، وكان الأستاذ عباس قد خرج من سجنه ، وعاد رجال « أحباب  
البيان والحرية » إلى العمل والاجتماع ، ومعالجة الموقف بما يجب ،  
والاستعداد لخوض معارك السياسة عند ما تضع الحرب أوزارها قريباً ،  
وقد كانت أشرفت على نهايتها .

وانتهت الحرب بعد قليل ، بانهزام ألمانيا ، تحت ضربات السلاح  
الأمريكي الفتاك . وشاء ربك أن تلعب فرنسا دور المنتصر الجبار مع

المتمصرين ، بعد أن كانت تقف في مؤخرة المندحرين ، وصارت تلقب :  
أكبر الدول الصغرى ، وصغيرة الدول الكبرى .

ففي يوم ٨ ماي سنة ١٩٤٥ احتفل العالم الغربي « الحر... » بمقدالهدنة  
مع ألمانيا . وأراد الجزائريون أن يشاركوا في هذا الاحتفال ، وأن يتخذوا  
منه وسيلة لظهور عواطفهم ، وبيان أهدافهم ، لكن الاستعمار كان قد هيا  
برنامجا ، واختار مكان المعركة ، فماكادت مظاهرة سلمية تقع بمدينة سطيف  
صبيحة ذلك اليوم ، حتى تحرش بها الفرنسيون بدعوى أن المتظاهرين كانوا  
يرفمون علما جزائريا بحجرا ، وقتل محافظ البوليس بيده ، غلاما مسلما كان  
يرفع العلم . فكان ذلك الحادث ايذانا بالاندفاع في مذبحه من أفضع وأقذر  
المذامح الاستعمارية في العالم . واجتمع على المسلمين في الجهة الممتدة بين  
سطيف ، وخراطة ، وقالة ، رجال الجند الفرنسي بين مشاة وطيارين  
وفرق مصفحة ، ورجال البحرية الفرنسية الذين كانوا مستعدين على  
السواحل ، ورجال الحامية الأوربية الذين كانوا قد تسلحوا واستعدوا لذلك  
اليوم الأحمر الرهيب .

وفتح الجميع موسم الصيد الأدنى ، وطورد المسلمون في المدن والقرى  
والمدامر كما تطارد السباع في الغابات ، وعمت المذامح فدهت ضحيتها القرى  
العديدة ، لم ينج منها رجل ولا امرأة ولا صبي ، وكانت المصفحات  
الفرنسية تسير صفافتمدم القرى على رأس من فيها من رجال ونساء  
وأطفال ، حتى تسوى بها وبما فيها الأرض ، فكانت الدماء تجري غزيرة  
( م - ١٢ هذه هي الجزائر )

وقد صبغت الأرض بلونها الأحمر ، وبصفة ظاهرة أمكنت المصورين من أخذ مناظر لها من الطائرات .

وهنا لك قري أخرى ، دمرت بالطائرات تدميرا فلم يبق منها شيء .  
أما بالمدن الكبيرة ، كسطيف ، وقالة ، فكان رجال « الميليشيا » من المتطوعين الأوربيين يهاجمون الديار ، ويقبضون على النخبة المثقفة الجزائرية ، وينهبون بها خارج المدينة ويأمرونها تحت تهديد الرشاشات بحفر القبور الجماعية ، ثم يقتلون الفوج أثر الفوج ، ويأمرون كل فوج بدفن الفوج السابق .

أما النساء فقد امتحن شر امتهان ، واتهمكت حرمانهن انتهاكا جديرا بأعمال وحوش الاحتلال الأولين ، وقطعت آذانهن من أجل الأفرات ، وايديهن من أجل الخواتم ، وأرجلهن من أجل الخلالخل ، وكان الجند يتباهى بتلك المنائم ، ويتفاخر بالاحراز على أكبر عدد منها . . .

دامت المذبحة أياما وليالى سوداء . واسفرت عن مقتل ٤٥ ألفا من المسلمين واضمحلال قري كاملة وخراب جهات فسيحة ، وأعدام النخبة المفكرة فى كامل الجهة . . . ولولا تدخل رجال من الأحرار اندفعوا ينصرون الحق ويندون بالمذبحة ، ولولا ضجة عالمية قامت ضد هذه الجريمة المندمة النظير ، لكان قد حل بالمسلمين سنة ١٩٤٥ ، ما هو واقع ببلادهم اليوم ، من جراء الثورة الكبرى .

يادرت الحكومة مع ذلك بحل جماعة « أحباب البيان والحرية » وألقت القبض على رئيسها الأستاذ عباس فرحات وانصاره ، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء والبارزين من اعضاء الجمعية ، وعدد كبير من الرجال الاحرار ، فيهم كل رجال حزب الشعب الجزائري الذين لم يكونوا في السجون أو في المعتقلات . فكان عدد المقبوض عليهم ٤٥٦٠ رجلا هم نخبة الأمة ومفكروها : وصدرت الأحكام على ١٣٠٠ رجل ، منهم ٩٩ حكما بالاعدام ، و ٦٤ بالاشغال المؤبدة ، و ٣٢٩ بالاشغال لوقت معين . والبقية بعدد من الأعوام سجناء .

أما من الناحية الأوروبية ، فلمسلمون تمكنوا من قتل ١٠٢ من الفرنسيين فقط ، ولم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم ، أو يثأروا لموتاهم وبنيتهم لأعراضهم بأكثر من ذلك .

فحادثة يوم ٨ ماي الرهيبة ، كانت الاساس الأول الذي بنيت عليه قواعد الثورة الجزائرية الكبرى ، وغرست شجرة الحرية الباسقة ، في بركة من دماء الشهداء الابرار .

بقي قادة الأمة في السجن ، تحت خطر الموت الاجرائي ، إلى يوم ١٦ مارس سنة ١٩٤٦ ، حيث صد الأمر باطلاق مراسيهم . وكانت الحكومة قد حلت جماعة أحباب البيان ، كما حلت حزب الشعب الجزائري . فقام الاستاذ عباس فرحات بتأسيس حزب جديد أسماه : حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري . أما رجال حزب الشعب ، فقد اسموا كذلك حزبا جديدا يدعوهم : حزب انتصار الحريات الديمقراطية .

واستعد الجميع لمعركة جديدة ، من ورائها الموت أو من ورائها الحياة :

### الدرستور الجزائرى :

استمرت الحكومة الفرنسية تماثل الموقف معاملة الجاهل أو معاملة الأعمى . فبعد أن قدمت الامة جماعة من خير أبنائها لتمثيلها بالمجلس التأسيسى الفرنسى ، وبعد المناقشات الطويلة الصعبة التى اظهرت سوء نية الحكومة وسوء نية الأغلبيات الفرنسية حيال قضية الجزائر ، انتهى الأمر بأن « منحت » فرنسا بلاد الجزائر قانونا أساسيا ، مشوها ، ابتز ، كان أبعد ما يمكن عن الحق وعن مبدأ الحرية ، وكان أبعد ما يمكن عن رغبة الامة ، نكثت الآمال مرة أخرى ، وما رأى شعب الجزائر من فرنسا ومن استعمارها إلا خيبة الأمل ، خلال قرن وربع قرن .

فالدستور الجزائرى قد بنى على الأسس التالية :

- ١ — البلاد الجزائرية قطعة من الأرض الفرنسية : تتألف من ثلاث مقاطعات ، يتساوى سكانها فى الحقوق والواجبات . جنسياتهم فرنسية .
- ٢ — المسلمون يحافظون على حالتهم الشخصية الإسلامية ، ولا يحول ذلك بينهم وبين الحقوق السياسية .

٣ — تتمتع أرض الجزائر ، تحت سلطة الوالى العام ، بنظام خاص تقتضيه طبيعة أرضها وحالة سكانها ، وهذا النظام يقتضى إنشاء « مجلس جزائرى » ينتخب الفرنسيون والمسلمون الذين يتشاركون معهم فى



الانتخاب ، نصفه ، أى ، ٦٠ نائباً ، وينتخب المسلمون الذين لا يشاركون الفرنسيين — أى غير المثقفين أو الموظفين أو قدماء الجنود — نصفه الآخر ، أى ٦٠ نائباً ، وتكون الرئاسة مداولة بين القسمين كل سنة .

٤ — هذا المجلس الجزائرى مختص بدراسة ميزانية الجزائر ، وله حق ابتكار المشروعات التى تتعلق بحماية الجزائر الاقتصادية والاجتماعية ، لكن الميزانية الجزائرية لا توضع موضع التنفيذ إلا بعد مصادقة الحكومة الفرنسية عليها . وكذلك لا يمكن أن ينفذ أى قرار من قرارات المجلس الجزائرى إلا بعد مصادقة الحكومة الفرنسية .

٥ — القوانين الفرنسية كلها تنفذ على القطر الجزائرى ، إنما بعد أن يدرسها المجلس الجزائرى ويتخذ فى أمرها قراراً .

٦ — المسلمون الجزائريون يرسلون لساكنات المجالس الفرنسية بباريس ، عدداً من النواب يتساوى مع عدد نواب الفرنسيين المستقرين بالجزائر .

٧ — تعتبر اللغة العربية لغة رسمية ثانية بأرض الجزائر ، وتدرس بساكنات المدارس ، ويعتبر الدين الإسلامى مفصلاً عن الحكومة . وعلى المجلس الجزائرى أن يجد الطرق التى تنفذ هذين القاعدتين .

٨ — الوظائف العامة — مدنية وعسكرية — مفتوحة أمام ساكنات القطر الجزائرى على السواء .

٩ — إلغاء البلديات المتمتجة فى قطر الجزائر وإلغاء الحكم العسكرى ببلاد الجنوب .

١٠ - يتألف حول الوالى العام « مجلس الحكومة » وهو يتراكب من ستة رجال : اثنين يعينهما الوالى العام ، واثنين ينتخبهما قسم المجلس ورئيس المجلس ، ونائب رئيسه . ( ٣ من المسلمين و ٣ من الأوربيين ) وينظر هذا المجلس فى تنفيذ مقررات المجلس الجزائرى وما يتعلق به .  
وهكذا شاء هذا الدستور أن تبقى الجزائر قطعة من فرنسا ، وأن تكون جنسية الجزائرى فرنسية ، وأن لا تملك الجزائر شيئاً من حقوق التشريع ، وأن يمثل ٦٠ نائباً التسعة ملايين من المسلمين . بينما يمثل ٦٠ نائباً كذلك المليون من الأوربيين ، وأن تبقى الجزائر دون حكومة ودون كيان دولى . فازداد ضغط الأزمة وأصبحت تنذر بانفجار العاصفة قريباً .

### التدليس والتزوير

لكن الفرنسيين فى قطر الجزائر رأوا أن هذا الدستور « السخى » .. يمكن أن ينتزع زمام السلطة من بين أيديهم ، ويمكن أن يستعمله الجزائريون لتوسيع نفوذهم أو الإفادة من نصوصه ، والوقوف الموقف الضارم على تنفيذها . فاخترعت الحكومة الفرنسية فى قطر الجزائرى ، بإعانة شيوخ المدن الإستعماريين ، وإعانة سائر رجال السلطة ، ما يدعى فى عالم السياسة الحديث : « الانتخابات الجزائرية » فشهدت البلاد من أصناف التدليس ، والسرقة ، واللصوصية الانتخابية ، ما نؤكد أنه لم يقع فى قطر آخر من أقطار العالم ، وفى أى زمن من الأزمان .

ذلك أن الحكومة ورجالها ، وأقطاب الاستعمار ، وأصحاب الامتيازات والإقطاعات ، رأوا أن الخطر كل الخطر يهددهم إذا ما هم تركوا الجزائريين أحراراً في انتخاب نوابهم ، لأن أولئك النواب لا يكونون إلا من رجال الجزيرين الاستقلالين : « حزب انتصار الحريات الديمقراطية » و « حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري » ، فاستقر رأيهم على الوقوف في وجه الأمة ، و « منيحها » طائفة من النواب الصالحين ، كما منحوها الدستور الصالح من قبل : ..

وبتفصيل هذه السرقات وهذا التدليس الذي باشرته الإدارة الجزائرية بصفة فاضحة ، تحت إشراف الوالى العام السيء الذكر م ناجلان . وبمباشرة المدير المسئول فى الولاية العامة م . سيوزى ، هذا التفصيل المحجل الفاضح ، لا يتفق وخطة الإيجاز التى التزمناها فى هذه الفذلكة . إنما هى باختصار كافت تقع على الطريقة التالية :

أولاً : حرية الترشيح مباحة للجميع

ثانياً : الدولة تعين المرشح الرسمى المسلم . . . الذى تختاره ، وترى به إلى ميدان الانتخاب ، وتضمن له النجاح ، وتزوده بما يلزمه من المال .

ثالثاً : يتمتع المرشح الرسمى بكل التسهيلات فى تجولاته وتنقلاته ، بينما توضع كل أنواع العراقيل فى وجه المرشحين الحزبيين .

رابعاً : كارثة يوم الانتخاب تقع على النحو الآتى : —

( أ ) في عدد من الجهات لا توزع أوراق الانتخاب ، بل يباشر الموظفون الإداريون العملية ويعمرون الصناديق كما يريدون .

( ب ) يترك الناخبون أحراراً في جهات أخرى ويتم عملية الانتخاب على الوجه الأكمل . لكن في آخر لحظة ، يقع « حادث » فيأمر شيخ البلدة أو المتصرف بإخراج سائر الناس ويستبدل بالصندوق صندوقاً آخر ثمّسّر في الظلمات باسم المرشح الحكومى .

( ج ) قبل موعد الانتخاب . يباشر أعوان الإدارة ملء الصندوق بواسطة الرقاع الانتخابية الراجعة ، والتي مات أصحابها أو تغيبوا ، فتوضع بأسمائهم أوراق المرشح الحكومى ، وتستهمل طرق أخرى لتحقيق الأغلبية الساحقة له .

( د ) يقف الحاكم « الادمنسراتور » أو القائد في قاعة الانتخابات ، ويمنع دخول ممثلى المرشحين الأحرار ، ويعلم الناخبين بأن الحكومة تريد « فلاناً » وأنه إن لم يقع انتخابه ، فليس للسكان أن يعتمدوا أبداً على أى إعانة من الحكومة ، وأن الدولة تعاملهم معاملة الأعداء . فتتم الجريمة . أما من ذهب غاضباً ، ولم ينتخب ، فإن أعوان الإدارة يستعملون صوته ، وينتخبون باسمه المرشح الحكومى .

وإننى لا أكتفى بهذا المقدار ، وهو نقطة من يم ، لإعطاء قارىء هذه المجالة صورة عن المأساة الانتخابية ، التي كانت نتيجتها إبعاد الأمة وممثلها الحقيقيين عن المجلس الجزائى . فأسفر هذا التدليس الشنيع عن تشكيل المجلس الجزائى المدلس المشوه كما نرى :

الفائزون بالحكوميون ، الذين يدعوهم بالمستقلين ٤٣

» من حزب انتصار الحريات الديمقراطية ٩

» » الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ٨

٦٠

### خشب مسندة :

كانت النتيجة أن الحكومة تمكنت بواسطة هذه الأعمال الخجولة من وضع خشب مسندة على مقاعد النيابة في المجلس الجزائري ، ساومت أغليبتهم على ضمائرهم ، فلم يكونوا ينهسون ببنت شفة ، إلا متى قال لهم الاستعمار تسكلموا ، أو متى حرر لهم نص الكلمات التي يقولونها .

وكانت نتيجة هذا الوضع الشاذ ، أن الاستعمار وإدارته وحكومته ، قد ضمنوا لأنفسهم عدم تنفيذ الدستور الجزائري ، طوال المدة التي انقضت بين عامي ١٩٤٨ — ١٩٥٤ ، فلا الوظائف فتحت في وجه المسلمين ، ولا التعليم العربي نال الصبغة الرسمية ، ولا الدين الإسلامي فصل من إدارة الاستعمار ، ولا البلديات المتمتجة الكريهة الغيت ، ولا النظام العسكري زال من البلاد الجنوبية . ورأى الناس كافة ، حتى أكثر المتفائلين منهم ، وأكبر المعتدلين فيهم ، أن الاستعمار قد تمكن بواسطة الدستور الجزائري بالابر ، وبواسطة تدليس الانتخابات ، من حكم البلاد الجزائرية ، لفائدته الخاصة ، وضد مصالح الجزائريين ، أكثر من أي وقت آخر مضى .

وهل تكون نتيجة هذا اليأس النهائى ، إلا التفسكير فى استعمال الوسيلة الوحيدة الباقية : الثورة المسلحة ، والاقدام عليها ؟ .  
وهكذا كان .

ولم يكتف الاستعمار بتدليس انتخابات المجلس الجزائرى ، بل أصبحت الانتخابات بعد ذلك ، لسكل المجالس النيابية ، كلها تدليس وسرقة ، وتزوير حتى أصبحت كلمة « الانتخابات على الطريقة الجزائرية » تستعمل فى المضمار العالمى ، للتعبير عن كل انتخاب مزور مدلس . وفى هذه الأوقات والجزائر تنسكتب فى آمالها ، وتمتهن فى ديارها ، ويحال بين نخبها الوطنية وبين مجالس النيابة الهزلية ، كان الجزائريون يعلمون أن موجة التحرر قد شملت العالم أجمع ، وأن أمم آسيا قد تحررت : أندونيسيا - الهند - الصين - باكستان - برما - سيلان - العراق - سوريا - إيمان - وأن أمم أفريقيا قد مزقت قيود الاستعمار : مصر - الحبشة - ليبيا - أريتريا - الصومال . فقالوا : وهل كتب الله أن لا يبقى فى العالم إلا الاستعمار الفرنسى ، وأن لا يبقى هذا الاستعمار إلا فى بلادنا ؟ . ؟ .

### فظاعة وأهوال :

أخذت الأمة نتيجته منذ تلك الساعة ، اتجاها يسير نحو الثورة على خط مستقيم . ولو كانت الإدارة الجزائرية موضوعة تحت قيادة جماعة من الصم البكم الغمى الذين لا يعقلون ، لما تصرفت غير تصرفها فى هاتيك الأيام التى كانت من أسوأ أيام التاريخ الجزائرى ، وأشدّها سواداً .

كانت الفضائح تتلوا الفضائح ، وكانت الأعمال التنكيلية الزاجرة تتلو الأعمال التنكيلية الفظيمة .

ففي بلاد القبائل الكبرى وقعت خلال شهر يوليو سنة ٤٨ حوادث هوسونفير وجهتها ، حيث أحرق الجندرمة والجند ورجال البوليس القرى والديار ، وأتلفوا المئون والأرزاق ، واتهمكوا حرمة النساء والبنات وقد كان وقع مثل ذلك من قبل في جهات برج أم نائل ودلس وغيرها . وفي سبتمبر وأكتوبر من نفس تلك السنة ، هاجم الجندرمة والجندرمة ورجال الدرك قرية « سيدى على بوناب » الباسلة ، بدعوى التفتيش عن رجل هارب من الجندية ، فخطموا القرية تحطيا ، وأعتدوا على عفاف النساء والبنات بصفة شنيعة ، وسرقوا ونهبوا ، وأهانوا ، ودام ذلك العدوان القذر ١٥ يوماً ....

وفي بلاد الأوراس ، هاجم الجندرمة خلال سنتي ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، القرى والديار ، وارتكبوا من الأعمال الشنيعة والمظالم المنكرة ، ما يزال يتحدث به الناس في جهات الجنوب ، وذلك بدعوى البحث عن أحد الرجال المجرمين ، فذاقت أمة الأوراس عذاب النكال من جراء ذلك ، وأقسمت جهد إيمانها لتنتقم من اللشرف المداس والسكرامة المتهنة .

التنكيل بحزب انتصار الحريات الديمقراطية :

خلال شهر مارس سنة ١٩٥٠ ، أعلنت الحكومة الاستعمارية ، أنها اكتشفت مؤامرة حاك أطرافها حزب الشعب السابق ، الذي أصبح يدعى حزب

« انتصار الحريات الديمقراطية » ، فأطبقت على الحزب في كل جهة ، وقتشت كل مرا كزه بالمدن والقرى ، بقصد البحث عن « المنظمة السرية » التي شكلها الحزب ، وهياها للقيام بالثورة ، وعن أسلحتها وعنادها ، وقد اقترنت هذه التفتيشات بمظالم لا توصف ، واستعمل البوليس لاستنطاق المتهمين ، المقبوض عليهم ، وكانوا يزيدون عن الألف ، وسائل لوصفناها لقراء هذه الرسالة ، لاقشعرت منها جلودهم ، ولما وجدوا لها نظيراً ، إلا في ديوان التفتيش الأسباني السيء الذكر .

ثم قدم الرجال إلى المحاكم ، فحكمت على نحو النصف منهم بـمدة تتراوح بين العامين سجنًا ، وبين الأشغال الشاقة المؤبدة . ولا يزال أكثرهم يقامى عذاب الهون في سجون البلاد الجزائرية ،

ثم قررت الحكومة بعد كل هذه الحوادث لإبعاد السيد أحمد الحاج مصالى رئيس الحزب عن أرض الجزائر ، فوضعت تحت الإقامة الجبرية في البلاد الفرنسية .

### جبهة الدفاع عن الحرية :

كانت الأمة تضغط على الأحزاب ضغطاً عنيفاً ، قصد الاتحاد وجمع الكلمة ، ومجاهدة الاستعمار وإدارته صفاً واحداً . فبعد محاولات عديدة أسفرت الجهود عن تأسيس « جبهة الدفاع عن الحرية » ولم تكن ذات منهاج متسع ، إنما كانت محاولة أولى لاتحاد شعبي عام وجد مستقره النهائي وطريقه الثمر ، في جبهة التحرير الوطني الجزائري ، التي أسفرت عنها الثورة الكبرى .



كانت الجبهة تطالب ، بجمل المجالس المداسة ، وبانتخابات حرة ،  
وبتنفيذ فصل الدين عن الدولة ، وترسيم اللغة العربية ، وإطلاق سراح  
المعتقلين ، والإفراج عن الزعيم السيد أحمد مصالي . إنما المقصد الحقيقي منها  
كان جمع سائر أحزاب الأمة ومنظماتها في هيئة واحدة ، لعمل مشترك  
واحد ، فقد اشترك في الجبهة حزب انتصار الحريات الديمقراطية ، وحزب  
الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، وجماعة العلماء ، وجماعة الأحرار المستقلين  
والشيوعيون الجزائريون على قلتهم .

وكان يوم خامس أوت ١٩٥١ ، يوماً مشهوداً في تاريخ الأمة الجزائرية  
يوم عقدت الجبهة اجتماعها العام في الملعب البلدي ، للإعلان عن غايتها  
وأهدافها .

### مقاطعة الانتخابات :

عزمت الأمة عزماً نهائياً ، على مقاطعة الانتخابات العامة ، وعدم تقديم  
الأحزاب لمن يمثلها فيها ، وكان ذلك أثر أعمال التديليس وال تزوير التي  
صحت انتخابات ١٧ جوان سنة ١٩٥١ ، والتي ابتكرت الحكومة فيها أساليب  
أخرى لم تكن معروفة من قبل في ميدان اللصوصية الانتخابية . وهكذا  
تركت الأمة المجال فسيحاً للإدارة ، تستغل بأعمال الانتخابات ، وتفعل  
فيها ما تشاء ، إذ لم يكن في استطاعة الأمة أن تغير من ذلك المنكر شيئاً .  
ذلك أن الأمة قد عزمت على الاتجاه في طريق آخر ، هو الطريق

الوحيد الذى بقى مفتوحاً أمامها ، إلا وهو طريق الثورة التحريرية التى  
تخطم الاستثمار وتقوض أركانه .

والثورة هى آخر وسيلة تلجأ إليها الشعوب ، وبها تحق الأمة الحق ،  
وتبطل الباطل ، وتثل عروش الظالمين .

انقسام حزب الانتصار الحريات البرمقراطية :

كان حزب الشعب العظيم ، قد تضخم وكثر عدد اعضائه ، وتطور  
مع الزمن تطورا ادخل فى هيئته الاداريه عددا من الرجال المثقفين ، الذين  
يدينون للمبايىء وللنظم المصرية ، أكثر مما يدينون « للزعامة » .

فى شهر أبريل سنة ١٩٥٣ ، اجتمع مؤتمر الحزب ، وانتخب مجلسا  
اداريا جديدا ، أخذ يسير الحزب فى طريق النظام ، والخضوع لحكم  
الأغلبية ، وكان السيد احمد الحاج مصالى فى اقامته الاجبارية بفرنسا  
( حيث سير به يوم ١٤ ماى سنة ١٩٥٢ ) فأخذت المصادمات تقع بين  
الأساليب القديمة والأساليب الحديثة . وبينما كان رأى الرئيس فيما سبق هو  
المرجح ، وارادته هى العليا ، أصبحت آراؤه تناقش ، وارادته تعارض  
احيانا من قبل الأغلبية ، فأعلن أن هذه الطريقة تؤدى إلى فساد الحزب  
وإلى اضمحلاله وانحلاله . وطالب باعطائه « التفويض المطلق » فى سياسة  
الحزب ، فرفضت الأغلبية عليه ذلك ، وأصبح الانقسام ضربة لازب ، إذ  
تصلب السيد مصالى مع رأيه ، وهاجم أغلبية اللجنة المركزية هجوما  
عنيفا ، وأذاع أمر ذلك الخلاف على الناس .

ففي أيام ١٣ و ١٤ و ١٥ يوليو سنة ١٩٥٤ ، انعقد في بلجيكا مؤتمر الحزب ولم تحضر جماعة اللجنة المركزية ، وقرر السيد مصالى وانصاره « فصل » أعضاء اللجنة المركزية عن الحزب ، وتفويض الرئيس لإدارة سياسة الحزب وتوجيهها ، حسبما يراه صالحا .

لكن لم يمض على ذلك شهر واحد ، حتى عقد رجال اللجنة المركزية مؤتمرا في مدينة الجزائر أيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ أوت من سنة ١٩٥٤ ، اعلنوا فيه أن الزطامة الفردية قد انقضت اجلها ، واعلنوا فصل السادة : أحمد الحاج مصالى ورفاقه عن الحزب ، وأن رجال اللجنة المركزية هم الذين يمثلون الحزب ويسرون سياسته ، ويتولون توجيهه .

ووقعت من جراء هذا الانقسام بعض الحوادث المؤلمة ، بين الأخوان الذين كان إلى الامس القريب يدا واحدة ، يوجهون الامة نحو حركة تحرير في معركة نهائية . لكن الامة حسمت بدمائها وبأرواح شهدائها هذا النزاع .

### لجنة الثورة للعمل والانحدار

في هذه الاثناء كانت الثورة التونسية على أشدها ، مما اضطر فرنسا لأعلان الاستقلال الداخلي في زيارة مندس فرانس لتونس (جويلية ١٩٥٤) . وكان المغرب الأقصى يلهب نارا بعد اقضاء ملكه وزعيمه سيدي محمد الخامس . وكانت حرب الهند الصينية الاستعمارية الخاسرة قد اضعفت فرنسا وحطمت معنوياتها .

أما حالة الامة الجزائرية فكانت لاتطاق من حيث الضيفط الحكوى والعبت الادارى ، والاستهتار الاستعمارى . وفى الكثير من الجهات ، عزمت الأمة على اعلان الثورة ولوبصفة غير منظمة ، لأنها لم تستطع الصبر أكثر من ذلك على ما حاق بها من مكر الاستعمار وشروره وآثام إدارته .

فخزم بمض رجال اللجنة المركزية والمناضلين امرهم ، وعقدوا اجتماعا فى «مكان ما» بأوربا الغربية ، وقرروا أنه قد جاءت الساعة التى يجب فيها اعلان الثورة المسلحة المنظمة ، قصد تحرير الامة من اغلال الاستعمار ، وسمياً وراء الحرية والاستقلال . وكانوا قد اتصلوا قبل ذلك بالتشكيلات الموجودة بكل الجهات « المنظمات السرية O. S » ، فاستجابت كلها فى جند وفى اندفاع منقطعى النظر ، وجمعت الأسلحة القليلة والمتفجرات الموجودة بين ايدى رجال المنظمات ، ووقع الاتفاق على أن يكون يوم الثورة الكبرى ، هو يوم غرة نفامبر سنة ١٩٥٤ ، على الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وهكذا أندلع لهيب الثورة الكبرى ، التى كانت الامة تنتظرها بفارغ صبر وكانت مستعدة لها منذ اجيال ، وقد ادركت ، كما ادرك قارىء هذه الرسالة منذ صفحاتها الأولى ، انه لم يبق فى الجزائر من امكان للحياة مع الاستعمار الظالم الخبيث ، فاما حياة حرة شريفة ، دون استعمار ولا تحكم اجنبى ، واما موت شريف ، يحفظ الكرامة ويخلد المجد على صفحات التاريخ ، ولا توسط بين الحالتين .

كل مكان ، وللاستعداد في كل مكان ، وهكذا تمكنت الثورة من فتح واجهتها الأولى .

أخذت السلطة الفرنسية تلمق القبض على الناس جزافاً ، في كل جهة ، سعياً إلى إحداث الفراغ حول الثورة ، لكن الرجال الذين دبروا الأمر ، وفقدوه ، فأحكوا تدبيره وأحكوا تنفيذه ، كانوا في مرا كزهم على رأس وجالهم ، أو كانوا قد احتلوا المرا كز التي عينت لهم في الخارج ، لإمداد الثورة ولتنفيذها ، فلم تؤثر اعتقالات الحكومة للناس أى تأثير على سير الثورة ، فاندفعت كالمارد ينطلق من عقاله ، باسم الله مجراها ومرساها ، تحطم الاستعمار على بناته وأنصاره ، وترفع ألوية الحرية خفاقة فوق ربوع أرض كانت منذ الأزل مهد الحرية ومنبت الاستقلال .

فبعد ثمانية أيام من ذلك الحادث العظيم ، أصدرت الحكومة أمرها بحل حزب انتصار الحريات الديمقراطية ، وألقت القبض على الجماعات الكثيرة من رجاله ، سواء أكانوا من أنصار اللجنة المركزية ، أو من أنصار السيد الحاج مصالى ، ( ثم أطلقت سراحهم ، حين تأكد قاضى التحقيق أنهم لا ضلع لهم في إيقاد نيران الثورة ) وقال وزير الداخلية يومئذ قولته الشهيرة ، التي كانت إعلان حرب حقيقية على الأمة الجزائرية ، : « إن الجزائر فرنسية ، وستبقى فرنسية ، وأن لا جواب لنا على هذه الثورة ، إلا الحرب إلى النهاية » .

الأحرار الأبرار ، حسب الخطة التي رسمها قادة « لجنة الثورة للاتحاد والعمل C R. U. A. » وسارت كل جماعة نحو الهدف المعين لها ، وقد ودعت الحياة ، حياة النذل والمهانة والعبودية ، واستقبلت الموت ، موت الشرف والإباء والكرامة . ولم يكن عددهم يومئذ عظيماً ، فالذين أوقدوا النار المقدسة في يومها الأول لم يكونوا يتجاوزون الألف رجل ، ولم يكونوا مسلحين تسليحاً قوياً ولا مزودين بما يلزم لمثل هذه الأعمال بل كان سلاحهم بنادق وبعض رشاشات قديمة ، أما القذائف والمتفجرات التي أُلقيت على مراكز السلطة ، والمنشآت العامة ، وثكنات الجندرية والجند ، فقد كان الكثير منها من الصنع المحلي ، فأحدثت رعباً كبيراً ، ولم تحدث ضرراً عظيماً .

رغم ذلك فعملية اليوم الموفقة الناجحة ، فقد أتت بالنتائج المطلوبة منها :

أولاً — إشعار الأمة الجزائرية ، وإشعار فرنسا ، وإشعار العالم أجمع ، بأن الجزائر قد ثارت لأجنادها ، وكرامتها ، ولاسترداد حريتها واسترجاع ما اغتصب من حقها .

ثانياً — تمكن المجاهدين في الكثير من الجهات ، من الاستيلاء على أسلحة وعتاد الجند الفرنسي الذي لم يكن ينتظر أصلاً أن تقع مثل تلك الحوادث ، فنام آمنًا مطمئناً ، أو أخذ يتمتع بأجازته لقضاء يوم عيد الأموات بين أهله وذويه أو في الحانات والمراقص الخليعة .

ثالثاً — التعمية على رجال العسكرية الفرنسية ، فلم يعرفوا في الأيام الأولى ما هي الجهة التي ستتركز فيها الثورة ، فاضطروا لتوزيع قواهم في

إذن فلتسكن الحرب إلى النهاية ، إلى نهاية الاستعمار ، إلى نهاية الحكم  
الأجنبي !



وأنتى أثناء هذا العرض الموجز ، لا أستطيع أن أسطر كل حوادث  
الثورة ، ولا أن أشيد بسائر ما وقع خلالها من أعمال البطولة النادرة التى  
لا يعرف التاريخ لها مثيلاً ، إلا فى هذا القطر الزاخر بالأبجاء ، المنبت  
للصناديد ، لكننى سأحاول — وسأوفق فى محاولتى إن شاء الله —  
عرض أعمال الثورة فى مختلف ميادين الثورة ، منذ يومها الأول إلى هذه  
الساعة ، (موفى يوليو سنة ١٩٥٦) ثم ما يحيط بكل ذلك من أعمال الأمة ،  
ومنكرات الحكومة ، وملابسات السياسة ، بحيث يكون الإلمام تاماً ،  
بحالة القطر الجزائرى ، من كل جهاته ، والحالة البشعة التى أوقع الاستعمار  
فيها الأمة ، حتى فقدت كل شىء ، إلا الأمل والإيمان ، وحتى لم يبق أمامها  
من باب تطرقه إلا باب الثورة ، فطرقته بصفة مدوية ، لا يزال صداها  
يرن فى الآذان إلى الآن ، وإلى ما بعد الآن .

الغدير القومى :

وأبأدر قبل كل شىء بوصف الحالة النفسية التى قابلت الأمة بها  
هذه الثورة .

لقد رأيت فى حياتى يومين من أيام الجذل الشعبى والحبور الإجماعى

— ١٩٧ —

في قطر الجزائر ، جدلا وجبورا جملا الناس يندفعون في غمرة فرح وسروح ،  
 يهنئ بعضهم بعضا ، ودموع الفرح تتقاطر من المآقي : كان اليوم الأول ،  
 هو يوم انهيار فرنسا واستعدادها لإمضاء الهدنة المخجلة المهينة التي أملاها  
 عليها الألمان ، في شهر يونيو سنة ١٩٤٠ ، أما اليوم الثاني ، فقد كان  
 دون منازع يوم غرة نوفمبر ١٩٥٤ . حين أذيعت على الناس ، الأنباء  
 الأولى للثورة ، وحين علموا أن الأمر جد وليس هو بالهزل . كان الناس  
 يهنئ بعضهم بعضاً ، كانوا يتبادلون القبل ، كانوا يتسارعون بنقل الأخبار  
 ويسيرونها ، يبشر دانيهم قاصيهم ، كانوا يقولون جهاراً وعلانية ، أن  
 عهد الاستعداد قد ولى وأدبر ، كانوا في المدن والقرى والبادي يعلنون  
 استعدادهم للموت ، في سبيل الحياة ، كانوا يتساءلون في لهفة : أين نجد  
 السلاح ؟ من أين نأتي بالسلاح ؟ ما هو أقرب طريق وأضمنه للانضمام إلى  
 المجاهدين ؟ . أما النسوة — وقد ثقت ببعض شخصي في الموضوع —  
 فقد كن يعيرن القاعدين بالمجاهدين ، وكن يتساءلن في لهفة عن الدور  
 الذي يجب أن يقمن به في هذه الوثبة الوطنية النهائية ، التي فيها الانتماق  
 وفيها التحرر بإرادة الله ، وبقوة سواعد الأمة الأبية .

جبهة التحرير الوطني الجزائرية :

أن المنشورات التي وزعت منذ اليوم الأول على الأمة ، تلم بأعلان  
 الثورة الكبرى ، وتحدد أهدافها التي هي استقلال البلاد والتخلص من  
 الحكم الاستعماري ، كانت تحمل إمضاء « لجنة الثورة للاتحاد والعمل » .



لكن سرعان ما تطورت الحالة تطوراً كان منتظراً . فأمام الاندفاع الشعبي العظيم نحو الثورة ، وأمام الرغبة الجماعية ، التي ظهرت من كل طبقات الأمة — وخاصة رجال السياسة ورجال العلم فيها — في المشاركة فاعالة في المسؤوليات وفي إدارة العمليات ، تحلى المسؤولون الأولون عن اسم اللجنة الأولى ، وأعلنوا تشكيل « جبهة التحرير الوطني الجزائرى » التي فتحت أبوابها لقبول كل جزائرى مخلص ، مهما كانت هويته القديمة ، ومهما كان حزبه السابق ، فالثورة تجب ما قبلها . فأصبحت فرق « جيش التحرير الوطنى » تشمل الجميع دون ذكر حزب سابق ، وصارت مفعمة « جبهة التحرير الوطنى » وهى التى تعمل لتحقيق أهداف الجيش ، السياسية والعسكرية ، مفتوحة كذلك للجميع ، قد ذابت فيها كل الشخصيات ، وكل الحزبيات ، وكل النزعات الخاصة . وتمت المعجزة الثانية ، بعد معجزة الثورة : إلا وهى الاتحاد الوطنى المقدس فى سبيل الله والحريّة والاستقلال ، فاندمج فى هذا الاتحاد ، فوق ميدان الثورة ، وبين مسيل الدماء وتضاعف ألهم رجال اللجنة المركزية لحزب الانتصار ورجال الاتحاد الديمقراطى للبيان ، ورجال جمعية العلماء ، وأغلب الرجال الذين كانوا وطنيين مستقلين عن الأحزاب<sup>(١)</sup> .

---

(١) لهذه الجبهة وقد كبير بالخارج ، مركزه مدينة القاهرة ، يعمل تحت رئاسة الأستاذ محمد خيرى ، من قدماء زعماء حزب الانتصار ، والنائب السابق بالمجلس الوطنى ، والأستاذ أحمد بن بله ، من كبار زعماء الحزب ومنظاته السرية ، وقد كانت معاً بالقاهرة عند اندلاع الثورة ، يعملان لها ويهيئان أسبابها . ثم أرسلت الجبهة بقية أعضاء الوفد الذين يعملون فى كل ميدان . من أقصى آسيا إلى أقصى أميركا . وهم =

## المنشور الأول

### من جهة التحرير الوطنى الجزائرى

« إلى الشعب الجزائرى

إلى أنصار القضية الوطنية

إليكم أنتم المدعويين إلى الحكم علينا ، — الشعب بصفة عامة والأنصار بصفة خاصة — نتجه بهذا البيان . وغايتنا هي أن نوضح الأسباب العميقة ، التى دفعتنا لأن نشرح لكم برامجنا ، ومغزى حركتنا ، التى بقى هدفها دائماً هو تحقيق الاستقلال الوطنى فى نطاق الشمال الإفريقى . ولنا غاية أخرى فى ذلك ، وهى أن نجنبكم الوقوع فى الغموض الذى يريد الاستعمار أن يحفك به ، هو وعملاؤه من رجال الإدارة والسياسيين المنحرفين .

إننا نعتبر قبل كل شىء ، أن الحركة الوطنية قد دخلت مرحلتها النهائية ، بعد مراحل طويلة مرت بها . ذلك أن هدف الحركة الثورية ، قد توفرت الآن جميع شروطه المرضية ، التى تيسر لهذه الحركة أن تشرن الحملة التحريرية . ونحن نرى أن الشعب تحت ضوء ظروفه الداخلية ، قد أصبح متحداً وراء فكرة الاستقلال والعمل ، وأنه تحت ظروفه الخارجية قد

---

== محمد اليزيد — الحسين آيت أحمد — بوضياف — الحسين الأحول — دكتور محمد أمين الدباغين — أحمد بودا — احمد توفيق المدنى العباس بن الشيخ الحسين — عباس فرحات — عبد الرحمان كيوان — دكتور أحمد فرانسيس — عبد الحميد مهرى — محمد بن يحيى — محمد إبراهيمى .

بلغ مرحلة مرضية ، لحل المشا كل الصغرى ، التى من بينها مشكلة بلادنا ، وذلك بفضل المساعدة السياسية التى يبذلها لنا أخواننا العرب والمسلمون ، وحوادث تونس ومراكش ، لها مغزاها فى هذا الصدد ، وهى تسجل جانباً عظيماً من جوانب قضية تحرير شمال أفريقيا ، ولنسجل فى هذا الصدد ، أننا كنا منذ زمن طويل ، حريصين على وحدة العمل ، الذى لم يتحقق مع الأسف بين أقطارنا الثلاثة .

### ساعة الخطر

« أما اليوم فإن كلا من تونس ومراكش قد دخلتا فى هذه الطريق ، وبقينا نحن وراءهما نتحمل عواقب من فاتهم الركب ، وهكذا فإن حركتنا الوطنية ، التى مرت عليها سنوات من الجود ، والتوجيه المنحرف ، وفقدان المساندة الشعبية الضرورية ، قد أخذت تدخل شيئاً فشيئاً ، فى الحالة التى يفتبط بها الاستعمار أعمق الاغترباط ، حتى أصبح يعتبر أنه تحصل على أكبر انتصار ، على قيادة الحركة الوطنية الجزائرية . »

ان الساعة ساعة خطر ، وأمام هذه الوضعية التى توشك أن تصبح ميؤوساً منها ، رأى جمع من الشبان المسؤولين الواعين لهذا الخطر ، والذين جمعوا حولهم عناصر سالمة ، ذات تصميم واضح ، رأت أن الوقت قد حان ، للخروج بالحركة الوطنية من المأزق الذى تردت فيه ، بسبب تناحر الأشخاص ، وتراحم النفوذ ، وعزموا على أن ينطلقوا إلى جانب إخوانهم التونسيين والمراكشيين ، فى المعركة التحريرية الحقيقية .

ونحن نحب أن نؤكد في هذا الصدد ، أننا مستقنون عن الطرفين ،  
الذين يتنازعان النفوذ في الحركة الوطنية . وحركتنا التي وضعت  
المصلحة الوطنية فوق جميع الاعتبارات الحزبية ، حول الأشخاص  
ومكاناتهم ، والتي تتمشى مع المبادئ الثورية ، لا عدو لها تقاومه إلا  
الاستعمار الأعمى ، الذي لم يتح لنا في أى وقت من الأوقات ، أن ننظم  
نضالاً سامياً .

### جبهة التحرير

هذه هي الأسباب التي جعلتنا نتقدم بحركتنا تحت اسم « جبهة  
التحرير الوطنى » . وبذلك تتيح هذه الحركة لجميع الوطنيين الجزائريين ،  
مهما كانت طبقاتهم الاجتماعية ، ومهما كانت احزابهم وحركاتهم الجزائرية  
الخاصة ، أن يندمجوا في معركة التحرير دون أى اعتبار آخر .

ولكى نزيد الأمر تفصيلاً وتوضيحاً ، فهنا هي الخطوط العامة لبرنامجنا  
السياسى :

الهدف — هو الاستقلال الوطنى ، بواسطة ايجاد دولة جزائرية ذات  
سيادة و نظام ديمقراطى اشتراكى ، فى دائرة المبادئ الاسلامية ، مع  
احترام جميع الحريات الأساسية ، دون أى ميز فى الدين أو المعتقد .

وغايتنا فى الميدان الداخلى ، هي التطهير السياسى ، وذلك باعادة الحركة  
الوطنية فى طريقها الثورى الصحيح ، والقضاء قضاء مبرماً على جميع ألوان

الاحتياط ، والدخول في سياسة الاصطلاحات ، التي هي سبب تفهقرنا الحالى . وغايتنا هي أيضاً لم شتات جميع الطبقات السليمة للشعب الجزائرى ، لتصفية حساب النظام الاستعمارى .

وغايتنا في الميدان الخارجى ، هي تدويل القضية الجزائرية ، وتحقيق وحدة شمال أفريقيا في نطاقها الطبيعى ، الذى هو النطاق العربى الإسلامى . وموقفنا في دائرة ميثاق هيئة الامم المتحدة ، هو تأكيد صداقتنا الفعالة لجميع الدول التي نساند قضيتنا التحريرية .

أما وسائل الكفاح فهي — تبعا للمبادئ الثورية ، ونظراً للوضعية الداخلية والخارجية — هي مواصلة الجهاد بجميع الوسائل إلى أن يتحقق هدفنا إن شاء الله .

### مهمتان مرهقتان

« وجهة التحرير الوطنى ، لىكى تحقق هذا الغرض ، يجب عليها أن تقوم بمهمتين اساسيتين متماثلتين في وقت واحد . أولاهما : عمل داخلى في الميدان السياسى ، وفي ميدان العمل والكفاح ، وثانيتهما : في الميدان الخارجى ، حتى تصبح المشكلة الجزائرية حقيقة في نظر العالم كله ، بمساعدة جميع حلفائنا الطبيعيين .

وهذه المهمة المزدوجة مهمة ثقيلة الوطأة . رهقة ، تتطلب تجنيد جميع الطاقات ، وجميع الموارد الوطنية . وصحيح أن المعركة ستكون طويلة الأمد ، ولكن انتصارنا فيها لا شك فيه إن شاء الله .

وأخيراً — لكي يقع تجنب جميع التأويلات الخاطئة أو المفردة ولكي يقع تجنب إزهاق الأرواح وإراقة الدماء — فإننا نقدم أساساً شريفة ، لمفاهيم مع السلطات الفرنسية ، إذا كانت لهذه السلطات استعدادات طيبة ، للاعتراف أخيراً للشعوب التي تتحكم فيها بحقها في تقرير مصيرها . وهذه الأسس هي :

### أسس المفاوضات

« ١ — فتح مفاهيم مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري ، على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية ، الموحدة التي لا تتجزأ .

٢ — إيجاد جو من الثقة ، وذلك بإطلاق سراح جميع المساجين السياسيين ، ورفع جميع التدابير الاستثنائية ، والتوقف عن تتبع قوات المقاومة .

٣ — الاعتراف بالشخصية الجزائرية في تصريح رسمي ، ينسخ جميع القوانين التي صيرت الجزائر أرضاً فرنسية بالرغم من التاريخ ، والجغرافيا ، واللغة ، والدين ، والعوائد التي يتصف بها الشعب الجزائري .

وفي مقابل ذلك نتمهد بما يلي :

١ — إن المصالح الفرنسية الثقافية والاقتصادية ، التي تحصلوا عليها بطريقة شريفة تكون مضمونة ، وكذلك الأشخاص والعائلات .

٢ — جميع الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائر يكون لهم الخيار بين جنسيتهم الأصلية — وفي هذه الحالة يعتبرون أجانب بالنسبة للقوانين المعمول بها ؛ وبين الجنسية الجزائرية — وفي هذه الحالة يكونون معبرين جزائريين لهم مالا لجزائريين من حقوق وعليهم ما على الجزائريين من واجبات — .

٣ — العلاقات بين فرنسا والجزائر ، يقع تحديدها ، وتكون موضوع مفاوضات بين الدولتين ، على قدم المساواة والاحترام المتبادل .  
وبعد ؛ فيا أيها المواطن الجزائري الحر . . . إننا ندعوك إلى التأمل في هذا الميثاق . وإن واجبك المقدس يدعوك إلى الانضمام إليه ، لإنقاذ بلادنا وإعادة حريتها إليها .

إن جبهة التحرير الوطني جبهتك ، وانتصارها هو انتصارك .  
أما نحن الذين عزمنا على مواصلة الكفاح ، والذين لانشك في عواطفك المعادية للاستعمار ، والذين نعتبر أنفسنا أقوياء بمساندتك وتأييدك ، فإننا سنذهب أعز ما نملك لوطننا .

« جبهة التحرير الوطني الجزائري »

## الحركة الوطنية :

إنما لم يرد السيد أحمد الحاج مصالى ، ومن بقى معه ، الانضمام لهذه الحركة الوطنية الجماعية التلقائية الفريدة ، فأعلنوا تأسيس « الحركة الوطنية الجزائرية » . لكن كامل فرق جيش التحرير العاملة في كل جهات البلاد قد أعلنت استنكارها لهذا الموقف ، ووصفته بأشنع الأوصاف ، وأعلنت في صراحة وفي صرامة ، أن الجيش واحد ، هو جيش التحرير الوطنى ، وأن القيادة السياسية واحدة هي « جبهة التحرير الوطنى » . وهكذا نجت الأمة باجماعها وبوحدتها ، ولم يقع في صفوفها الداخلية أى اضطراب . وسيقول التاريخ كلمته في ما عذا ذلك .

ولنسر الآن مع الحوادث العسكرية ، في إيضاح موجز، كي نلم بحوادث الثورة من جميع أطرافها .

## جبال أوراس

ما كادت تنقضى أيام الدهشة الأولى ، حتى فهم العسكريون الفرنسيون أن الثورة قد استقرت بصفة متينة ، راسخة ، في جبال أوراس الكثيفة ، ذات القمم الشاهقة والمغاوير والكهوف . فأخذت القوى الفرنسية تتوجه بسرعة نحو ذلك الهدف الصعب . وكان الثائرون في جبال أوراس قد استعدوا فعلا لحرب طويلة المدى ، وجمعوا لها سلاحا وعتادا وذخيرة ،





جامعة أناعفا  
وفد جهته  
التحرير الوطني  
بالقاهرة .  
من اليسار إلى  
اليسار ، السادة  
محمد خيضر  
الدكتور أمين  
الدمايين —  
الدكتور أحمد  
فريس —  
أحمد توفيق  
المدني —  
عباس فرحات  
أحمد بودة —  
عبد الرحمن  
كروان .



من أعضاء وفد  
جبهة التحرير  
الوطني بالقاهرة  
من الجبهة إلى  
اليدار، السادة  
أحمد بن بللة  
عاص فرحات  
أحمد توفيق  
المدني

ثم أخذوا يوالون نصب الكمين للجند الفرنسي ، فى الطرق الملتوية التى تخترق شعاب الجبال نحو الصحراء ، فكانوا يجمعون من كل كمين بالشىء الكثير من السلاح والذخيرة ، وبعدد من الأسرى ، بعد قتل الجماعة الكبيرة من رجال الفرقة الفرنسية أو افنائها بصفة تامة .

وكان بطش الفرنسيين شديدا . فالقوى التى بعثوا بها على جبال أوراس أخذت تدمر بواسطة الطائرات القرى والمداشر ، والمدفعية الجبلية تفتك بالسكان فتكا ذريعا .

ثم ابتكر الجند الفرنسي وسيلة لأبعاد السكان عن الجبل ، فعينوا لهم منطقة وأمروهم بالارتحال إليها . لكن لم يقطع أروهم إلا النزر اليسير من تحت سلطانهم المباشر ، وبقي الناس رجالا ونساء فى الجبل الأشم ، إلى جانب جيش التحرير يحميون معه محياه ، ويموتون معه مماته ، ويبنون معه بدمائهم ، وفوق أشلائهم ، معقل الحياة الحرة الجديدة .

وتطورت الحالة تطورا سريعا . وأخذت النجيدات الفرنسية تتوالى ، وأعمال العسف والتنكيل ، وسنصفها فيما بعد ، تعظم وتشتد .

لكن المجاهدين كذلك كانوا يمززون قواهم ، وكان الأباة الأحرار يفدون عليهم من كل حذب وصوب ، فبينما هم ظلوا يقاومون الفرنسيين على حدود الجبل ، وفى طرقاته وشمايه ، كانوا من جهة أخرى يحطمون المراكز الفرنسية المتغلغلة فى جهات الجبال الآهلة ( سكان الأوراس

يزيدون عن المائى ألف نسمة ) ، وهكذا تمكنوا من تحرير أكثر جهات الجبال الداخلية التى لم يبق فيها ممثل للسلطة الفرنسية . ومنعوا عن الفرنسيين نهائياً اجتياز الطرق الجبلية نحو الجنوب .

كانت خسائر الثائرين المجاهدين مؤلمة . وقد استشهد فى الأيام الأولى أحد كبار قادتهم : الشهيد بلقاسم قرين ، لكن خسائر الفرنسيين كانت — باعترافهم — أعظم وأكبر سواء فى الأفس أو فى السلاح والعتاد الذى غنمه المجاهدون . واستمر ضغط الفرنسيين على الأوراس عظيمًا قاسيًا إلى أن رأت القيادة التحريرية تخفيف ذلك الضغط ، بفتح واجهات أخرى منظمة استعادت لها ، فاضطر الفرنسيون حينئذ لمقابلة الأخطار الجديدة ، وخففوا من عملياتهم ضد الأوراسيين الذين ثبتوا فى صياصيمهم ثباتًا ستذكره الأجيال بعد الأجيال . ويستبقى الفرنسيون اليوم باحتلال المدن التى تحيط بالجبل تاركين إدارته لبننيه ، والمجاهدين فيه ، تحت قيادة الزعيم مصطفى بن بولعيد .

فسائر المنطقة التى تقع بين مدن : خنشلة شرقاً ، وباطنة غرباً ، وبسكرة جنوباً ، يمكن اعتبارها منطقة محررة ، هى معقل الحرية ، وهى التى تتكسر فوق صخورها الموجات العسكرية الفرنسية . وقد جرب الفرنسيون استعمال نار « النابالم » من الطائرات ، كما جربوا عدة وسائل تكتيكية أخرى فلم ينالوا — ولن ينالوا — من الأوراسيين منالا ، وقد ذاع ذكر معارك فم الطوب ، ومدينة ، ومنعة ، ومشونش ، وخنقة سيدى ناجى ، وفى كل أحرز المجاهدون انتصارات باهرة .

( م — ١٤ هذه هى الجزائر )

## جبال النمامشة

فيما بين جبال الأوراس الأنفة الذكر وهي جبهة القتال الأولى ، وبين حدود المملكة التونسية ، تقع جبال النمامشة ، في الجنوب الشرقي ، تسكنها فرقة من الجبلين الجزائريين ؛ من أصلب الناس عوداً وأشدهم مراساً . وتعتبر جبالهم أصعب من جبال أوراس ، لقلة سكانها ، وقلة طرقاتها .

فلما اشتد ضغط الفرنسيين على بلاد أوراس الأبية ، وحاولوا الاحداق بها من كل جهة ، وجدت الثورة متففسها الطبيعي في جبال ابطال النمامشة الأحرار فاتجهت إليها ، وكانت على استعداد ، واستجاب أهلها لداعى الجهاد استجابة الرجولة والهمة والشرف ، وحمل الناس اجمعون مالدتهم من السلاح ، وأثخنوا في الفرنسيين وكبدوهم خسائر عظيمة وغنموا مرارا كل ما كان مع الفرنسيين من سلاح ومن عتاد ، فكانت معارك « الجرف » المتكررة كما كانت معارك « قنطيس » من أروع صفحات التاريخ الحربي الجزائري ، في هذه الملحمة التحريرية الكبرى .

ورغم أن القوم منوا بخسائر كبيرة ، من جراء رى الطائرات ، فإن كافة بلاد النمامشة تعتبر محررة ، مع جبال الأوراس ، فلا يجتازها الجند الفرنسي إلا نادراً . وبواسطة توضحيات جمة . ويتولى قيادة هذه الحملة القائد « سى صالح » .

## بلاد القبائل الكبرى

جبال زواوة الشهيرة في التاريخ الجزائري ، كانت منذ أقدم العصور مهد الحرية وموطن الأحرار ، وكانت في كل أطوارها القديمة والحديثة ، منيع ثورات عظيمة ، تمتاز بالشدة والعنف وقوة الشكيمة . ولا ننسى ماذا كبدت الاستعمار ، وماذا كبدتها الاستعمار ، من خسائر عظيمة ، أثناء إرضاخها للاحتلال أولا ، وأثناء ثوراتها المتوالية بعد ذلك .

فعمدما كانت نيران الحرب تشتعل في جبال اوراس اتقادا ، وحين كان كبس الفرنسيين عظيما على تلك الجهة ، رأت قيادة جيش التحرير الوطني وجوب المبادرة بعمليات حربية على نطاق واسع ، وفي جهة بعيدة عن الجنوب الشرق فتقدم لها الاحرار اابة الضيم ، من رجال زواوة وجرجرة ، وهى البلاد التى تدعى بلاد القبائل الكبرى .

وقد كانت المناوشات تقع في تلك الجبال الشاهقة منذ اليوم الأول وكانت الطرق تقطع على الفرنسيين باستمرار ، لكن الجبال التهمت كلها دفعة واحدة بعد ذلك في حملة ثورية صادقة ، شملت كل الجهات على السواء . ولقد اضطرت القيادة الفرنسية لتجريد كل قواها الموجودة ، ضدا هل هذه الجبال . لكن الجيش الفرنسى لم يكن مستعدا لمقاولة حرب العصابات او حرب النكمين ولم يكن مجهزا للقيام بمثل هذه الحركات فكان يكتبى بضرب المدن والقرى ، وتطهير الديار والمنازل ، واحتلال المدن وبعض القرى الضخمة ، ومنع الزاد والميرة عن المجاهدين .

وكانت طريقة الجهاد في هذه الجبال تسير وفق الطرق التقليدية العتيقة : تطهير الداخل من كل احتلال ، ونصب إدارة محلية في الجهات المحررة ، والانتفاض على الجند الفرنسي في معاقله ، وأثناء تجوله أو سيره ، وتحمله الخسارة الفادحة في الأرواح والسلاح والعتاد .

كانت نكبة فرنسا مؤلمة لها جد الألم بهذا القطر الجبلي ، لأنها كانت تسمى السعى الحثيث لفصله عن بقية القطر الجزائري ، والسير به في طريق الفرنسة به في طريق المسيحية ، فإذا به يكون في طليعة المقاومة الوطنية ، وتكون جهة القتال فيه ، سواء في وسطه أو على أطرافه ، أشد ما يكون عنفا ، وأعظم ما يكون مراسا .

وقد استعملت السلطة الفرنسية أكثر ما لديها من وسائل البطش والقمع ، وتجاوزت الحد في الفظائع والموبات ، وصبت على الجبل وابلا من القنابل الحارقة والمدمرة : لكن المجاهدين ثبتوا ثباتا مدهشا ، وما تركوا للفرنسيين شيئا مما كانوا قد احتلوه .

ثم حاول الفرنسيون تطويق الجبال ، والفصل بينها بماعل فرنسية . لكن المحاولة باءت بفشل ذريع ، وبقيت الجبال الداخلية محررة تحررا تاما ، تحكمها إدارة محلية اسلامية ، بينما تستمر الحرب العوان على الخطوط المحاذية لأسفح الجبال ، من سيدى عيش وازفون شرقا ، إلى يسر وبالسترو غربا .

ولا تزال الجندية الفرنسية تقاسى إلى اليوم عذاب الهون ، من جراء

هذه الحرب القاسية الجبلية ، في جهة حساسة جدا ، لأنها تمثل واجهة على البحر وطويلة ، من جهة ، ولأنها من جهة أخرى تتحكم في طرق المواصلات الكبرى مع كامل الجهة الشرقية .

ويقود المجاهدين في هذه المنطقة الجبلية الوعرة ، القائد كريم بلقاسم ، والقائد بو عمران ، ولا تزال ، كالأوراس ، منطقة حرة ، ونضال شديد المراس .

### الشمال الشرقي

هذه الناحية تشمل في الحقيقة عدداً من الواجهات ، تمتد على ساحل البحر من القالة على حدود تونس شرقاً ، إلى القل غرباً ، ثم تنحدر مع « الميلية » إلى ميلية وتتجه صوب الشرق مع الحروب ، وعين عبيد ، إلى جبل الوزنة على الحدود التونسية . فهذه الجهة التي يهيمن عليها القائد « يوسف زيفود » هي أوسع الجهات مساحة ، وأكبرها عمراناً ، وأعظمها ثروة ، ثم هي لا تمثل وحدة متماسكة ، بل هي مجموعة من وحدات صغيرة ، يقع بعضها في الشمال : كالقالة ، والقل وبعضها في الشرق : كمداوروش وسوق أهراس . ومجاز الصفا . وصدراة ، ومرسط ، وبعضها في الوسط ، كالحروب ووادي الزناتي وعين عبيد ، وأم البواقي . وبعضها في الغرب ، كالمليلية ، وميلة ، وقرارم ، وفج مزالة . وغيرها .

هنا تقع جهات كثيرة جداً تحت سلطة الثائرين المجاهدين وإدارتهم المباشرة ، ولا يتجول الجند الفرنسي إلا بكل صعوبة بين ناحية وأخرى . فالمدن الكبيرة في هذه الجهة ، وهي أكبر جهات الجزائر خصباً وعمراناً



تقع تحت الاحتلال الفرنسي ، وتجري بها أعمال المجاهدين بين حين وآخر .  
أما البادية والقرى ، والطرق ، فهي تحت إشراف جيش التحرير الوطني ،  
يتصرف فيها كما يشاء .

وكما كانت أغلب جهات هذه الناحية الفسيحة ، مسرحاً لتلك الفظائع  
والمنكرات التي وقعت أثناء مذابح ٨ ماي ١٩٤٥ ، فإن العسكرية الفرنسية  
قد اتخذت منها ميداناً جديداً لأعمال القمع والزجر والتنكيل ، والقتل  
الجماعي ، كما سيرد ذكره فيما بعد ، فنيت هذه الناحية بالخسائر الفادحة  
في الأموال والأففس والثمرات . لكن كل محاولات الفرنسيين قد أخفقت  
اخفاقاً تاماً في إرضائها وإذلالها . وهي اليوم ( موفى يوليو ١٩٥٦ )  
أقوى ماتكون إيماناً وحمية ، وتماسكاً وإيماناً في إلحاق الهزيمة بالجند  
الاستعماري .

وقد كانت حوادث ٢٠ اوت ١٩٥٥ في هذه الناحية ، صفحة  
جديدة من صفحات الثورة الجزائرية ، فقد انتهت الحوادث التهايباً غريباً  
بكمال هذه المنطقة ، مما غير شكل الثورة واكسبها صورة أخرى

## وادي الساحل

هذه المنطقة تعتبر متممة لواجهة بلاد القبائل الكبرى ، فهي تقع  
جنوبها الشرق ويدير العمليات فيها القائد الزعيم « عميروش » وتشمل هذه  
المنطقة التي أذاقت الاستعمار الأمرين جهات : قنرات ، وبني ورتيلان ،  
وقرقور ومجانة إلى سطيف .

ولقد نشطت الأعمال الحربية فيها نشاطاً عظيماً خلال سنة ١٩٥٦ ، إذ كان المجاهدون قد طهروا الأرض فيها ، من كل استثمار ، وحرروها بصفة تكاد تكون تامة ، فلم يبق للاستثمار إلا القليل من السلطنة في بعض المدن ، لكن الجيش الفرنسي قد أعاد الكرة بقوة وبعنف ، واحدى بكامل الجهة وأراد أن يسجل لنفسه نصراً ( يكون هو الأول منذ إعلان الثورة ) بمحق القوة المجاهدة بواضى الساحل وجبل قرقور . لكن المجاهدين الذين هيجتهم الحمية ، قد قابلوا الجند الفرنسي وجها لوجه ، وتكبدوا خسارة كبيرة ، وكبدوه كذلك اضعافاً ، إنما هم لم يقعوا في الشرك الاستعماري ، ونجوا بفرقهم المجاهدة إلى مراكز أخرى ، فما كاد يمر الجند الفرنسي حتى رجعوا إلى مراكزهم وتحصنوا فيها من جديد . فاذا استثنينا بعض المدن والقرى الكبيرة التي يحتلها الفرنسيون ، فإن معظم جهات البلاد سهولاً وجبالاً ، تقع تحت إشراف المجاهدين .

### منطقة وهران

لم تكن هذه المنطقة قد تحررت كثيراً ، أوائل عهد الثورة ، فكانت تكتفى بمعارك قليلة ، لا تتمدى النطاق المحلي . إنما كانت تستعد أثناء ذلك . وكانت محزم أمرها للقيام بالعمل الحاسم . ففى خلال سنة ١٩٥٥ أخذت تقض مضاجع الفرنسيين ، وأجبرهم على نقل القوى العديدة لمجاهمة الخطر فيها ، ثم انتهت الثورة فيها بصفة نهائية خلال سنة ١٩٥٦ وانتشرت ،

وانضم إليها الناس افواجا ، فكانت هذه الجهة ميدانا لوقائع عظيمة ومما مع مدهشة ، كبدت الفرنسيين خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد ، واضطروا لارسال قوى البحر والبر والجو عليها ، في عملية كانت من أكبر عمليات هذه الحرب ( يونيو ١٩٥٦ ) ، لكن المناورة الفرنسية اخفقت أخفاقا تاما ، وارتد الفرنسيون دون أن ينالوا منالاً من المجاهدين الذين بقوا سادة الموقف ، وبقوا مالكين زمام المبادرة .

وتمتد هذه المنطقة من الحد المراكشي غرباً إلى حوالى مدينة مستغانم شرقاً ، وتنحدر إلى سيدي بلعباس ثم تشمل كامل جبال تلمسان ، واشتهرت بها معارك بنى صاف ، والفزوات ( نمور ) وندرومة ، وتسالة ، وضواحي تلمسان ، وقد نال المجاهدون في جميعها انتصارات كبيرة ، وغنموا من الفرنسيين غنائم عظيمة ، ولا تزال هذه الواجهة ثابتة ثبات الأطواد في وجه القوة الفرنسية ، بحيث لا وجود لسلطة الاستعمار فيها إلا في بعض المدن والقرى الكبيرة . أما البادية ، وبقية القرى ، والطرق فهي تحت حكم أو تحت إشراف المجاهدين . ويقود هذه الواجهة ويدبر أمورها ، القائد « المبروك » .

## جبال الوسط والجنوب

تعتبر جبال تيطرى والونشريس ، وهى العمود الفقرى لجبال الاطلس التلى ، واجهة ثانوية ، تشدازر الواجهات السابقة ، وتساعد على أعمالها ،

ن تراقب جهات البليدة ، والمدينة ، والبرواقية ، وثنية الحد ، وقصر بخارى ، فالاستعمار في هذه الناحية كلها يذوق كل يوم وكل ليلة العذاب ليم ، وتحطم منشآته ، وتحرق مزارعه ، ولا يستطيع الجندي الفرنسي يجتاز هذه المنطقة الحيوية لمواصلاته إلا بجهد جهيد ، وبعد تكبد خسائر حقة مستمرة . وقد ذهبت كل جهوده لاختاد حركتها أدراج الرياح .

أما في جبال الجنوب ، فإن حركة الثورة قد امتدت واشتدت ، وشملت التوالى جبال الزاب ( وكانت السابقة منذ عهد الثورة ) ثم جبال عمور ، خيراً جبال القصور إلى الحد الرا كشي الجنوبي . وهذه حركة خطيرة جداً النظام الفرنسي في سائر جهات إفريقيا المستعمرة : لأن الطرق الاستعمارية كبرى ؛ التي تصل شمال الجزائر ببلاد الجنوب وتتسرب إلى الصحراء كبرى ، وإلى موريطانيا ، وإلى التشاد وغيرها ، يجتاز هذه الجبال ، فإذا انقطعت هذه الطرق ، أو أصبحت غير آمنة ، لم يبق للفرنسيين من نائل الاتصال ، إلا طريق الججو .

فجماعة الأوراس وإلزاب قد جعلوا طريق سوف الثائر ونقرت وورقلة ، صالحة للاستعمال ، وجماعة جبال أولاد نائل ، يهددون كل يوم وكل الطريق العسكري الكبير الذي يصل الجلفة بالأغواط . فلا تسير ، إلا القوافل المسلحة ، ولا تمر غالباً إلا بعد معارك ومقتلة عظيمة .

وجماعة جبال القصور قد أعدموا المواصلات الفرنسية على طريق البيض جرفيل « وعين صفراء . ثم أن انتشار الثورة في هذه الجبال المتواصلة ،

جال الأطلس الصحراوي ، من الأوراس شرقاً ، إلى القصور غرباً ،  
يحصر الجند الفرنسي في المنطقة الشمالية ، ويفصل بين الشمال والجنوب ،  
ويجبر الفرنسيين على حشد قوى عظيمة بهذه الجهات الوعرة ، كيلا يفقدوا  
بنسبة تامة كل اتصال بالجنوب ، فهذه العمليات خففت الضغط كثيراً  
على الواجهات الست الآتفة الذكر .

وختاماً فلا يجب أن نغفل نتيجة اشتعال الثورة ببجبال القصور ، ألا  
وهي وقوع المعارك الحربية الكبيرة على حدود المغرب الأقصى ، واستيلاء  
المجاهدين فعلاً على واحات الفتيق ، وجهات بشار الجنوبية .

### الجهة الداخلية : المدن ، الطرقات ، المزارع ، المنشآت

العمليات في كل منطقة من مناطق الثورة التي فصلناها فيما سلف ،  
تقع على ثلاثة أنواع :

أولاً : معارك حربية ناشطة ، قوية ، تقع بنسبة مستمرة بين المجاهدين  
والجند الفرنسي في حالة ما إذا أراد هذا الجند مهاجمة مركز للمجاهدين ، أو  
اجتياز طريق يكن فيه المجاهدون ، أو في حالة ما إذا رأى المجاهدون مهاجمة  
مركز فرنسي لتخطيمه ، وقتل حاميته أو أسرها ، والاستيلاء على سلاحها .

ثانياً : داخل المدن والقرى الكبيرة التي يحتلها الفرنسيون ، ومنها  
المواصم كمدينة الجزائر ، وقسطنطينة ، ووهران ، وتلمسان ، وعفانة ،  
وبجاية ، وسكيسكة ، وبسكرة ، وباطنة ، وغيرها ، يوالى المجاهدون .

أعمالهم دون انقطاع ، منذ ما شبت الثورة إلى الآن ، فيقتلون الجند وكبار المستعمرين ، ويقتلون كبار الخونة المحكوم عليهم بالاعدام من قبل محاكم الثورة ، وينسفون المراكز الحكومية ، ويهاجمون الثكنات للاستيلاء على الأسلحة ؛ ويحرقون في المدن والقرى والبادية سائر المدارس الحكومية التي يسكنها الجند ويتخذ منها ثكنات ، وسائر ديار حراسة الغابة التي صارت مراکز عسكرية استعمارية ، بحيث أصبح الأوربيون من سكان المدن والقرى في حالة ذعر وخوف شديدين . فإذا علمنا أن هؤلاء السكان هم عمدة الاستعمار ، وهم أكثر الناس معاكبة لآمال الجزائريين ، وأنهم قد تسلحوا وشكلوا فرق « الدفاع الذاتي » لصيد المسلمين والامعان في قتلهم وتعذيبهم ، رأينا جدوى عملية المجاهدين داخل المدن والقرى ، فلو لا هذا العمل الذي أصبح كابوساً جاثماً على صدر الجند الفرنسي وعلى صدر غلاة رجال البجالية الفرنسية ، لأمعنوا في قتل وتعذيب الجزائريين والاعتداء عليهم بصفة لا يتصورها العقل .

ثالثاً : بما أن الاستعمار مادي بحت ، دينه المال ، ومبدؤه الثروة ، وعاقبه الرقابة ، فيخارية الاستعمار لا تقع في الميدان الحربي ، وبعمليات ضد الجند الفرنسي تحسب ، بل تقع إلى جانب ذلك وأكثر من ذلك ، في الميدان الاقتصادي .

فالمجاهدون في كل منطقة من مناطق الثورة قد خربوا معظم الثروة الاستعمارية الفرنسية ، وحطموا أغلب المزارع ، واحرقوا كثير المزارعات .

وقطعوا أشجار الكروم والأعشاب التي هي منبع ثروة الاستعمار. فكانت خسارة المستعمرين من هذه الناحية تتجاوز حسب إحصاء مبدئي مبلغ ٣٥٠ ملياراً من الفرنكات، (٣٥٠ مليون جنيه) واضطراً أكثر المستعمرين في الداخل إلى الالتجاء إلى المدن تاركين القرى والمزارع المحطمة للمجاهدين

## القوى المتقابلة

### قوة المجاهدين

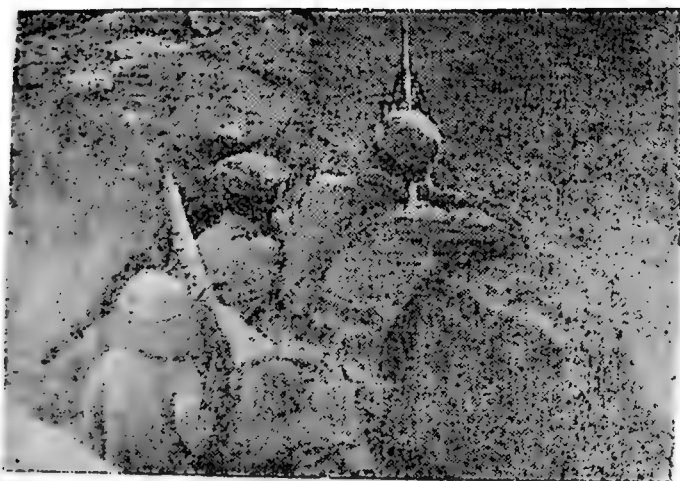
أنت ترى من هذا العرض البسيط المختصر، أن الثورة قد شملت كل جهات القطر الجزائري، وأنهم — تحارب الاستعمار عسكرياً واقتصادياً و«عصبياً» في كل مكان: في كل بادية، وفي كل جبل، وفي كل مدينة وفي كل قرية، فما هي قوة المجاهدين يا ترى؟ وما هي القوة التي تقابلهم بها فرنسا؟ وما هو البوان الشاسع بين القوتين من جهة السلاح؟

إن القوة الأساسية التي يعتمد عليها المجاهدون الأبرار، هي قوة الروح، قوة المزية، قوة الإيمان. وتلك قوة ما غلبتها في العالم قوة.

فالمجاهدون المسلحون، لا يتجاوز عددهم في القطر الجزائري بأسره الثلاثين ألف رجل. وهم ينقسمون إلى قسمين:

١ — الجند النظامي الجزائري، وعدده نحو خمسة عشر ألفاً، وهو يرتدى اللباس العسكري الكاكي اللون. ويخضع لنظام عسكري في انقياد صارم، ويتألف معظمه ممن خدموا الجندية من قبل، وشاركوا في الحرب

— ٢٢١ —



( ش ٣٠ )

الجند النظامي في خندق بنازل طائرة



الكبرى أو حرب الهند الصينية ، وفيه جمع عظيم من الجزائريين الذين فروا من الجندية الفرنسية ، وانضموا للمجاهدين بسلاحهم وعتادهم ، إلى أن تفاقم أمرهم ونما عددهم ، فاضطرت فرنسا لتسفير الجنود المسلمين العاملين في صفوفها كرها ، إلى خارج البلاد .

٢ - نحو خمسة عشر ألفاً من المجاهدين المتطوعين ، الذين تدربوا على حرب الكمين ، وأغلبهم جاء من الجهات التي دمرها الجند الاستعماري تدميراً ، وارتكب فيها الموبقات والفظائع والآثام . فهؤلاء المتطوعين جاؤوا انتقاماً لعرضهم ولشرفهم ولأمواتهم ، والمشاركة في تقويض أركان هذا الاستعمار الآثم الذي أفقر البلاد وأذلها ، وأراد أن يستأثر فيها بكل شيء فانتزعت الثورة منه كل شيء .

### السلح :

البندقية والخنجر والمسدس . ذلك هو السلاح الأساسي لفرق المجاهدين ، وخاصة المتطوعين منهم .

أما الفرق النظامية ، فتملك الرشاشات ، والبندقيات السريعة الطلقات ( المترايات ) وتستعمل القنابل اليدوية بكثرة وإجادة .

ولدى الكثير من فرق المجاهدين ، وخاصة في الأوراس ، وجهات الشمال الشرقى الجزائري ، والبلاد القبائلية والوهرانية ، عدد من المدافع المضادة للطيران وعدد من مدافع الهاون ، وبعض القطع المدفعية الجبلية ، وقد غنموا أغلب ذلك من الفرنسيين .

فقليل من هذا السلاح كان موجوداً بالبلاد ، مدخراً لوقت الحاجة .

وقليل منه جاء البلاد أيام الثورة بواسطة التهريب ، وقد اشترى من مختلف الأسواق العالمية . أما معظم السلاح ، فقد غنمه المجاهدون من الجند الفرنسي ، أثناء المارك ، بواسطة الهجوم على الثكنات والمراكز ، أو جاء به الجنود الجزائريون الذين كانوا يعملون تحت راية الجندية الفرنسية فهذه القلة في السلاح ، هي التي جعلت الحرب تطول في البلاد الجزائرية مدة عشرين شهراً إلى اليوم . ولو كنا نملك في القطر الجزائري عشرين ألف بندقية ورشاشه إلى جانب ما لدينا ، لسكنا قد صفيها حسبنا مع الاستعمار منذ أشهر طويلة .

### الرويف :

ذلك أنه يوجد نحو الثلاثمائة ألف رجل من الأشداء الأقوياء ، يرغبون المشاركة في أعمال القتال ، ويريدون الاندفاع في معركة التحرير ، وقد سجلت مختلف قيادات الثورة أسماءهم ، لكن قلة السلاح تركتهم ينتظرون ، فما سقط مجاهد في ميدان الشرف ، إلا وأسرت جماعة من رجال الرديف تتراحم على أخذ بندقيته ، واحتلال محله .

### القيادة :

كل منطقة من مناطق الثورة تقع تحت سلطة « القائد العام » الذي يعتبر المسئول لدى جيش التحرير الوطني عن كل ما يقع داخل منطقة الثورة عنده .

وتجتمع حول القائد العام هيئة أركان حرب ، مؤلفة في أغلبيتها من قدماء ضباط الجند الذين عمل أكثرهم في الحرب الكبرى وحرب الهند الصينية . وإلى جانب القيادة العسكرية يوجد « المندوب السياسي » الذي يمثل جبهة التحرير الوطني ، ويسهر على نظام المنطقة ويشرف على إدارتها . ويتولى الضباط الجزائريون الأقدمون قيادة الجند ، على نفس نظام الجند الفرنسي ، ثم أن عدداً من هؤلاء الضباط يقودون وينظمون أمور الفرق المتطوعة التي تعمل إلى جانب الجند النظامي وتحت أمره .

ولكل منطقة من مناطق الثورة أستقلال واسع في إدارة حركاتها العسكرية . إنما هي تنفذ بكل دقة أوامر وتوجيهات « القيادة العليا للجيش التحرير الوطني » الموجودة بالبلاد الجزائرية .

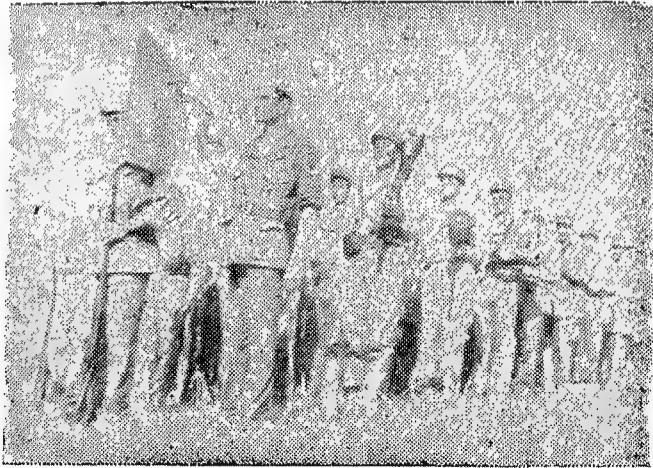
### الشعب :

أما نظام التكوين ، والتدريب ، وتهيئة الألبسة ، فكل ذلك من عمل السكان المدنيين ، فالأمة الجزائرية كلها مجندة تجنيداً فعلياً في هذه المعركة . ولا يستطيع انسان أن يدعى بأن جزائرياً واحداً لم يقيم بواجبه في هذا النضال الوحيد في العالم . فكل رجل مدني تابع لجيش من الجيوش ، عامل ضمن أطار قيادة من القيادات العامة . فهناك الفرق المدنية التي تعمل لتزويد الجيش بالمال ، وهناك الفرق التي تعمل على تهريب الأسلحة ، وهناك الفرق التي تقيم في ديارها نوعاً من المستشفيات البسيطة التي يعمل بها الرجال والنساء لمعالجة الجرحى ، أما نساء سائر

فقدوة المجاهدين الحقيقية ، ليست في الثلاثين ألف قطعة من السلاح الخفيف التي يملكونها ، إنما هي كما قلنا ، قوة إيمانهم ، وعزمهم على الخروج من المذلة والهوان ، من جهة ، والتفاف الأمة حولهم ، رجالا ونساء التفافا روحانيا صادقا ، لا يضعف ولا يتزعزع ، من جهة أخرى .  
وكم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة بأذن الله . والله مع الصابرين .

مكم الجهات المحررة .

الجهات المحررة - وهي كثيرة في القطر الجزائري - تقع من ناحيتها العسكرية والمدنية تحت إشراف وإدارة القائد العام ؛ ويعينه « المرشد



(شكل ٣٣) فريق من المجاهدين النظاميين ، عند رجوعهم من معركة  
( م - ١٥ هذه هي الجزائر )

السياسى « الذى يتولى السلطة باسم جبهة التحرير الوطنى . و هذه السلطة :

أولاً : القضاء ، ويتولاه أحد الشيوخ ، العلماء أو الطلبة ، أهمية السكان ، فيحكم بين الناس بما أنزل الله . ولا تصدر أحكام من لأن الأمة قد اختمرت بفكرة الثورة ، وأندجت في روحها ، بالانقلاب فى اسمى معانيه ، فتركت النزاع والخصام وأقبلت على الجماعى المنظم . فان شجر خلاف فرعان ما يحله « القاضى » - غالباً من المدارس العربية الحرة - بواسطة الأفاضل والتراضى .

ثانياً : الجباية ، فيقوم مستخلص الضرائب القومى بأخذ الف المستحقة على الناس ، حسب الدفاتر الحكومية القديمة ، ويسلم الوصل الذى يبرىء الذمة . وقد أقبل الناس إقبالاً منقطع النظر عن سائر ما عليهم من الضرائب ، ومنهم من تطوع إلى جانب ذلك بمض أو بكل ماله نصراً للثورة وتأييداً لها .

ثالثاً : المرافق العامة ، كإصلاح الطرقات ، وإحياء الأرض ، والأغذية ، وإعانة الفلاحين على البذر ، والعناية بالمرضى والفقراء ، المدارس ، وتمهيد الأمة ، وتهيئتها للدور العظيم المقبل ، دور والاستقلال . وفى كثير من الجهات ، تولت السلطة القومية توزيع الاستعماريه على مستحقيها ، توزيعاً فردياً أو جماعياً . ويعين « السياسى » على مهام مسئولياته ، جماعة من قدماء الموظفين المحليين الـ

أن ثبت صلاحهم وإخلاصهم ، أو جماعة من الذين لم تستعملهم الجندية .  
ويجتمع حوله غالباً « مجلس جماعة » يمثل أحسن تمثيل سكان المنطقة .

### القوة الفرنسية :

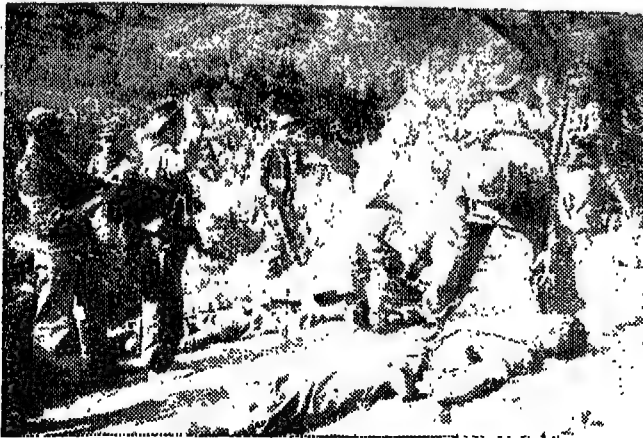
لم يؤمن الفرنسيون لحقتهم وغرورهم ، بالثورة وقوتها ، في الأيام الأولى .  
وقد ظنوا أنها فوران محلي لا يلبث حتى ينتهي أمره في بركة من الدم وأنون  
من النار . كما انتهى أمر الثورات السابقة . وقد خالوا أنهم قد قضوا القضاء  
المبرم على الأمة الجزائرية ، فلا يمكن أن تقوم لها قاعة ، بثورة أو بأعمال  
إيجابية حقيقية .

لذلك اكتبوا بإرسال مالدتهم من القوى أول يوم ، أى نحو المائة ألف  
جندى ، ووزعهم على بعض النقاط الحساسة ، ورموا ببعضهم في ميدان  
الأوراس قصد إخماد حركته والتنكيل بأهله . ثم أخذوا يستعملون وسائل  
الزجر والفظاعة للقضاء على الثورة ، كما سيمريك . لكنهم رأوا أنهم  
مهما ازدادوا إمعاناً في سياسة البطش والتنكيل ، إلا وازدادت الأمة اندفاعاً  
في ميدان الثورة وتأييدها والالتفاف حولها ، وعندئذ أخذوا ينادون بالويل  
والشبور ، ويرسلون بالنجيدات ، ويأتون بكل أنواع الأسلحة ماخف منها  
ومائقل ، وأعلنوا في بلادهم نوعاً من التجهيز العام ، على كره من الأمة ،  
خاصبت قوتهم اليوم في قطر الجزائر تشمل :

أولا : ٤٠٠ ألف جندى ، من الفرق التى ساحتها أميركا لمواجهة  
ما اصطاحوا على تسميته بالخطر الشيوعى فى أوربا .

ثانياً : ١٠٠ ألف رجل من رجال الشرطة والجند رمة والحرس الوطني وكلهم مسلح مشارك في العمليات .

ثالثاً : ١٠٠ ألف من السكان المدنيين الفرنسيين ، الذين وزعت عليهم الأسلحة الخفيفة ، داخل المدن والقرى ، ليتولوا أمر الدفاع عن أنفسهم ضد الجزائريين ، وألف هؤلاء المدنيون الأوروبيون فرقا من «الميليشيا» قامت بأدوار فظيعة في ميادين العدوان على الجزائريين الآمنين ، وقتلت الجموع الكبيرة منهم أشنع قتلة ، ولولا خوفها من رد الفعل القوي ، لاستمرت على أعمالها الفظيعة . ولقد توزعت الفرق العسكرية الفرنسية على مختلف المدن والقرى والمنشآت العامة والجسور والسدود وغيرها ، لحراستها ، وحراسة السكان المدنيين الأوروبيين ، وخصص قسم منها كبير ، لمجابهة الثورة



(شكل ٣٤) بعد المعركة . قتلى من الفرنسيين وأسرى بين يدي أبطال جيش التحرير الوطني.

ومحاولة كسر شوكتها أو الوقوف دون امتدادها . وأنت تعرف ماذا كانت النتيجة ...

أما السلاح الفرنسي ، فهو مؤلف من تلك الأسلحة الحديثة الصنع ، المختلفة الأنواع والأشكال التي أمدت بها أميركا الجنديّة الفرنسية ، حسب نظام حلف الدفاع « الأطلسي » والتي كانت مهيّئة لمواجهة روسيا ودول الحلف الشرق .

فالجند الفرنسي في القطر الجزائري مجهز أعظم تجهيز ، بحيث أن القوة التي يقابل بها الشعب الجزائري اليوم ، أعظم من القوة التي قابل بها سيل الجند الألماني الهتلري عام ١٩٤٠ .

ويعتمد الفرنسيون زيادة على أسلحتهم المختلفة ، على ١٤٠٠ طائرة مختلفة الأنواع ، و ٨٠ طائرة عمودية من نوع الهليكوبتر ، و ١٧٠٠ دبابة وسيارة مصفحة ، إلى كامل ما يلزم الجنديّة الحديثة من آلات وأدوات ، ومستشفيات متنقلة ، وآلات الاتصال اللاسلكي ، وغير ذلك . مع أسطول بحري ضخم .

كل هذا تقابله الأمانة بقوة إيمانها ، فتتغلب عليه ، ويقابله المجاهدون ببنادقهم القليلة ووسائلهم الضعيفة ، فيقهرونه ، ويهزمونه . وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .



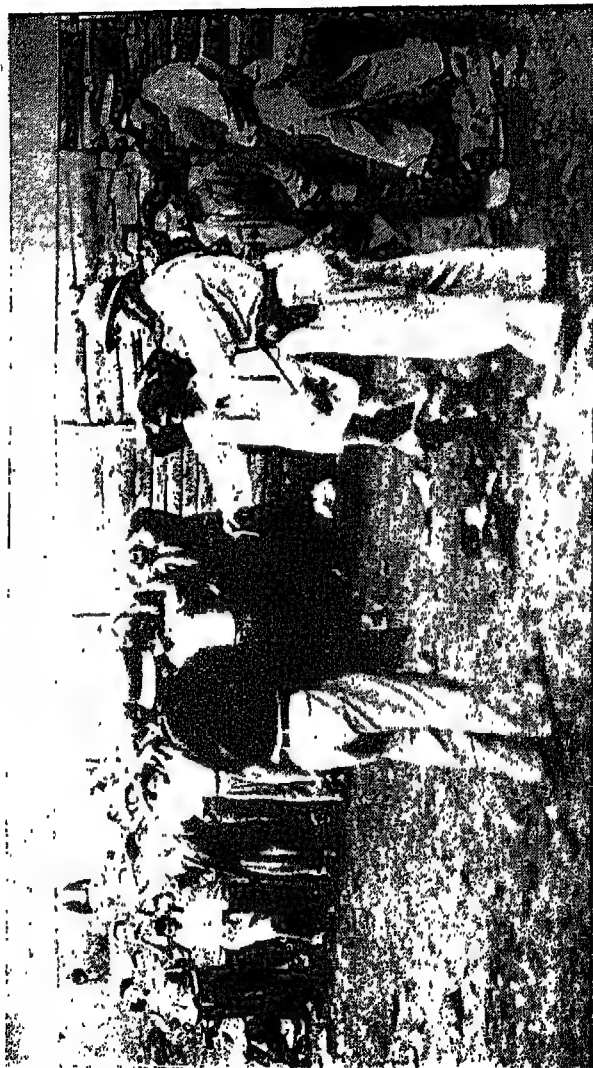
### التربعة :

لسكن الجند الفرنسي لا يعتمد في حربه مع الجزائريين على الطرق الحربية المألوفة، ولا على المقاتلات الشريفة العسكرية في ميدان القتال وجها لوجه. إنه لمجزه وفتوره لا يكاد يقابل المجاهدين إلا ما عندما يجبرونه على المقاتلة، إنما يصب جام انتقامه ويسلط سوط عذابه على الجموع المدنية، في القرى والوادي والمدن، فيقتل دون شفقة ولا رحمة، ويسلك سياسة الإفناء الجماعي بصفة لا نعرف أمها وقعت في حرب استعمارية أخرى.

والتربعة هي آخر اختراعاته : يحدد فوق الخارطة مربعا من الأرض في الجهة التي تقع تحت تصرف الثورة، ثم يحيط الجند بذلك المربع، وتنصب حوله المدافع المختلفة، وتحوم الطائرات فوقه، وتسدد نحوه بطاريات السفن الحربية مدافعها إن كان قريبا من البحر. وفي الساعة الممينة، تنقض سائر القوى من البر والبحر والجو على ذلك المربع، فتتركه بعد حين قاعا صفصفا، وتترك سائر ما فيه من قرى ومشاتي وغيرها.

فالرجال المسلحون يعرفون المسالك. ويسرعون ساعة ابتداء القذف إلى مخابئهم، ريثما يتمكنون من الإنسحاب خارج المنطقة الجهنمية، بينما يحصد الموت الزوام كل إنسان من المدنيين وكل حيوان داخل تلك المنطقة.

ولقد تكررت مثل هذه العملية مرارا عديدة، وخاصة بمنطقتي الثورة في الشمال الشرق، وفي وادي الساحل، وفي بعض الجهات من بلاد القبائل الكبرى، بحيث جاوز عدد الضحايا المدنيين، من جراء هذه



(شكل ٣٥) مكثا يقع النفثيش المجل. كل يوم ، وفي كل مدينة أو قرية ، من قبل الجند الفرنسي بالبلاد الجزائرية

التريعات وغيرها من أنواع المذابح الجماعية ، الماية والثلاثين ألفاً ، إلى يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ .

### الفظائع والمسكرات :

ولقد خيل للجنود الفرنسي ، أنه يستطيع قهر قوة الشعب المعنوية ، وإرغام المجاهدين على وضع السلاح ، بما يرتكبه في المدن والقرى والبوادي من المذابح الفظيعة ، والقتل الجماعي ، والاعتداء على عفاف النساء ، وسرقة الأمتعة ، وإتلاف المؤن والأقوات ، مما أصبح مضرب المثل ، ولا يستطيع الإنسان أن يفصله على صفحات هذه القذلية الوجيزة ، إنما هو مسجل مسطور ، وستصدر به كتب ومجلدات ، لتخليد آثام المدينة الاستعمارية الفرنسية ، في القرن العشرين .



(شكل ٣٦) هكذا يقع تشريد النساء والأطفال من مئات القرى ، لانتقاماً من المجاهدين



(شكل ٣٧) جثث ماثلة من شهداء الجزائريين ، قتلوا أثناء عملية « تطهير » ومرضوا في اللب البدي بمدينة سكيكدة

### السجون والمعتقلات :

أما في المدن وفي القرى ، فهناك أنواع من الإهانة ومن التعذيب نصب على الجزائريين ، لا يستطيع تحملها إلا من علم أنها نوع من أنواع الجهاد ، وأن يوم الحساب عنها قريب .

فأغلب رجال وشبان الطبقة المثقفة من الأمة ، أودعوا السجون ، أو سيقوا إلى الفسيخ من المعتقلات . وفي السجون اليوم ١٤٩ رجلا قد حكم عليهم بالإعدام ، ونحو الأربعة آلاف ممن صدرت عليهم أحكام تتراوح بين العامين سجنًا ، والأشغال المؤبدة . وثلاثة آلاف رجل لا زالون ينتظرون ما تأتي به أيام الاستعمار ولياليه ، فهم كل يوم في خطر جديد .



(شكل ٣٨) البنت الجزائرية تعمل في مركز قيادة عامة

أما المعتقلات ، وهي ١٩ فقد جمعت أغلب النخبة الفكرة العاملة العاملة من الأمة . وبين جدرانها أو أسلاكها الشائكة نحو العشرة آلاف رجل هم نخبة رجال الأمة وزهرة شبابها .

وقليل من رجال الأمة ومفكرها ، ممن لم يتمكنوا من الالتجاء لمناطق الثورة ، قد استطاعوا الاختفاء أو السفر للخارج .

وهكذا تحاول السلطة الفرنسية ، بواسطة القتل الجماعي والفنك الدريع ، وبواسطة السجون والمعتقلات ، وبواسطة الفظائع والمؤبقات والآثام ، أن تحطم إرادة الثورة ، وأن تنال من عزيمة الثائرين المجاهدين . أما في المدن ، فباب القتل والتنكيل مفتوح على مصراعيه . والتفتيش المؤلم الجارح يشمل في كل بلدة عشرات الآلاف من الرجال والنساء .



(شكل ٣٩) البنت الجزائرية ، تتهرب على استعمال الأسلحة الحديثة استعداداً لحوض معركة الحياة والشرف

ومنهم من يؤخذ بعد التفتيش إلى ساح الإعدام دون محاكمة أو سؤال ، وعددهم كثير جداً ، ومن أشهرهم الحكيم الكبير الدكتور ابن دزيرجب ، الفلمساني ، والأديب الكبير الأستاذ أحمد رضى حوحو القسطنطيني ، والمثات من أضرابهم ، رحمهم الله ، وعوض الأمة عنهم خيراً .

\* \* \*

وماذا كانت نتيجة كل هذا ياترى ؟

كانت النتيجة ، بعد عشرين شهراً من إعلان الثورة ، وبعد العذاب والتنكيل والجزر ، وبعد الآثام والموبقات العسكرية ، وبعد الآتيان بقوة تستطيع تدويع دولة من الدول الأوروبية ، كانت النتيجة اليوم ، موفى يوليو ١٩٥٦ ، أن فرنسا الاستعمارية قد أصابها الوهن ، وما أصاب الوهن الأمة الجزائرية .

كانت النتيجة ، أن المجاهدين قد ثبتوا في مصراكمهم ، كل مصراكمهم ، وأنهم يوسعونها شيئاً فشيئاً .

كانت النتيجة ، أن الأمة الجزائرية قد اشتدت مقاومتها ، وتصلبت تصلباً فاق الرقم القياسي الذي كانت مشتهرة به منذ أقدم العصور .

كانت النتيجة ، أن الأمة مستعدة اليوم لخوض معركة تدوم إلى ماشاء الله ، بينما أخذت فرنسا تتعامل ، وازدادت نعمة رأيها العام على حكومتها ، ونسكاد تملن الانتقاض على سياسة هذه الحزب الاستعمارية القاشلة .

كانت النتيجة ، أن المجاهدين يثبتون ، وأن الأمة تلتف حولهم كأنها

درع من زرد ، بينما الفرنسيون يتظاهرون ضد التجنيد ، وبنامون  
 فوق قضبان السكة الحديد ، لمنع القطار الذي يحمل المجندين عن المسير  
 لأرض الجزائر .

كانت النتيجة ، أن فرنسا أصيبت بخراب مالى لا نظير له . فهي لم  
 تستطع تحمل أعباء مليار فرنك يوماً ، نفقات هذه الحرب الجزائرية الفاشلة .  
 وقد أصيبت معاملها بالشلل ، من جراء التجنيد الذى حرّمها من قسم من  
 اليد العاملة ، وأصيبت تجارتها بكارثة فى الصميم ، لأن القطار الجزائرى الذى  
 كان يغذيها ، وكان يطعمها ويسقيها ، قد أصبح لا يكاد ينتج شيئاً ، ولا  
 يكاد يستهلك شيئاً من مصنوعاتها .



(شكل ٤٠) قرية تحتفل بمرور فريق مؤلف من الشابات والشبان  
 وقد تجندوا واستعدوا للموت فى سبيل الحياة



## نظرة الى الخارج :

فإذا ما نحن جلنا بأبصارنا جولة فاحصة حول أرجاء العالم ، وتأملنا وقع هذه الثورة المدهشة ، رأينا عجباً ، وسمنا أعجب .

أنظروا الصحافة العالمية ، من أميركا إلى جنوب استراليا ، تروا أن الرأي العام العالمى قد أصبح مركزا حول هذه البقعة من الأرض الإفريقية ، أرض الجزائر المجاهدة ، يدرس قضيتها ويسجل أعمال مجاهديها ، ويحمل في الغالب على الاستعمار الفرنسى حملات واسعة عريضة ، وينادى بوجوب إنصاف هذه الأمة التى نهضت كالرجل الواحد تريد حياة الحرية ، أو تريد موت الكرامة ، إنما لا تريد بحال ، ولا تقبل بحال ، ولا ترضى بحال ، أن تعيش يوما واحدا تحت سلطة الاستعمار وتحت قوانين الاستعمار .

أنظروا جامعة الدول العربية ، وانظروا مجموع الدول العربية ، وانظروا كل أمم العروبة على الاطلاق : لقد التفت كلها حول القضية الجزائرية التفاتا قلبيا صادقا ، وانفجرت براكين الشعور العربى حول الشعب الجزائرى ، حتى لسكان الجزائريين قد حلوا في كل قلب عربى أبى ، ويتدفق هذا الشعور ماديا بشتى أنواع الإغاة ، فإن لم تكن هذه المعاونات متناسبة مع ثورة الشعور ، ومع حاجات الثورة الجزائرية ، فهى على كل حال موجودة ، وهى على كل حال مستمرة ، وزجو أن تكون على كل حال سائرة في طريق الزيادة لا في طريق النقصان .

انظروا تونس والمغرب الأقصى ، ولا يزال استقلالهما في المهد صيبا ،  
أنهما قد ربطتا رسميا مستقبليهما بمستقبل الكفاح في القطر الجزائري ،  
وعلمتا علم اليقين ، وأعلنتا علمهما ، أنه لا استقلال لها بصفة حقيقية إلا متى  
تحررت الجزائر من قيود الاستعمار ، وشدت أزر شقيقتي الشرق والغرب في  
تضامن مغربي عربي متين ، فيه الرفعة والسؤدد والنهضة الكبرى .

انظروا ذلك الحدث العالمي العظيم ، ذلك المؤتمر الذي يعتبر انقلابا في  
أوضاع السياسة وفاروقا بين العالم القديم والعالم الحديث : مؤتمر ناندويج .  
أرأيتم ذلك المؤتمر الذي يمثل ثلاثة أرباع الأرض ؛ ويمثل قوى المستقبل  
في هذه الدنيا ، يقرر الاعتراف بحق الشعب الجزائري في حريته ، والمناذات  
باستقلاله ، ويقرر وجوب التضامن البشري حوله ، قولاً وعملاً وجهوداً  
لكي يخرج من هذه المنطقة الاستعمارية الآفة ، إلى منطقة النور والعلم  
والكرامة والاستقلال والحريه ؟ .

انظروا هيئة الأمم المتحدة تقرر خلال دورتها السابقة (اكتوبر ١٩٥٥)  
أن قضية الجزائر المجاهدة ليست قضية فرنسية بحتة حسب ادعاء فرنسا ،  
بل هي قضية أممية ، وأن لهيئة الأمم المتحدة حق دراستها وفحصها ،  
وبحق إصدار التوصيات بشأنها .

فإن لم يتم في تلك الدورة شيء ، خضوعاً للملابسات سياسية خاصة ؛  
فالؤكد الذي لا ريب فيه هو أن هيئة الأمم ستدرس هذه القضية دراسة  
عميقة أثناء دورتها المقبلة ، مفتح سنة ١٩٥٧ ، وستجد أغلبية محترمة تؤيد

الجزائر في مطالبتها بالحرية والاستقلال ، مطالبة سجلت بالدماء و بالأرواح .

انظروا الهند ، أنظروا باكستان ، انظروا يوغسلافيا ، انظروا السوفييتي ، فالرجال المسئولون في كل هذه الدول ، قد تدخلوا رسميا فرنسا ، وسمعوا السعي الحثيث للتأثير عليها ، حتى تعمل عن سياسة العسكرية ، وقد ظهر عدم جدواها ، وتركنا لسياسة التفاهم مع المجاهدة ، على قاعدة العدل والانصاف وحق تقرير المصير .

انظروا مؤتمر برينوني ، يسير له بطل العروبة جمال عبد الناصر ، له بطل الهند ، شري نهرو ، ويؤمه بطل يوغسلافيا المارشال : فيجتمعون ليفحصوا قضية الجزائر ، وليجدوا مخرجا عادلا للجزائر ، على الأسس التي وضعها مؤتمر باندونغ .

بل انظروا نفس حكومة فرنسا تنهار وتتخلى شيئا فشيئا عن س التقليدية المتطرفة ، فتقول رسمياً أن الحل العسكري مستحيل في الجزائر ، أي أنها تعترف بصراحة أنها لن تستطيع التغلب على قوة ثم هي تعترف رسمياً ، بأن الجزائر في الند ان تكون قطعة من كسائر القطع الأخرى .

ثم انظروا نفس الأحزاب التي تشكل الأغلبية الحكومية ، في الحزب الاشتراكي يقرر في مؤتمره بمدينة ليل ، أن قطر الجزائر : يقال نظاماً مقبلاً ، يملك قوة التشريع ، وقوة التنفيذ ( حكومة ) مع فرنسا بواسطة تعاقد حر . والحزب الجمهوري الشعبي يقرر أ

فدرالية تكون دولة الجزائر ضمن أعضائها . والجزائريون يرفضون كلا من الحلين ، لأنهما لا يحققان الاستقلال المنشود . أما الحزب الشيوعي ، فينادى بالاستقلال واعطاء الكلمة للشعب .

وانظروا الكثير من أحرار فرنسا ، والكثير من كتابها ، والكثير من فلاسفتها ، والكثير من صحافتها . يتألب كلهم للدفاع عن الحرية في قطر الجزائر . ويمعنون في مهاجمة الاستعمار ، وإظهار عيوبه ومساوئه . ومنهم من سجن في سبيل هذه الحملة الصاعدة ، ومنهم من ناله الأذى الكبير . ولا يزالون مستمرين .

وهكذا مآل القضايا العادلة .

وهكذا يعلو الحق ولا يعلو عليه .

فكل يوم يمر علينا في هذه الثورة ، ونحن صابرون صامدون ، يحقق لنا كسباً جديداً ، ويقربنا من الهدف الاسمي خطوات شاسعة . فقضيتنا تتلخص في ثلاث كلمات :

سلاح . ثبات . انتصار ! .

\* \* \*

إن حكومة فرنسا تراودنا اليوم على أنصاف حلول . تريد فرنسا أن توقف الحرب دون شروط ، مقابل اعترافها لنا باستقلال داخلي واسع ، ضمن المنطقة الترابية الفرنسية ، على أن تجرى انتخابات حرة ( ؟ ) بعد ثلاثة أشهر من وقف الحرب ، لتقع المفاوضة مع وفد المنتخبين ، حول تنفيذ سياسة الإصلاحات الفرنسية المعروضة . والأمة الجزائرية ترفض هذه العروض السخيفة رفضاً حاسماً .

( م — ١٦ هذه هي الجزائر )

هذه هي إرادتنا . وهذا هو سيلنا

فإذا تريد الأمة الجزائرية يا ترى ، من وراء هذه الحرب القاسية التي تحملت وقرها عشرين شهرا ، والتي لا تزال مستعدة لتحملها ، إذا لزم الحال ، أشهراً أخرى ، أو أعواماً أخرى ؟ .

ولماذا هي ترفض بإباء وشمم عروض فرنسا ؟

هل هي تخارب حبا في الحرب ؟ هل هي تقبل أن تحطم ديارها ويقتل رجالها ونساؤها ونصاب بالضربات الفتاكة ، كما تصيب خصمها بالضربات الفتاكة ، لمجرد التلذذ بالفناء ، والتسلية بأعمال الفتك والتخريب ؟  
كلا !

بل هي تقول في لسان فصيح ، منطقي ، معقول : أنها لن ترضخ أبداً ، ومهما كانت الحالة ، ومهما تغيرت الظروف ، لحكم النظام الاستعماري الذي ضرب عليها الذل والمسكنة ، والذي حال بينها وبين العلم والعمل والثروة والسعادة ، والذي جعلها محكومة بغير بنيتها ، ووزع ثروتها على غير ذويها ، وأبقاها تحت نظام هو شر أنواع النظم الرأسمالية ، بينما يستقبل العالم أجمع حياة النور والحرية ، والمزة والكرامة . وما عروض فرنسا ، مهما تفننت في زخرفتها نفاقاً وتضليلاً ، إلا تثبيت للنظام الاستعماري ، وقضاء على الحرية والاستقلال .

أمة الجزائر تريد الاستقلال بأرضها . الاستقلال بحكمها . الاستقلال  
بتقرير مصيرها . تريد أن تكون أمة كسائر الأمم ، ودولة كسائر الدول ،  
ذات جنسية كسائر الجنسيات ، وذات علم كسائر الأعلام . ثم أن أمة  
الجزائر لم تصب بعدوى المنصرية ، ولا تريد أن تسقى غيرها من الكأس  
التي سقاها بها . فهي في استقلالها المقبل ، الآتى قريباً لا ريب فيه ، تفسح  
في وجه الفرنسيين الذين استقروا في أرض الجزائر ميادين العمل ، على  
قاعدة التساوى التام ، على شرط أن يعتنقوا مخلصين الجنسية الجزائرية ،  
وعلى شرط أن لا يكون لهم أدنى امتياز ، مهما كان أمره على بقية  
المواطنين ، لا من حيث السك ، ولا من حيث الكيفية .

ولا تتسامح الأمة الجزائرية في أى شبر من تراب أرضها ، كما هو محدد  
الآن ، وخاصة صحراء الجنوبية التي هي جزء لا يتجزأ من ترابها القومى .  
فما تدعيه فرنسا هذه الأيام من محاولة بتر الصحراء عن أرض الجزائر ،  
إنما هو ادعاء باطل خاسر ، تقف الأمة الجزائرية ضده موقفاً صارماً لا هوادة  
ولا لين فيه .

وأمة الجزائر تريد أن تكون دولة ديمقراطية حرة ، تسير مع العالم  
الحديث متساوية في الحقوق والواجبات ، واضعة جهودها في خدمة المثل  
العليا الإنسانية ، وتحقيق السلام العالمى الدائم . مع شقيقاتها من الدول  
العربية الحرة .

— ٢٤٤ —

إنها تعلم أن كل حرب لا تنتهى إلا بمفاوضات . وإنها تعلم أن حربها هذه لا تنتهى كذلك إلا بمفاوضات . لكن هذه المفاوضات لا يمكن أن تقع — بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة — إلا على هذه الأسس :

أولها : الاعتراف الصريح من الجانب الفرنسى ، باستقلال البلاد الجزائرية ، استقلالاً تاماً ، يشمل كل مظاهر السيادة القومية ، وخاصة التمثيل السياسى ، والقوة العسكرية الوطنية .

وثانيها : اطلاق سراح سائر المسجونين والمعتقلين من أحرار البلاد وثالثها : المفاوضة مع جيش التحرير الوطنى وجبهة التحرير الوطنى بعد ذلك الاعتراف لوقف أعمال الحرب ، والأقدام على بناء المستقبل الجزائرى المستقل والقضاء على مخلفات الاستعمار ، وذلك بواسطة حكومة جزائرية حرة ، تشرف على انتخاب مجلس تأسيسى حر .

هذا هو الحل الوحيد ، العادل ، الإنسانى ، الذى تريده الأمة الجزائرية والذى هى مستعدة لقبوله والعمل به منذ الساعة ، متى رضى الخصم للحق ، وكف عن العناد الاجرامى .

إنها تسكافح وتنتظر ، ولا تمل الكفاح ولا تمل الانتظار ، لأنها واثقة من الفوز والانتصار .

اصمير توفيق المدنى

القاهرة ٢٩ يوليو ١٩٥٦

# الفهرس

٥٣	الفتح العربى ،	التعريف بالبلاد الجزائرية
٥٥	الدولة الرستمىة ،	١١ ساحلها — حدودها ،
٥٧	التوحيد الفاطمى ،	١٢ مساحتها ،
٥٨	دولة بنى حماد ،	١٣ التل والساحل ،
٦١	التوحيد « الموحدى » ،	١٥ النجود ،
٦٣	دولة بنى زيان ،	١٧ الصحراء ،
٦٧	الجمهورية الجزائرية ،	١٩ الملحقات والطوارق — الأمطار ،
٧٦	الأحتلال الفرنسى ،	٢٠ الأودية والأنهار ،
٨٠	تسكية شرقية عامة ،	٢٢ السباخ والبحيرات ،
٨٣	روح الفضال الشعبى ،	٢٣ السدود ،
٨٤	أحمد باشا ،	٢٥ الغابات ،
٨٥	الأمير عبد القادر ،	سكان القطر الجزائرى
٥٩	فظائم وأهوال ،	٢٧ الإحصاء ،
	تخطيط أمة	٢٩ العرب ،
٩٦	استقرار الفرنسيين ،	٣٢ الأمازيغ ( البربر ) ،
٩٩	الحكومة ،	٢٤ الفرنسيون ،
١٠٠	العمالات ( المديريات ) ،	٤١ اليهود ،
١٠١	البلديات ،	تاريخ القطر الجزائرى
١٠٣	المجالس الجزائرى ،	٤٥ الفينيقيون ،
١٠٥	المجالس العمالية — والبلدية ،	٤٦ قراطجنة وساطانها ،
١٠٦	الجماعات — المجالس الفرنسية ،	٤٧ ملوك نوميديا الوطنيون ،
١٠٧	الأرض والاستثمار ،	٤٨ الاستعمار الرومانى ،
	الفلاحة : الأعناب القمح — الشعير ،	٥٢ الوندال ،
	الطبايق — الخلقة — الزيتون — ،	٥٣ الروم ،
١١٣	النخيل — التين — الماشية ،	



# الفهرس

٥٣	الفتح العربى ،	التعريف بالبلاد الجزائرية
٥٥	الدولة الرستمىة ،	١١ ساحلها — حدودها ،
٥٧	التوحيد الفاطمى ،	١٢ مساحتها ،
٥٨	دولة بنى حماد ،	١٣ التل والساحل ،
٦١	التوحيد « الموحدى » ،	١٥ النجود ،
٦٣	دولة بنى زيان ،	١٧ الصحراء ،
٦٧	الجمهورية الجزائرية ،	١٩ الملحقات والطوارق — الأمطار ،
٧٦	الأحتلال الفرنسى ،	٢٠ الأودية والأنهار ،
٨٠	تسكية شرقية عامة ،	٢٢ السباخ والبحيرات ،
٨٣	روح الفضال الشعبى ،	٢٣ السدود ،
٨٤	أحمد باشا ،	٢٥ الغابات ،
٨٥	الأمير عبد القادر ،	سكان القطر الجزائرى
٥٩	فضائم وأهوال ،	٢٧ الإحصاء ،
	تخطيط أمة	٢٩ العرب ،
٩٦	استقرار الفرنسيين ،	٣٢ الأمازيغ ( البربر ) ،
٩٩	الحكومة ،	٢٤ الفرنسيون ،
١٠٠	العمالات ( المديريات ) ،	٤١ اليهود ،
١٠١	البلديات ،	تاريخ القطر الجزائرى
١٠٣	المجلس الجزائرى ،	٤٥ الغنيقون ،
١٠٥	المجالس العمالية — والبلدية ،	٤٦ قراطجة وسلطانها ،
١٠٦	الجماعات — المجالس الفرنسية ،	٤٧ ملوك نوميديا الوطنيون ،
١٠٧	الأرض والاستعمار ،	٤٨ الاستعمار الرومانى ،
	الفلاحة : الأعناب القمح — الشعير ،	٥٣ الولندال ،
	الطباق — الحلفة — الزيتون — ،	٥٣ الروم ،
١١٢	الذخيل — التين — الماشية ،	

١٦٨	حزب الشعب الجزائرى ،	١٤٢	الثروة المعدنية ،
١٦٩	برنامج قيوليت ،	١٢٦	الصناعة والتجارة ،
١٧٠	المؤتمر الإسلامى ،	١٢٩	المراسى الجزائرية ،
١٧٢	إضطهاد حزب الشعب ،	١٣٠	المواصلات ،
١٧٣	الحرب العظمى الثانية ،		نتائج المأساة الاقتصادية ( الأجور
١٧٤	أحباب البيان والحرية ،	١٣٠	البطالة — المسكن — المرض — الهجرة
١٧٦	٨ ماي ١٩٥٤ ،	١٣٨	القضاء ،
١٨٠	الدستور الجزائرى ،	١٣٩	سياسة التجهيل ،
١٨٢	التدليس والتزوير ،	١٤٤	التعليم الحر ،
١٨٥	خشب مسندة ،	١٤٦	التعليم الفنى ،
١٨٦	فضاعة وأهوال ،	١٤٧	الدين الإسلامى ،
١٨٧	التنكيل بحزب لإنتصار الحريات ،	١٤٩	المعجزة النفسية ،
١٨٨	جبهة الدفاع عن الحرية ،		<b>المقاومة</b>
١٨٩	مقاطعة الانتخابات ،	١٥١	الزعاطشة ونسبتها ،
١٩٠	إنقسام حزب لإنتصار الحريات ،	١٥٢	ثورة أولاد سيدي الشيخ ،
١٩١	لجنة الثورة للعمل والاتحاد ،	١٥٤	ثورة الجرجرة ،
	<b>الثورة الكبرى</b>	١٥٦	البدوى ،
١٩٣	لاندلاع الثورة ،	١٥٧	الاوراس ،
١٩٦	العيد القومى ،	١٥٧	المقاومة السياسية ،
١٩٧	جبهة التحرير الوطنى ،	١٥٨	أول مقاومة قلمية وطنية ،
	المنشور الأول المناهجي	١٦١	الحرب الكبرى الأولى ،
١٩٩	لجنة التحرير الوطنى ،	١٦٢	قواين : فيفرى ،
٢٠٣	المفاوضات ،	١٦٣	الأمير خالد الهاشمى ،
٢٠٥	الحركة الوطنية ،	١٦٤	نجم شمال أفريقيا ،
	جبال أوراس ،	١٦٥	نادى الترقى ،
		١٦٦	جمعية العلماء ،
		١٦٧	وحدة النواب ،

— ٢٤٧ —

٢٢٣	الرديف — القيادة ،	٢١٠	، النمامشة ،
٢٢٤	موقف الشعب ،	٢١١	القبائل الكبرى ،
٢٢٥	حكم الجهات المحررة ،	٢١٣	الشرق ،
٢٢٧	القوة الفرنسية ،	٢١٤	عند الساحل ،
٢٣٠	التربية ،	٢١٥	نة وهران ،
٢٣٢	الفنائع والمنكرات ،	٢١٦	، الوسط والجنوب ،
٢٣٤	السجون والمعتقلات ،	٢١٨	ن -- الطرقات — المزارع ،
٢٣٦	نتيجة الزجر والتمنكيل ،	٢٢٠	المجاهدين ،
٢٣٨	نظرة إلى الخارج ،	٢٢٢	حهم ،
٢٤٢	هذه هي إرادتنا ،		

## غلطات مطبعية

نرجو القارىء الكريم اصلاحها قبل مطالعة الكتاب

صواب	خطأ	س	ص	صواب	خطأ	س	ص
نشأت	تنشأت	١٦	٦٩	إنقاذه	المقاذه	٦	٩
انديوان	الديوان	٣	٧٠	اطلب	لطب	٣	٣
التحرير لولا	التحرير للوقع	١١	٨٣	الزراغز	الزراغر	٧	٢٢
اصدقائها	اصدقائه	٣	١٠٤	بوخيفية	بوخيفية	١٢	٢٣
يستأثر به	يستأثر بها	١٤	١١٨	Liege	Hier	١٦	٢٥
٣١٠	٣٩٠	٧	١٣١	الونشريس	الونشريس	١٧	٢٥
العجب	-الحجب	١٥	١٣٣	d'Alep	d'aep	١٨	٢٥
العمال	المال	٨	١٣٤	الزياتين	الزياتين	١	٢٦
الشيوخ	الشيوح	١١	١٤٥	عدد ٦٨٦٨ ط	عدد	٢٦	٢٦
وتأمر	وتأمر	١٥	١٤٦	فتسكون	فتسكونت	١٤	٢٩
سنة	سنت	٨	١٥٨	بالأمازيغ	بالمازيع	١٤	٣٢
فلم	فم	١٧	١٦٣	وقد كانت	وإذا كانت	١٤	٣٢
وينددوا	ويندون	١٦	١٧٨	شاهدت	شاهد	٢	٤٠
فعل عز	فعل من	١١	١٨٥	التنكيل	التنكيل	٨	٤٣
كانوا	كان	١١	١٩١	لغة	اللغة	٤	٤٦
الأصلا	الاصطلاحات	١	٢٠٢	مستقلة	مستقلة	٣	٥٦
بالياد	باليادة	١٠	٢٠٣	١٦٠	١٦٩	٤	٥٦
				سبعة	سنة	١٤	٥٦

